شهير شنودة

أنا وزوجتي والبعد الرابع

تقديم

عبد الوهاب مطاوع

Shahir

أنا وزوجتي
والبعد الرابع

بقلم

سمير شنوده

تقديم

عبد الوهاب مطاوع



بسم الله الرحمن الرحيم

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع * نشر * توزيع

القاهرة : ١٠ ش بستان الدكة من شارع الألفى

(مطابع سجل العرب)

تليفون : ٩٣٢٧٠٦

ص.ب :١٣١٥ العتبة ١١٥١١

الجيزة : ٨ ش أبو المعالى

(خلف مسرح البالون) العجوزة

تليفون : ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق

خلف قاعة سيد درويش بالهرم

ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع ١٩٩٦/٢٧٤٦

I.S.B.N.

977-279-055-6

هذا المؤلف " الشجاع "
ومغامرته الأدبية الجميلة !

بقلم : عبد الوهاب مطاوع

هذا المؤلف يذكّرني ببعض نبلاء عصر النهضة في أوربا الذين كانوا يهتمون بكل أنواع الفنون والفكر والأدب ، وقد يمارس أحدهم الكتابة أو الفن لكنه لا ينشر إنتاجه منه ولا يسعى به أبداً إلى جمهور عريض من القراء أو المتذوقين ، ويكتفي بأن يعرض أعماله في استحياء على ما يمكن أن نسميه بـ " بجمهور المحجرة " الذى لا يزيد عدده عن أصابع اليدين ويتكون غالباً من الأصدقاء ورواد صالونه !

فهو يمارس مثلاً فن الرسم منذ ٣٠ عاماً ، ويجيد الرسم بالباستيل والألوان المائية والزيت ، ويجيد فن رسم الشخصيات " البورتريه " ولا يقل مستواه الفني فى ذلك عن مستوى بعض الفنانين المحترفين والمعروفين لكنه لم يعرض أبداً لوحه من لوحاته في معرض للفن التشكيلى ، ولم " يجرؤ " على تصور فكرة أن يقيم معرضاً خاصاً للوحاته وأعماله الفنية ، وإنما يكتفى فقط بعرض لوحاته على صديقه - أستاذ فن البورتريه - الفنان الكبير الأستاذ صبرى راغب ، وبعض أصدقائه من متذوقى الفن التشكيلى ، ويسعد بآرائهم فى أعماله واستحسانهم لرسومه ، ويبدو حين يُطرون أعماله كما لو كان لا " يصدق " حقاً أنه قد رسم شيئاً يستحق الإعجاب والثناء " ويفزع " بشدة حين يقترح عليه أحدهم عرض رسومه فى معرض عام أو خاص ، فكأنى به يقول لنفسه حينذاك : وأين أنا مِمَّن درسوا فن التصوير فى كلية الفنون الجميلة وكرسوا حياتهم للإنتاج الفنى ، وأنا من أخترت فى شبابى الحياة العسكرية وقضيت سنوات طويلة فى عالمها قبل أن أخلع الرداء العسكرى ، وأعمل بالأعمال المدنية ، وكيف يجوز لى أن أعرض لوحاتى إلى جوار لوحات من وهبوا حياتهم للفن التشكيلى وتفرغوا له .. لهذا فلم أكن مغالياً حين قلت عنه ذات مره بأنه يتعامل مع فنه على استحياء ، وكأنما لا يرى

نفسه جديراً بأن يحمل لقب فنان ، ولأن التواضع صفةُ أصليةُ فيه فهو يتعامل مع ما يكتبه أيضاً بهذا التواضع والحياء .

ولقد قرأت له مرة مخطوطة قصة قصيرة فجذبتني إلى قراءتها حتى النهاية بقدرته على السرد وتصعيد الأحداث إلى ذروتها الدامية ، وإن افتقرت لغته العربية فيها إلى الالتزام أحياناً ببعض قواعد النحو ، وهو أمر لا يكاد يخلو منه كثيرون ممن يمارسون الكتابة بانتظام ويسعون بإلحاح لنشر إنتاجهم في وسائل النشر المختلفة ، اعتماداً على ما يقوم به المصححون والمراجعون بالصحف والمجلات من ترشيد للغتهم .

ومع أنه قد فاجأني بهذه " الرواية " التي تقرأها في هذا الكتاب فإني لم أندهش كثيراً ، لإقدامه على " مغامرة " كتابة الرواية مع ما تعنيه من عناء لكاتبها وما تحتاج إليه من نَفَس درامي طويل ، فلقد ألفت منه أن يكتب لنفسه كما يرسم لنفسه ولأصدقائه ، لكنني دهشت حقاً لإقدامه على " نشر " هذه الرواية وهو الذي يفزع حقاً من تخيُّل إمكانية أن يعرض نفسه وإنتاجه على الآخرين .

لقد تخلَّص " المؤلف " أخيراً من تردده واستحيائه وشكّه في قدراته وقرر أن ينزل إلى الحلبة ، ويقدم إنتاجه للآخرين وينتظر " أحكامهم " عليها ، فتهنئتي القلبية له على هذه " الشجاعة " التي تأخّرت طويلاً .. وأهلاً به في حلبة العناء الأدبي والانفعال سلباً وإيجاباً بآراء الآخرين في ثمرات قلوبنا وعقولنا وأفكارنا ، ومرحباً به معنا في بحر " القلق " الفني الذي لا شطآن له ، وفي زورق الخوف والترقب المرتعد لأحكام الجمهور القاسية على ما نكتب وما ننتج من أعمال أدبية .

وكل رجائي هو ألا تتخلّى عنه هذه " الشجاعة الأدبية الطارئة " فينكص على عقبيْه مرة أخرى بعد أن عرف طريق التواصل مع الجمهور ، ويرجع إلى التقوقع في ذاته الفنية والاكتفاء بالرسم والكتابة لنفسه ولدائرة أصدقائه المقربين !

عبد الوهاب مطاوع

الفصـل الأول

صحوت من النوم فى الصباح الباكر وبى رغبة فى احتساء كوب من الماء المثلج .. ولكنى تريثتَ قليلا ، فقد خشـيت إن نهضت أن يهرب النوم منى بعد ذلك ..ومن ثم نظرت فى معصم يدى لأعرف الوقت .. وبناء عليه أقـرر إن كنت أنهض .. أو أتابع النوم مع قليل من العطش .

ولكنِّى لم أجد ساعتى .. فتذكرت أنى خلعتها قبل النوم .. ووضعتها فوق الخوان " الكومودينو " .. ومن ثم مددت أصابعى أبحث عنها ، ولكنى لم أجدها .. فبحثت تحت الوسادة .. ولم أجدها أيضا .

وخشيت أن أسترسل فى البحث .. فيطير النـوم منى ، فقررت العودة إليه .. دون احتساء كوب الماء المثلج ..

وتركت الفكر ينساب كيفما اتفق .. كفراشة تتهادى فى حقل ساكن .. ورويدا رويدا بدأت أنتقل من عالم الواقع لأستقر أخيرا فى قاع العدم .

وهذه الجملة بالرغم من فخامتها ، لاتعنى أكثر من أننى عدت للنوم من جديد .

واسترسلت فى النعاس وقد تخيلت أنى سأستمتع بساعتين من نوم الصباح اللطيف الهادئ .. ولكنى لم ألبث أن نهضت مذعـورًا علـى رنـين جـرس التليفون .. وعدوت إلى حيث كان ، ورفعت السماعة .. فاذا بصديق يسألنى إن كان قد أزعجنى بهذه المكالمة المبكرة ، فأجبته بالنفى ، فسألنى إن كان الرنين قد أيقظنى من النوم .. فأخبرته بأن الجملتين تحملان نفس المعنى .. وأنـه مـن المستحسن أن ينتقل إلى سؤال آخر .. فسألنى إن كان لدى زجاجة نبيذ فائضة عن حاجتى .. فسألته عن الوقت .. فأجاب بأنه السابعة والربع .. فسألته إن كان ينوى احتساء الزجاجة المذكورة فى هذا الوقت من النهار .. فأجاب بأنه يريدها فى المساء ؛ لأن ضيوفًا سوف يزورونه لتناول وجبة العشاء .. فأخبرته بعدم وجود زجاجات عندى .. وأننى يمكننى أن أحل مشكلته بعد بضعة ساعات بأن أشترى له زجاجة من عند البدال .. فأجاب بأن هذا ليس حلا ..لأنه غير عاجز .. وأنه يمكنه

شـــراء الزجاجة بنفســـه .. فســألته إن لم يكن لديه مانع من أن يقفل الســكة فـي وجهى .. فأجاب بأنه ليس لديه مانع وفعل ..

* * *

عدت إلى الفراش بعد أن شربت كوبا من الماء المثلـج .. وبحثـت عـن السـاعة لأتأكد من أنها السـابعة والربـع كـما ذكـر .. ولكنـى لـم أجدهـا حيـث توقعـت أن تكون .. ومن ثم عدلت عن البحث ؛ لأنه سيذهب بالبقية الباقية من النوم .. فربمـا تكون وقعت على السجادة .. وربمـا تكـون داخـل درج الكومودينـو . ومـا هـى إلا ثوان حتى كنت قد خلدت للنعاس من جديد .

* * *

فى تمام الثامنة والربع صحوت نهائيا من النـوم .. وفتحـت الراديـو ، فوجـدت المذيع يقول : إن الوقت كما أسلفت .. فنهضت وتوجهت إلى المطبخ لأعـد لنفسـى قدحـا مـن الشـاى وشـطيرة .. وأخـذت الجريـدة الصباحيـة مـن صنـدوق الـبريد .. وجلست أطالعها ريثما يغلى الماء .. فوجدت العالم العربى علـى مـايرام .. فجبهـة البوليسـاريو تضـرب فـى المغــرب .. وشـمال السـودان يضــرب فــى جنوبـــه .. والصومال تضـرب فـى جيرانهـا .. وليبيـا تضـرب فـى تشـاد ولبنـان تضـرب فـى بعضها .. والعراق على علاقة سيئة بجيرانها .. قريبهم وبعيدهم .

واستغرق الإفطار وقراءة الجريدة نحـوا مـن ثلـث سـاعة .. ذهبـت بعدهـا إلـى المخدع كى آخذ الساعة معى إلى الحمام .. حيث أضـع الصـابون علـى ذقنـى مـدة خمس دقائق حتى تصبح جاهزة للحلاقة .. ولايجب أن تزيـد المـدة عـن ذلـك .. إذ أنها لو زادت فإن الصابون يجـف ويتطـاير فـى الهـواء ، ثـم أستنشـقه فـأعطس .. ولايجب أن تقل عن ذلك ؛ لأن الشعر يكون جافا وغير ملائم للحلاقـة .. ومـن ثـم تتألم ذقنى من مرور الموس عليها .. وقد علّمنى هذه الرياضة السقيمة فى الحلاقـة مدرّب السباحة الذى كان يدربنى على هذه الرياضة منذ عشرين عامًا .. حين كنت فى السابعة عشرة من عمرى .

ولم أتمكن من التخلص منها .. أى من هذه العادة .. لأن ذقنى اعتادت على ذلك .. وأصبحت هذه طريقتى فى الحلاقة سواء رضيت أم لم أرضى .

كنت أقول: إنى ذهبت إلى المخدع لإحضار الساعة .. ولكنها لم تكن فوق الكومودينو ، أو تحت الوسادة .. فنظرت تحت الفراش وحوله .. وداخل أدراج الكومودينو .. دون أن أعثر عليها .. فرفعت الأغطية من على الفراش .. ونفضتها جيدًا كأنما أزيل عنها الغبار .. وجعلتها تطرقع فى سماء الحجرة .. وأفرغت الوسائد من أكياسها .. وفعلت بالأكياس ما فعلته بالأغطية .. ورفعت الحشية لأرى جيدًا ماتحت الفراش .. وبحثت فوق السجاجيد وتحتها .. كما بحثت فى جيوب المنامة والروب .. وذهبت إلى التليفون وفحصت المنطقة المحيطة به .. فلربما أكون قد أخذتها معى حين دق جرس التليفون فى السابعة والربع .. وبحثت فى الثلاجة .. وفتشت كل مكان يحتمل أن تكون به الساعة .. وأعدت التفتيش .. ولكن الساعة كانت قد اختفت .

* * *

فى التاسعة والنصف .. فتح الخادم باب المنزل بالمفتاح الموجود معه ، وسألته عن الوقت .. فأجاب بأنه كذلك ، وتبع ذلك بأن قال بأن سؤالى لامحل له .. لأنى أعرف أن هذا موعد وصوله بالضبط .. وسألنى إن كان سؤالى يحمل معنى التأنيب .. فأجبته بأنى فقدت ساعتى ليس إلا .. فقال إنى ربما أكون قد نسيتها عند أحد أصدقائى .. فأجبته بأنها كانت فى معصم يدى فى الساعة الواحدة من صبَاح اليوم حين أويت إلى الفراش .. وإنى نظرت إليها قبل أن أطفئ النور .. وكانت عقاربها تشير إلى الواحدة وثلاث دقائق .. وإنى خلعتها ووضعتها فوق الكومودينو بعد ذلك فسألنى إن كان هذا آخر عهدى بها .. فأجبته بالإيجاب .. وانهالت علىّ الأسئلة بعد ذلك .. وظل يستجوبنى ويبدى آراءه واستنتاجاته إلى أن كرهت الساعة .. وكرهت نفسى .. وكرهت اللحظة التى أفضيت إليه فيها بهذه الواقعة ..

وأخيرًا وحسما للنزاع .. قلت له : إنه سيجدها حتما أثناء تنظيفه للمنزل .. وخرجت إلى الشارع عدوًا .

* * *

الفصل الثانى

أدرت سـيارتى القديمة بعد أن تجشئات وعطست .. وبعد أن زقها معى أحباء النبى .. وصدر عنها صوت كهدير الرعد .. ثم خرجت أتهادى بها فى شوارع العاصمة .. بينما تمرق السيارات الأخرى من جانبى كالقذائف الطائشة .

وتلكأت هنا وهناك لقضاء حوائجى .. ثم مررت على الدكان الذى أمتلكه .. لأتأكد من سوء حاله .. وكساد تجارتى .. وسألت عم إبراهيم " المدير العام " عن الأحوال .. فاكتفى بأن تنهد دون أن يعنى بالنظر إلى .

وعم إبراهيم هو المدير العام والعامل الوحيد بالمحل .. وبالرغم من أن عددنا اثنين .. عم إبراهيم وأنا .. إلا أن وجودنا معا يجعل المحل مزدحم أكثر من اللازم .. فهو لايحتمل أكثر من أحدنا .

ومن ثم استودعته الله .. وتوجهت إلى المقهى حيث مسحت حذائى .. وجلست أتابع ببصرى الرائحين والقادمين .. إلى أن زهقت .. ولم ألبث أن نهضت وتوجهت إلى النادى الرياضى الذى مازلت أحتفظ بالعضوية فيه منذ أن كنت لاعبا رياضيا .

والجلوس فى النادى خير من الجلوس على القهوة .. لأن المناظر أمتع .. والخضرة فى كل مكان .. والمياه الرقراقة فى حمام السباحة تملأ النفس بهجة .. وبقيت فى النادى إلى أن حانت الظهيرة .. فقررت العودة إلى المنزل .. وماكدت أنهض حتى هلّ علىّ صديق لم أره منذ نحو خمسة عشر عاما وأخذته بالحضن دون أن أتذكر اسمه ..

وغامرت بأن سألته عن الأحوال مناديًا إياه " بأبو حميد " على اعتبار أنها تصلح لمحمد وأحمد وحمودة وحمدى وحمادة .. وهم نصف سكان مصر . ولكنى فوجئت بأن اسمه فخرى .. فضحكت .. وقلت كلاما فارغا .. وأخذتها سبهللة وفاتت .

ثم سألنى هو عن صحة والدتى .. فأخبرته أنى غير واثق من صحتها ؛ لأنها ميتة .. فأبدى أسفه العميق .. وقال لى إن الباقية فى حياتى وإنه .. والله .. لم

يعرف .. وإلا لكان قد واسانى حتى ولو ببرقية .. وسألنى بلهفة .. إمتى الحكاية دى وحصلت إزاى .. فلما أخبرته أنها حصلت من اثنين وثلاثين سنة .. تبلم .. وفتح فمه ليقول شيئا .. ولكن لم يجد شيئا يقوله .. فظل فمه مفتوحا .. بينما طلت من عينيه نظرة جوفاء .. كأنما وقع ولم يعرف كيف يخرج من هذا المأزق .

فضحكت .. ولم يلبث أن ضحك معى وقال :

ما أنت برضه ما كنتش عارف اسمى ..

وتجاذبنا أطراف الحديث .. واسترجعنا أيام الماضى .

وقال : يا بنى داحنا كنّا بنضحك ضحك .. داحنا سرقنا يومين من الدنيا بالأونطة والفلس .. أما دلوقت مش عارف إيه اللى حصل . غمضت وفتحت .. لقيتنى متجوز وعندى عيلين .. مشع عارف أأكلهم .. وفهمت منه أنه خريج تجارة .. وأنه موظف ومرتبه بسيط . ولا يقبل هدايا .. وسألنى عما أفعل .

فخجلت من أن أخبره بحقيقة أمرى .. وبأمر الدكان التعس .. وعم إبراهيم .. وبأنى لم أحصل على شهادات بعد الثانوية العامة ..

ومن ثم كذبت عليه وقلت : إنّى أعمل مزارعًا فى الأرض التى ورثتها عن أبى .. ولم يهتم كثيرًا لحديثى .. إذْ كان كل همه أن يشكى لى حال الدنيا .. وأن كيلو اللحم اللى كان بكام أصبح بكام .

واستمر يثرثر .. وأنا أتابعه قدر اجتهادى .. فقد كنا نجلس قريبا من حمام السباحة .. والفتيات لابسات البكينى .. تسببن لى " خيلة " .

فبعضهن يأخذن حمام شمس .. وأنا أدقق الطرف لأرى .. ولكن أرض حمامات الشمس بعيدة .. فلا أكاد أراهن إلا طشاشا .

وبعضهن فى الماء .. وهؤلاء لا جدوى منهن .. فما دامت الفتاة غطست .. ضاعت معالمها .. ولم يبق منها إلا رأسها .

والقليل الباقى يلعبن حول الحوض .. ولكن لا يلبثن أن يقفزن فى الماء أو يعدن إلى منطقة الشمس .

وجلستى مع فخرى " ستجيبنى ورا " فما أنا براءٍ لما أود .. وما أنا بسامع لما يقول .. فقاطعته قائلا :

- بقولك إيه
- إيه ؟
- ما تيجى " يا بنى ناخذ لنا حمام شمس مع العالم إلى هناك دول .. بدل قعدتنا دى اللى زى قلتها ..
- عمرك أطول من عمرى .. أنا أصلى لسه مشترك فى النادى ما بقاليش شهر . وعاوز آخذ بحقى .. وحتى جايب معايا المايوه .

وتبع كلامه بأن أرانى جريدة ملفوف بها ما أسماه بالمايوه :

وذهبنا لخلع ملابسنا ..

وخرجنا إلى الشمس .. فإذا منظرنا تكفهر له الوجوه فصديقى أبيض وسمين . وأرجله رفيعة كالعصتى .. أما أنا فنحيف وطويل .. ولونى لا هو بالأسمر ... ولا القمحى .. ولكنه ترابى .. فجسمى لم ير الشمس منذ العام الماضى .. كما أن نزولى الحمام لا يعدو المرتين أو الثلاث فى أشهر الصيف ؛ لأنى بلا أصدقاء من الشباب .. وكل أصدقائى ومعارفى من العجائز لاعبى الطاولة .

كنتُ أقول : إن منظرنا لم يكن يسر الرائى بسيقاننا الرفيعة التى تطل من ألبسة بحر فضفاضة .

ولا يمكن للناظر إلينا أن يتجاهلنا .. فقد يمر الشخص العادى دون أن يفطن إليه أحد ..

أما نحن فقد أضفنا جوا من الكآبة على صورة النادى المبهجة وإذا به يقول :

- الناس بتبص عليك واللاَّ علىَّ ؟؟

فقلت له : اتنيل بقى .. ومد خلينا نتّاوى فى حتة .. أنا عارف إيه اللى خلانا قلينا عقلنا وقلعنا .. ما كنا قاعدين بكرامتنا .. لا حد شايفنا.. ولا حد دارى بينا .

فقال : هوه إيه الحكاية

قلت : لا حكاية ولا هباب .. اهمد بقى وتعالى نام هنا .. وانزوينا فى طرف المكان واستلقينا على الحشائش ولم تلبث زوبعة الاستياء التى أثرناها أن تلاشت وأصبحنا نسيا منسيا .

وربما أعطيت المشكلة أكثر مما تستحق .. فأشباهنا موجودون فى كل مكان ولكن خجلى وانطوائى يجعلانى أتوهم أشياء قد لا تكون ..

وخجلى هذا ينكد على حياتى .. فأنا لو وقفت أكلم سيدة أو آنسة ... فإنى أتهته وأتلعثم .. وأتصبب عرقا .. وأقول كلاما لا يناسب المقام .. وقد يرتج على القول فلا أتكلم إطلاقا .

ولا يستوجب فى السيدة أو الآنسة أن تكون مليحة أو ذات شخصية ، حتى يحدث لى ما يحدث .. لكن مجرد التقائى بالأنثى يجعلنى أرتجف .. وتصبح تصرفاتى عجيبة . ومن تكلمنى مرة .. تزهد فى الكلام معى بعد ذلك .. فلا تكلمنى مرة أخرى .

وربما كان هذا هو سبب عدم زواجى حتى الآن .. لأن المرأة تكره الرجل الضعيف فاقد الثقة .. وتحب الرجل الجسّور المنطلق .. ذو الوجه الكالح .. الذى لو وصفته بأنه جزمة .. لما ثار لكرامته .. بل ان طرب كما لو كانت تمدحه ..

وعلة خجلى وانطوائى ليست نتيجة لتراكمات سابقة أو لأحداث مترسبة فى العقل الباطن أو الظاهر .. ولكنى خجول وانطوائى وغلبان .. هكذا دون فلسفة .

* * *

استلقينا على الحشائش والأجساد البرونزية المشدودة كاليايات .. متناثرة هنا وهناك .. والانسجام يزحف على روحى كالنسيم .. فأغذى نفسى وأعب من السعادة عبا .. ولكن إذا فخرى يقول :

– عارف جوز الجزمة بقى بكام ؟؟

فقلت لنفسى .. يا فتاح يا عليم .. وقلت له :

– متع نظرك يابنى ..

فقال : أمتع نظرى بايه .. دا الواحد مش عارف يلاقيها منين والا منين .

واسترسل يتمم الحديث الذى كان قد بدأه حين كنا بملابسنا .. فتركته يتكلم وفق هواه .. إلى أن أتت شويكار .

وهنا فقدت القدرة على متابعته تماما .. وأصبح صوته يصل إلىَّ كطنين ذبابة صيف راحلة .

وشويكار حين تأتى تحدث لى تغييرات فسيولوجية حقيقية .. فأصبح " عليل ومرضان ومفكوك المفاصل " .. " ومهكع ويائس وريقى ناشف " .. "وسايب وهمدان وهبطان " وشويكار هى أجمل شيء يمكن أن تقع عليه عين إنسان .. ولا أقول: أجمل امرأة فالمقارنة بينها وبين النساء معدومة .. ولو أن ليلى علوى رأتها لما اختلفت معى فى الرأى .. فهى أجمل من البحر .. وأجمل من قرص الشمس الغارب بأشعته الرائعة الضاربة فى السحاب الأرجوانى .. السابح فى فضاء السماء الأزرق اللانهائى وأجمل من الماس والياقوت والزبرجد .. وأجمل من حديقة بها كل أنواع الورود والزهور التى عرفتها الطبيعة .

وهذا الجمال الزائد عن الحد .. لا أطرب له بقدر ما أشقى من رؤياه .

وليس مبعث شقائى أنى أرغب فيها .. وعاجز عن نيلها .. فأنا لا أفكر إطلاقا فى أن تكون عشيقتى أو صديقتى .. فهى أبعد كثيرًا عن حدود أحلامى .. وخيالى أضعف من أن يصل إليها .

وقد حاولت مرة أن أنسج قصة من أوهامى ، جاعلا إياها تجلس معى نتجاذب أطراف الحديث .. فإذا الخيال يتشوه تشوُّها عنيفا ..

لأنى فوجئت بنفسى أرتجف فرقا .. وأنا جالس إليها .. كأنما فنجان شاى على مائدة مخلوعة .. فى عربة قطار .. ليس بها صامولة واحدة مربوطة ..

وقد ساءلت نفسى مرارًا .. لماذا لا أغادر المكان حين تهل بطلعتها .. إن كانت تسبب لى كل هذا العذاب .

ولكنى وجدت أنى غير قادر .. لأنى أقع داخل المجال المغناطيسى الخاص بها وأصبح كمسمسار صغير لا حول له ولا قوة .. أمام مغناطيس وزنه خمسة أطنان .

وكل ما يفعله المسمسار هو أن يتشبث بقطعة خشب حتى لا يندفع كالقذيفة نحو المغناطيس .

وكنت أتابعها بعينى كعصفور بائس أمام ثعبان كبير .. وأظل أتابعها طيلة الساعات التى تمكثها بالنادى .. مرتدية ذلك البكينى البرتقالى .. الذى يمكننى أن أضعه بقطعتيه داخل علبة سجائرى .. إلى أن تنصرف .

وإذ ذاك أذهب إلى المقعد الذى كانت تجلس عليه .. وأتحسس الخيرزان الذى لامسها .. وتجتاحنى إذ ذاك نشوة لا حد لها .

لأن الذعر الذى سيطر على من جراء وجودها يكون قد انتهى .. ولم يبق سوى المقعد الحبيب الذى لامس جسدها .. فنظل نتناجى .. المقعد وأنا .. إلى أن أزهق منه .. ومن ثم أربت عليه واستودعه الله وانصرف ..

أما لو أنها استلقت على الحشائش .. لتعرض جسدها للشمس .. وهو ما لا يحدث كثيرًا .. فإنى أتربص بالأرض التى رقدت عليها .. إلى أن تزهد فيها .. ومن ثم أسارع إليها وأرتمى عليها أتشممها وأضع خدى عليها فى غفلة من الناس.. الأرض وليس شويكار .

وهكذا كنت أحب الأشياء التى تربطنى بها .. أتحدث إليها وألثمها سواء كانت جماد أو نبات .. أما شويكار نفسها فكنت أرتعب منها .

* * *

وكان فخرى لا يزال يطن كالذبابة .. حين خرجت الفتاة من غرفة خلع الملابس مرتدية ملابس الاستحمام .. وهو لا ينقطع عن الكلام .. فلكزته بكوعى.. فنظر إلىّ قائلا :

- إيه

فأومأت له برأسى نحوها .. فنظر إلى حيث كانت .. ثم رجع برأسه للوراء كأنما قد انفزع .. ولم يلبث أن نهض من رقدته .. وجلس على مؤخرته .. وخلع النظارة ومسحها بأصابعه بسرعة ..كأنما ليستوثق من أن ما رآه لم يكن خدعة .. ثم ارتداها ودقق النظر ثانية .. وقد قطب حاجبيه .. ثم قال دون أن يلتفت إلى .

- إيه ده ؟؟

قلت : إيش عرفنى .. أهى واحدة

فقال : واحدة .. أنت جرى لمخك حاجة .. دى مش واحدة دى .. دى وأرتج عليه الكلام فترة .. ثم نطق ..

- أنا مش عارف إيه دى .. مش عارف أقول حاجة .. دى برضه بنى آدم دى من فصيلة الإنسان .. دى .. عندها مصران غليظ وبنكرياس

صب .. دى عجينة أناناس بالفزدق .. قوم يا حمار اتفرج .

قلت : ماديني متنيل أهوه ..

ولكنى نهضت من فورى .. لأنه أمسكنى هذه المرة من رقبتى وخشيت إن لم أسمع كلامه .. أن يضربنى ..

ثم قال : دلوقت بالهداوة .. ربنا يرضى عليك يا بنى .. إيه دى ..

فقلت : يعنى شايفنى فالح قوى .. واحدة اسمها شويكار ..

– عندها كام سنة ..

– تسعتاشر ..

– بتاكل إيه ؟؟

قلت : مش فاهم ..

قال : يعنى بتاكل لحمة ورز وخضار زينا

قلت : لازم

قال : لازم ياجاهل .. لازم يا مغفل .. دى بتاكل رحيق الورد .. بتاكل غذاء ملكات النحل .. دى ملكات النحل إللى فى العالم .. بتقوم من الصبح.. من الصبح إزاى .. من الفجر .. تجمع الأكل بتاعها فى طبق كريستال مرصع بالألماظ .. وتقوم الملكات كلها تشيل الطبق وتطير بيه فى الهوا .. لحد ما تحط بيه على شباك أوضتها .. وبعدين تبعد من غير حس ولا خبر .. لحسن تصحيها من النوم .. وبعد كده تيجى فرقة البلابل والكروان تغنيلها شويه .. وتعيط شويه . لحد ما شويكار تتقلب فى سريرها .. إللى مرتبته من زغب اليمام .. وبعدين عينيها تتفتح .. فالدنيا تضحك .. والشجر يرقص .. والنخل يرمى البلح اللى عليه والتفاح والكمثرى وجوز الهند تقع على العالم الغلابة عشان تاكل .. يعنى يابنى جوزة الهند إللى بتقع على دماغ البنى آدم اللى نايم عند خط الاستواء .. فاهم أنها وقعت كده لوحدها .. أحمدى ؟؟ أبداً يا حمار .. دى وقعت لأن الشجرة إللى على بعد

تلات تلاف ميل .. فرحت لما شويكار فتحت عينيها .. فرمت الجوزة على الغلبان إللى متلقح تحتها .

* * *

أخذت أستمع مشدوهاً لفخرى الذى كنت أظنـه لا يتكلم إلا عن اللحم والباميـة والشكوى من حال الدنيا .

وكانت شويكار قد جلست على مقعد تحت أشعة الشمس .. ولم تلبث أن أخرجت سيجارة من حقيبتها وأشعلتها .. ونفثت دخانها فى الهواء .. فنظر إليها باشمئناط .

وقال : الملاك ده بيدخن ؟؟

فقلت : حريقة

وكاد أن يقول شيئا .. ولكنه تريث هُنَيْهَه .. ثم هز رأسه كأنّما قد عدل عن رأيه .

وقال : وماله .. الملاك يدخن .. الملاك يشرب معسل .. برضه ملاك .. غصب عن أى واحد .. الملاك حر يعمل اللى هوه عاوزه ..

ثم تساءل : أنت فاهم يا بنى أن دى بتطلع أكسيد كربون زى وزيك ..

فقلت : آه

قال : جاك أوى .. دى تاخذ أكسجين .. تطلعه أكسجين .. تاخذ أكسجين عاده .. تطلعه أكسجين بكولونيا .. دى تعدى على المستشفيات تنفتح فى وش العالم الميتانة .. إللى عندها ربو .. واللى عندها قلب .. هيه نفخة واحدة .. والعالم دى تقوم زى الحصنة .. عالم مالهاش لازمة .. وجودها فى الدنيا زى عدمه .. ولكن أهو كله لوجه الله .. عارف يا أخ .. أوده الإنعاش اللى فى أحسن مستشفى .. ارم الأجهزة اللى فيها .. اللى بمليون جنيه .. ارميها فى البحر .. وخللى شويكار تروح خمس دقايق والأوده تبقى آخر إنعاش .. تقعد إنعاش أربعة وعشرين ساعة .. أربعة وعشرين يوم .. كل ندل بعد كده يخش .. يخف .. ويروح على بيتهم .. فشعرت برغبة فى الضحك .. ولكن نظرة منه جعلتنى أتراجع .

فقال لى : أنت عاوز تضحك واللا إيه ؟ هوه أنا بهزر معاك ؟؟

فقلت : أبدا مش قصدى

فقال : هيه قاعدة فى الشمس ليه .

قلت : عشان تِسْمَر

قال : أبداً .. أهوأنت طلعت غبى فى دى كمان .. تسمر .. تبيض ما يهمش .. دى على كل لون برضه ملاك .. دى يا بنى قاعدة فى الشمس علشان تعرق ..

فقلت : " مستفهما " تعرق ؟؟

قال : أيوه

قلت : ليه

– استنانى .. وبعدين العرق ده يتعبى فى قزايز .. وتتباع القزازة بخمس تلاف جنيه .. أظن ما أنت فاهم أنها بتطلع زيت الحوت زيى وزيك .. لا يابنى لا .. دى بتنقط بارفان .. بارفان انشال وانهبد ديوكرستيان عشان يركبه ما عرفش ..

فقلت (مصححا) : كرستيان ديور ..

فقال : دى اللى أنت فلحت فيها .. مانت قاعد أهوه زى الكشك من الصبح ما فتحتش بقك بكلمة ..

فقلت : طب وأنت عاوز إيه دلوقت .. عاوز تتعرف عليها ؟؟

فقال : أتعرف عليها .. أنت اتهبلت فى مخك .. أتعرف على أقوى واحدة فى العالم ..

فقلت (متعجبا) : أقوى واحدة .

قال : طبعا .. أقوى منى ومنك وأقوى من رجّالة أجدع منى ومنك .. دى البنت دى أقوى من نابليون وهتلر وجورباتشوف وريجان صحيح هيه ما عندهاش جيش .. وما عندهاش أسلحة معدنية من أى نوع .. ووزنها مايزيدش عن ستين كيلو .. ولكن لو أن البنت دى ظهرت سنة تسعة وتلاتين .. ماكانتش الحرب العالمية قامت .

فقلت : " وأنا مازلت أتعجب " ليه بقى ؟؟

قال : ليه ؟؟ حاتفضل طول عمرك غبى .. أقول لك أنا ليه .. لأن البنت دى لو وقفت قدام هتلر فى الوقت ده .. وقالت له .. بطل يا واد بلاش لعب عيال .. لانتهت الحرب فى الحال .. وأنقذت أوروبا من الخراب .. تقول : أتعرف بيها .. أنا يابنى عاوز اشتغل عندهم .. شوف لى عنوان بيتهم إيه .. مش عاوز بكالوريوس تجارة .. ومش عاوز مراتى وعيالى .. حاروح أرميهم فى البحر.. وأروح اشتغل عند شويكار .. سفرجى .. مرمطون .. طباخ .. غسالة .. أغسل هدومها .. ندابة .. أقعد أعيط لها طول النهار .. أشوف مزاجها إيه .. أنا عاوز أخدم وبس ..

فقلت له : الله يكون فى عونك

قال : فى عونى أنا ..

وهز رأسه متحسراً وتابع ..

- فى عونك أنت .. على الأقل أنا بفضفض .. بقول اللى فى قلبى لأطرشق .. إنما الدور عليك أنت اللى ميت .. ميت من الحسرة وكاتم .. مش عارف تفتح بقك .. يابنى قول لى بيجرالك إيه ؟ قول يا حبيبى .. فضفض .. قول .. لا يطق لك عرق .. أنت بتشوف البنت دى كل يوم ؟؟

فقلت بأسى: أهو كل ما اجى النادى ..

قال : طب بطل بقى .. شوف لك نادى تانى .. شوف لك مصيبة اترمى فيها ..
هنا فيه زوبعة .. فيه عاصفة .. إعصار .. فيضان .. زلزال .. بركان .. بركان فيزوف .. الله يخرب بيوتكم .. قوم بينا نروح .
قوم بينا نهاجر
تعالى نروح استراليا .. نروح مدغشقر

- إيه مدغشقر دى ..

- أنا عارف .. أهي بلد والسلام .. بلد مافيهاش شويكار ..

فقلت : روق يابنى روق .. أجيب لك واحد لمون ..

- هات لي واحد بوتاسيوم .. واحد جبس .. عاوز آكل شيكارة جبس عشان أتجبس .. وتشيلوني مرابعة .. وتقلبوني في قرافة المجاورين ..

وصمت هنيهة ثم تابع :

- عاوز أروح البيت أجيب مراتي واجي .. عارف ليه ؟؟ عشان أفرجها على البنت دى .. وأقول لها إن أنا بحبها .. واستنى منها أى حركة غيرة .. غيرة حريم .. عشان أروح لاهفها قلمين .. تغير من واحدة ست .. واحدة بنت إنما تغير من زلازل .. تغير من كارثة ؟؟ تبقى قلة أدب .. قول لي يابني .. أنت بيجرى لك إيه لما تشوفها .

قلت : أقول لك بس ما تضحكش على

قال : مش حاضحك بس قول ..

فحكيت له قصة غرامى بشويكار التى لم تكن تعلم عنها شيئا .

* * *

الفصل الثالث

ما ولجت المفتاح فى باب الشقة .. ودخلت عتبة الدار حتى أتانى الخادم مهرولا ..

- هيه .. لقيت الساعة

فنظرت إليه بغاية التبلد وقلت :

- ساعة إيه ؟

ولكن الفكرة صدمتنى فى الحال .. وتذكرت موضوع الساعة .. وتذكرت أنى لم أُعِرْهُ أى اهتمام .. أى الموضوع .. لأنى كنت واثقًا من أنه سيجدها .. أما اختفاؤها هكذا فأمر يدعو للتأمل .. ومن ثَمّ سألته :

- إيه الحكاية .. مالقيتش الساعة ؟؟

فقال :

- أنا اللى بأسألك .. مالقيتهاش عند حد من أصحابك ؟؟

قلت : لا

قال : يبقى إيه بقى .. أنا قلبت الدنيا عليها .. مافيش ساعة .. أنت متأكد من الكلام اللى حكيتهولى عنها انهارده الصبح .

قلت : أيوه

قال : إيه الحركات دى بقى .. يعنى فيه عفريت جه وخدها .. لازم بقى عفريت ..

وهكذا وجدت أنى سأقع فريسة لمناقشة رهيبة كالتى رحت ضحيتها فى الصباح .. وأنا الآن أسوأ حالا من الصباح .. وحالتى المعنوية لا تحتمل مناقشة لغوية مع من لا يرحم .. والساعة ضاعت وانتهى الأمر .

ومن ثم خطرت ببالى فكرة أنقذ بها نفسى .

فقلت له : روح أنت دلوقت شوية .. وأنا حادور عليها بالهداوة فى الدولاب .. يمكن أكون حطيتها هناك من غير ما آخذ بالى .

فوافق على مضض .. وذهب إلى المطبخ .. بينما أقفلت باب المخدع على وخلعت ملابسى .. ثم ذهبت إليه مبتهجاً .

وقلت : خلاص يا عم لقيتها .. لقيتنى حاططها تحت القمصان .

فقال : ما تقول كده يا شيخ .. نشفت دمى .. أنا قلت كده من الصبح مش ممكن الساعة دى تضيع .. لازم أنت خافيها فى حتة ..

فقلت : لك حق .. كلامك مضبوط .. وعاوزين نتغدى بقى ..

وحمدت الله أن لم يطلب إلى أن أريه إياها .. ليتأكد من صدقى وتركنى وانصرف ..

وطبعا لم أجد الساعة .. ولكنها فقط اختفت إلى الأبد .

* * *

جلست أتناول طعام الغداء ساهما .. واجما .. ماذا حدث .. كيف اختفت هذه الساعة .. إن قيمتها المادية لا تعنيني في قليل أو كثير فهي رخيصة الثمن .. ولدى ساعة أخرى أحسن منها .. ولكن أين هى الآن .. إن شخصا ما قد أخذها .. ولكن من .. وكيف ..

لقد اختفت ما بين الواحدة وثلاث دقائق ، والسابعة والربع .. واللص الذى سرقها دخل المنزل في هذه الفترة .. فلقد لمستها بيدى ورأيتها بعيني في الواحدة وثلاث دقائق ..

وهذا يعتبر ضربًامن المستحيل .. إذ لا يوجد بالشقة آثار لعملية سطو أو أى شيء من هذا القبيل ..

وعلى أى فقد نهضت من فورى إلى باب الشقة لأتأكد من أن أحداً لم يعبث به .. وفحصت الباب جيدا .. فوجدت الأقفال كما هى .. والباب سليما ليس به خدش ..

ومن ثَمّ تركت الغداء وعدت إلى مخدعى .. وأغلقت الباب خلفى .. وبدأت أفكر بتركيز وترتيب منطقى .

إن الساعة ضاعت ما بين الواحدة وثلاث دقائق ، والسابعة وخمسة عشر دقيقة .. والذى استولى عليها لص .. ولكنه لم يدخل الشقة عن طريق الباب .. لأنه سليم كما أسلفت .

إذن فلابد وأنه دخل من إحدى النوافذ .. ولكننى أسكن الدوّر الرابع .. والصعود من الشارع إلى الدور الرابع يعتبر ضربًا من المستحيل أيضا .. والنوافذ التى على المنور مزودة بالقضبان .. إذن فلابد وأن اللص قد هبط من فوق سطح المنزل بواسطة حبل أو شيء من هذا القبيل .. ولابد أنه لم يدخل من نافذة المخدع .. لأنى أغلقتها قبل أن أنام .. وظلّت مغلقة حتى استيقظت فى الصباح .

إذن فهو دخل الشقة من أحد النوافذ الأخرى .. ثم دخل مخدعى حيث أخذ الساعة من فوق الكومودينو ثم انصرف ..

والآن دعنى أرى الأشياء التى ستصادف اللص أثناء مروره بالمنزل حتى يصل إلى غرفة النوم .. ولنترك أثاث المنزل جانبا .. ولنترك الفازات والبيبلوهات التى قد يظنها ثمينة ويسهل حملها .

إن بجوار باب المخدع تماما ، توجد مائدة صغيرة أفرغ عليها محتويات جيوبى عادة قبل أن أدخل لأنام .

والآن دعنى أتذكر ما وضعته على هذه المائدة .. نعم .. لقد كانت هناك محفظتى وبها بعض النقود وسلسلة مفاتيح ذهبية .. وقلم حبر .. ونظارة برسول .. وولاعة رونسون .. وربما علبة سجائر ومنديل ..

ومن ثم نهضت ، وراجعتُ هذه الأشياء .. فوجدتها سليمة تماما .. لم ينقص منها أى شىء .. إذن فاللص تجشم عناء الهبوط من السماء .. ومر بهذه الأشياء التى لم تستهوه فى قليل أو كثير .. ولكنه حضر خصيصًا من أجل أن يأخذ ساعة معينة .. لا يتجاوز ثمنها أربعين جنيها .. من فوق كوميدينو معين .. إلى جوار فراشى .

وهذا التفسير بالرغم من شدة ضعفه .. إلا أنه التفسير الوحيد الذى توصلت إليه .. لأنى لا أقبل بحال أن أعترف بأن الساعات تتلاشى فى الهواء .. أو تأخذها العفاريت ..

العفاريت ..

نعم لقد قال مصيلحى الخادم .. يعنى عفريت أخذها والا إيه ؟

لقد قالت لى فتاة يوما إن أمها صحت من النوم ولم تجد ساعتها .. فأحضروا رجل " بتاع مندل " وأخبرهم أن الساعة أخذها الأسياد .

وأن الشخص الذى تأخذ الأسياد ساعته يصبح غير خاضع لقانون الزمن .

ولما سألتها عن قانون الزمن أجابتنى إنها لا هى ولا " بتاع المندل " .. يعرفان .

وطبيعى أن هذا كلام تخريف .. لأن المنزل الذى ضاعت منه هذه الساعة كان يَعُجّ بالأبناء والبنات والخدم .. ومن الجائز أن أيًا منهم لطش الساعة وباعها وانتهى الأمر .

أما مشكلتى فمختلفة تماما ..

ويجب أن أعرف أين ذهبت هذه الساعة . .

ولكن يا إلهى ..

إن هناك مصيبة تنتظرنى ..

ولقد غابت عن مخيلتى طيلة هذا الوقت .

فهذه الساعة مرتبطة بحياتى .

كيف ؟؟

وحتى أجيب على هذا السؤال .. يجب أن أعود قليلا إلى الوراء .. وأتوسل إلى القارئ أن يتحمل منى الإسهاب فى السرد .. لأن هذه الرواية مرتبطة بلغز له علاقة مباشرة بالبعد الرابع .. وبدون ذكر الوقائع بالترتيب وبالضبط لن يكون لهذه القصة أى معنى .

لقد اشتريت هذه الساعة منذ عامين من شخص أتى بها معه من الخارج . وكانت جديدة .

والتاريخ فيها يشير إلى اليوم الرابع من الشهر .. بينما التاريخ الحقيقى هو العشرين .. وبناء عليه أخذت أدير عقاربها ستة عشر يوماً .. وكل يوم مؤلف من أربعة وعشرين ساعة إلى أن انبرت أصابعى من فرط لف مفتاح الساعة .. وقد آلمتنى أصابعى بدرجة أنى قررت ألا أدع هذه الساعة تقف بعد ذلك .

وكان إعجابى بها لا حد له .. أولا عقاربها تضىء فى الظلام .. فبنظرة واحدة كنت أعرف الوقت إذا ما صحوت فى منتصف الليل .. دون ما حاجة إلى نهوض وتوليع وما إلى ذلك ..

وثانيا .. لأني بواستطها كنت أعرف تاريخ اليوم .. وهذه ميزة هامة بالنسبة لى .. لأنى نادراً ما كنت أعرف اليوم .. لأنى بلا عمل .. والذين يعملون هم فقط الذين يعرفون التاريخ .. أما العاطلون فتتشابه الأيام عندهم .. ويصبح التاريخ بلا معنى أو لزوم بالنسبة لهم ..

ومن ثم تركت ساعتى القديمة .. بالرغم من أنها تعمل بالبطارية واستعملت الجديدة .. وكنت أملؤها كل صباح .. فى نحو التاسعة .

* * *

ولكن حدث فى أحد الليالى ، بعد بضعة أشهر .. أن تذكرت أنى لم أملأها فى الصباح .. وكانت الساعة تناهز منتصف الليل ..

فنظرت إليها وأنا واثق من أنى سأجدها قد توقفت .. ولكن لشدة عجبى وجدتها لازالت تعمل .. فأنا أعرف أن مصانع الساعات تصممها على أن تجعل ملئها يسيّرها مدة ثلاثين ساعة .

على إعتبار أن العميل يملؤها كل أربعة وعشرين ساعة .. وست ساعات كاحتياط فى حالة السهو .

ولكن مضى حتىالآن تسعة وثلاثون ساعة .. دون أن تقف .. ومن ثم ملأتها .. وكانت عقاربها تشير إلى الثانية عشرة والنصف .. وقررت أن أتركها دون ملء إلى أن تقف ، حتى أعرف طاقة هذا الزنبرك .

وبعد ثمان وأربعين ساعة من هذا الوقت ، كانت لازالت تعمل .. فأيقنت أنها مصممة للعمل يومين بملئة واحدة .. فزاد إعجابى بها .. ولكنى رأيت أن أتركها دون ملئها إلى أن تقف .. حتى أعرف الوقت الاحتياطى المتروك للسهو .

وذهبت إلى فراشى .. ورحت فى النوم ..

وكانت ليلة سوداء ..

إذ لم يكد يمر على ذلك أربع ساعات حتى صحوت من النوم على آلام من يفارق الحياة .

فلا أنا قادر على استنشاق الهواء .. وقلبى يدق بطريقة لابد وأن ينخلع بعدها من مكانه .

والآلام الرهيبة التى تعم جسمى لا يمكن تحديد مكانها .. لأنها اجتاحته من أوله لآخره .

ورأيت أن بقائى فى الفراش لا يعنى إلا الموت ..

وبناء عليه استجمعت ما بقى لى من قوة لأضىء النور .. ولأذهب إلى التليفون لأستغيث ببوليس النجدة .

ونظرت إلى الساعة لأعرف الوقت .. ولكنها كانت قد توقفت ، لأنها أصبحت خاوية .. وعقاربها تشير إلى الرابعة وأربع وثلاثين دقيقة .

ولست أدرى أى إلهام هذا الذى أتانى فى تلك اللحظة لأعبث بمفتاح الساعة وأنا أسير كالكسيح متوجها نحو التليفون .. وأدرت المفتاح مرتين أوثلاث .

وتحركت عقارب الساعة ..

وجلست على الأرض وأنا فى النزع الأخير .. والتليفون إلى جوارى .. ورفعت السماعة .. وطلبت رقماً .

وأخذ التليفون يدق مدة طويلة دون أن يجيبنى أحد .. فتعجبت من نوم البوليس .. هل ينام البوليس هو الآخر ..

ولكن يبدو أنى طلبت رقما خاطئا .. لأن لم تلبث السماعة أن رفعت فى الطرف الآخر .. وجائنى صوت نسائى ملول يقول :

استعلامات ..

فقلت : مش هوه ده البوليس النهرى .

فقالت : نعم يا أستاذ .. بتقول عاوز إيه ؟

فقلت : لامؤاخذة .. قصدى الأوتوبيس النهرى ..

فقالت : إيه .. إيه .. بتقول إيه ؟

فقلت : قصدى .. البوليس السياحى ..

فقالت : الله يخرب بيوتكم .. هوه أنتو ماوراكوش غير قلة الأدب .

وأقفلت المواصلة .

فأمسكت السماعة الصامتة فى يدى وأخذت أنظر إليها وأنا فى حيرة من أمرى .. كيف خلطت بين بوليس النجدة والبوليس النهرى .

وجلست محاولا أن أتذكر رقم بوليس النجدة .. ولكن لم تسعفى الذاكرة .. ففكرت أن أطلب نفس الرقم وأسأل فتاة الاستعلامات .

ولكنى عدت ونبذت الفكرة .. لأن الفتاة ما أن سوف تسمع صوتى مرة أخرى . حتى ستسمعنى ألفاظا أسوأ من سابقتها .. وقد كنت فى الواقع .. مستعدًا للإهانة . ولكنها قطعاً لن تعطينى رقم شرطة النجدة ..

ومن ثم نهضت لأحضر دليل التليفون .. ولكنى لم أجده فى مكانه .. فطفقت أبحث عنه فى المنزل .. لابد وأن الخادم أخفاه فى مكان ما .

ولكنى لاحظت أثناء طوافى بالشقة أنى لا أتأوه ولا أصرخ كما كنت أفعل منذ دقائق .

ماذا حدث ؟

إن قلبي الذى كان سينخلع قد أصبح أكثر ثباتا فى مكانه ودقاته آخذة فى الانتظام شيئا فشيئا .

وتنفسى أصبح معقولا إلى حد ما ..

وآلامي .. لم تنته .. ولكنها أصبحت أكثر احتمالا ..

ومن ثم عدلت عن البحث .. وذهبت إلى الفراش حيث استلقيت على ظهرى .. وأخذت أراقب حالي .. الذى ما أن مرت ساعتان من الزمن حتى كنت طبيعيا تماما ..

ومن ثم أكملت ملء الساعة .. وأخلدتُ إلى النعاس على أن أذهب للطبيب فى الصباح .

* * *

الفصل الرابع

عندما صحوت من النوم ، وأدرت المذياع لأضبط ساعتى التى كانت قد توقفت أثناء الليل .. ولشدة ما كانت دهشتى أن وجدتها متأخرة عن الوقت إحدى عشرة دقيقة .. إذن فهذا يعنى أنها توقفت فى اللحظة التى بدأت فيها آلامى بالضبط .. لأن الفترة التى واجهت فيها عذاب الموت ، قبل نهوضى للتوجه إلى التليفون كانت نحوا من هذا الوقت أى الإحدى عشرة دقيقة .

ما أعجب هذه المصادفة .

هل تقف الساعة مع قلبى فى نفس الوقت ؟؟

حقيقة أن قلبى لم يتوقف .. بل كان يدق بمنتهى العنف .. ولكن لم يكن بإمكانه أن يدق هكذا طويلا .. وباعتقادى أن نصف ساعة بمثل هذا الدق كانت لابد وأن تقضى عليه ..

وعلى كل فقد ذهبت إلى الطبيب .. الذى وصفت له ما حدث لى أثناء الليل ..

ولكن بعد أن تفحصنى جيدا أخبرنى أنى ولابد وأنى واهم .. أو أنى تناولت وجبة كبست على أنفاسى وسببت لى ما حدث .. أما قلبى فلا يوجد به أثر لهذه القصة .. فشكرته وانصرفت .

واستغرقت في التفكير لعدة ساعات .. خرجت من بعدها باعتقاد راسخ .. هو أن هذه الساعة بها علة ما .. وأن حياتى مرتبطة بها ارتباطا وثيقا ..

فلو أنها توقفت .. لتوقفت حياتى معها ..

ومن ثم استحال إعجابى بها .. إلى خوف منها ..

وأصبحت أملأها بمجرد صحوى من النوم كل صباح .. ولم أستفد من كونها تملأ كل يومين ..

وربما كان ما حدث مصادفة محضة ..

وربما كان هذا تفكير خيالي .. وتخريف لا معنى له ..

إلا أنى لم أعد مستعداً لمثل هذه التجربة الرهيبة مرة أخرى ..

وسواء كانت مصادفة .. أو حقيقة .. أو تخريف أو أى شيء .. فماذا يضيرنى أن أملأ ساعتى كل صباح ..

وبعد أن كنت حريص على ألا تقف من أجل أصابعى التى انبرت من ملئها فى المرة الأولى .. أصبح الآن لدىّ سبب أشد وجاهة لاستمرار سيرها دون توقف .

* * *

الفصل الخامس

وقد مر على هذا الحادث أكثر من عام ونصف الآن .. وهى تسير بانتظام دون أى متاعب .. إلى أن وقع حادث اختفائها صباح اليوم ..

والآن ماذا سيحدث ؟؟

إن الساعة ليست معى ..

وبالتالى فلن أتمكن من ملئها ..

وستتوقف حتما بعد أن يفرغ زنبركها .. اللهم إلا إذا كان يملؤها من بحوزته الساعة الآن .

ولما كانت كل الدلائل تشير إلى أن أحداً لم يأخذها .. ولكنها فقط اختفت بطريقة غامضة .. فإنه من المرجح أنها ليست فى حوزة أحد ..

وبالتالى فلن يملأها أحد .

وبالتبعية سوف تتوقف حياتي بتوقفها عن الدوران ..

وبدأت أحسب الفترة الباقية لي في الحياة .. متى ملأتها آخر مرة .. نعم .. لقد كان ذلك أمس الأحد في الساعة الثانية عشرة تماما ..

وإني أذكر ذلك بالتحديد .. لأني كنت قد ملأتها في الصباح كعادتي . ولكن في الظهيرة كنت أستمع إلى راديو سيارتي حين دقت ساعة الجامعة الثانية عشرة فنظرت إلى ساعتي لأتأكد من انضباطها .. ومن ثم شككت في ألا أكون قد ملأتها في الصباح .. فأوقفت السيارة وملأتها .

ولكني ماكدت أفعل حتى أيقنت أني قد ملأتها في الصباح .. لأنيّ ما أن أدرت المفتاح قليلا حتى توقفت دليل الامتلاء .

إذا فقد كانت ممتلئة تماما في الثانية عشرة من ظهر الأحد .. وهذا يعني أنها سوف تتوقف في الرابعة وأربع دقائق من بعد ظهر الثلاثاء .. لأن طاقتها اثنان وخمسون ساعة وأربع دقائق كما عرفت من التجربة السابقة .

واليوم هو الاثنين .. والساعة نحو الخامسة مساء .. إذن فقد بقي لي على قيد الحياة نحواً من ثلاث وعشرين ساعة ..

ما لم ..

ما لم .. أجد حلاً لمشكلتي قبل هذا الوقت .. ولكن الحل ليس له سوى طريق واحد .. هو أن أجد الساعة .

* * *

الفصل السادس

صحوت في الصباح الباكر وأنا واقع تحت تأثير فكرة المنيّة التي ستلاحقني بعد ظهر اليوم – الثلاثاء – فأتيت ورقة وقلما .. وجلست أكتب النعي الخاص بي .

ولكني احترت فيما أكتب .. فأنا لا أعرف من أقربائي سوى عمي شكري .. وهو صاحب مصنع حلاوة طحينية بالإسكندرية .. وعمتي إقبال بميت غمر .

أما أبناء عمي .. فلا أعرف منهم سوى واحد اسمه جلال .. ولا أعرف ماذا يعمل .. وابنة اسمها حكمت لم يفكر أحد إطلاقا فى تزويجى بها .. أما عمتى فلا أعرف اسم زوجها .. وبالتالى أبناءها .

وإذا انتقلنا إلى عائلة والدتى .. وجدتنى جاهل تماماً .. لأنها ماتت عندما كنت فى الخامسة وانقطعت صلتنا بعائلتها منذ ذلك الحين .

ومن ثم ألقيت الورقة والقلم .. إذ ليس من المعقول أن أكتب نعياً لن يقرأه أحد .. وأعمل صيوانا لن يحضر فيه سوى أصدقاء مصيلحي وعم إبراهيم .

ونهضت متوجها إلى القرافة .

وهناك التقيت بحارس المقبرة الخاصة بنا .. وبعد السلام وما إلى ذلك .. سألته عن سبب عدم نظافة المكان ..

فقال : ننضفه يا سعادة البيه .

قلت : أنا عاوز الحتة تبقى زى الفل النهارده بعد الظهر .

قال : حاضر يا بيه ..

قلت : أصل إحنا جايين إما النهارده أو بكره الصبح على الأكثر .

قال : البقية فى حياتك ..

قلت : مافيش باقى

قال : نعم ؟؟

قلت : لا ولا خاجة ..

- آه .. طب ولا مؤاخذة يا بيه مين إللى مات ؟؟
- لسه ماماتش
- أمال لا سمح الله فيه حد عيان قوى ؟؟
- لا مش قوى
- أمال إيه الحكاية ؟
- أبدا .. بس فيه واحد حايموت انهارده بعد الظهر .. لكن ماعرفش حايلحق يتدفن النهارده أو بكره الصبح ..
- آه .. فهمت يعنى واحد واخد إعدام ..
- لا مش واخد إعدام

- يعنى مش واخد إعدام ولا عيان
- لا ..

فضيق عينيه حتى لامست رموشه القليلة بعضها كمن يحاول أن يرى شيئا آتيا من بعيد .. ثم سألنى :

- النهارده بعد الظهر
- أيوه
- وحاتيجوا تدفنوه هنا ؟؟
- هم حاييجوا يدفنوه .. مش أنا ..
- يعنى أنت مش جاى معاهم ..
- لا أنا جاى معاهم ..

فهرش رأسه قليلا ثم نظر إلى الأرض .. ومكث هكذا فترة ثم رفع وجهه ونظر إلى بنفس العينين الضيقتين .. قائلا : كأنما أصبحت المحادثة أطول من اللازم ..

- عاوز حاجة تانية يا بيه

قلت : لا ..

فاستدار مبتعدا .. وهو يقول ما تيجى تشرب شاى بينما يدل تصرفه على أننى لن أشرب الشاى ..

مكثت أتجول طيلة الصباح فى شوارع العاصمة .. أتأمل الخلق التى تتدافع بالمناكب لتسير على الأرصفة .. أو لتركب سيارات الأوتوبيس والترام .. وتستعطف سائقى التاكسى ليحملوهم معهم .. وأنا أعجب من انكبابهم على الدنيا بمثل هذا الاهتمام .. وأكاد أقول لهم .. مهلا .. فغدا تموتون جميعا .

حتى سائق التاكسى الذى يظن نفسه .. ملكا .. سيموت هو الآخر .

ثم صعدت برج القاهرة لألقى نظرة أخيرة على العاصمة .. وقد بهرنى منظر النهر العظيم .. والأشجار التى لا أول لها ولا آخر .. والمبانى الفخمة المتناثرة هناك وهناك .. إن المدينة تبدو جميلة من أعلى .. أما من أسفل فهى زاخرة بالتراب والذباب والعرق ..

وبعد الظهر سأراها من مكان أكثر علوا من البرج .. أما الآن فيجب أن أهبط لأنهى أعمالى الدنيوية قبل أن أرحل ..

وقد كنت أود أن أجهز مصاريف الجنازة .. ولكن المبلغ الموجود معى لا يكفى لموت مساعد مبيض نحاس ..

ولما كان عمى هو الوريث الوحيد لى .. فقد استوصيت أن أترك المصيبة على علاتها ليشربها .

واستدرت متوجها .. نحو المصعد بغرض الهبوط .. و لكن استرعى انتباهى فى ذلك الوقت طائر يسبح فى الفضاء .. باسطا جناحيه فى هدوء دون أن يبذل أى مجهود .. وهو يغير من اتجاهه كل هنيهه بأن يلوى ذيله .

وقد راقنى منظره لأنها كانت المرة الأولى التى أرى فيها طائرًا من أعلاه فقد كان يسبح تحت مستوى البرج .. فنحن دائما نرى الطيور من بطونها لأننا نراهم من على الأرض .. أما اليوم فقد أسعدنى الحظ أن أرى طائرا من ظهره وهو معلق فى الفضاء ..

ربما لأنى سأغادر الدنيا اليوم .. فشاء لى القدر أن أرى شيئا جديدًا قبل أن أرحل .

وقد كان الطائر غرابا .. وهو لا يدرى ماذا يفعل .. بل ينساب هكذا متلكئا متسكعًا .. تاركا النسمات الكسولة تقذف به أينما اتفق ..

ولكن حدث بعد ذلك أن ظهرت ثلاثة غربان أخرى آتية من بعيد .. ولم تكن تتهادى كسابقها .. بل هى تحث السير .. أو الطيران .. قادمة نحو البرج .

وما أن اقتربت منا .. حتى إذا بالغراب الأول يعدل عن تلكئه .. ويعمل جناحيه فى الهواء منضما إليهم .. ويجدّ الجميع فى الطيران معا مبتعدين .

فأيقنت أن الغراب الأول كان على موعد معهم .. وأنهم ربما اتفقوا على اللقاء تحت البرج للذهاب بعد ذلك معا لقضاء مصالحهم .. إن كان للغربان مصالح .

وأخذت أتابعهم ببصرى .. فإذا هم متّجهون نحو المقابر المجاورة لجبل المقطم .. فضحكت ضحكة عامرة بالأسى .. وقلت لنفسى .. ربما سبقونى إلى المقابر لاستقبالى بعد الظهر كيما ينعقوا على نعقة أو نعقتين ..

أمـا مـا آثـار انتبـاهى حقًا ، هـو علمـى أن الغربـان لا تطـير جماعــات كــالبط والحمام .. فهى قد تقف علـى الأرض بالعشـرات مجتمعـة علـى وجبـة .. أمـا فـى الطيران فهى تطير منفردةً .

والله أعلم ..

فأنا لم أضيع حياتى أبحلق فى الغربان .. فربما تطير أربعات وربما ثمانيات .. وعلى كل فقد أصبحت وقفتى غير ذات موضوع ..

ومن ثم هبطت البرج .. وتوجهت إلى صيدلية حيث اشـتريت أقراصـا منومـة كثيرة لأبتلعها مع قليل من الماء حين تداهمنى المنيـة .. وحتـى لا أتعـرض لـلآلام المبرحة التى صادفتنى فى المرة السابقة .

وبالرغم من أن ومضات من الاستهزاء والاستهانة بأفكارى .. كـانت تعـترينى إذ ليس مما يقبله عقل أن يعرف إنسان ما موعد وفاته .. إلا أن فكرة الموت كانت مسيطرة علىّ بشكل جنونى .. لأنى كنت أرزح تحت فكرة ارتباط حياتى بـدوران عقارب هذه الساعة لمدة عام تقريبا .

وكلما تذكرت أحداث تلـك الليلـة العنيفـة التـى كنـت أراهـا كـأوضح شـىء فـى حياتى .. وإنصراف الموت عنى آنذاك بدوران الساعة .. شعرت أنـىّ ميت اليوم لا محالة .

* * *

الفصل السابع

عدت للمنزل لتناول وجبة الغذاء الأخيرة .. وكتبت عنوان عمى ورقـم تليفونـه علي ورقـة وأعطيتها للخادم الذى ســألنى عـن الســبب .. فــأخبرتـــه أنـه ربمـا يحتاج إليها .

فأخذها على مضض .. ثم أعطيته النقود القليلة الموجودة معي .. وطلبـت إليـه أن يحتفظ بها معه حتى الغد .. ولم يجادلنى فــى هـذا ؛ لأنـه بـدأ يشـك فـى سـلامة تصرفاتى .. واكتفى بأن قال :

– وماله ؟

وقد وقعت في حيرة بالغة .. هل أعطى المبلغ له أم لعم إبراهيم .. أم اقتسمه بين الاثنين .

إلا أن الوقت كان قد أصبح أضيق من أن أضيعه في الذهاب لعم إبراهيم لاسيما وإني يجب أن أجلس في هدوء انتظارًا لحلول ساعتي .

وعجبت من نفسي .. كيف لم يخطر ببالي أن أمر على الدكان .. بينما أصرمت الصباح في التسكع بلا هدف وكان الأجدر أن أجلس مع عم إبراهيم لأرتب له حاله .

ولكن فليذهب عم إبراهيم إلى الجحيم .. وليذهب الخادم مصيلحي .. وليذهب عمّي وكذا عمتي .. ألست أنا ذاهبًا إلى الجحيم أيضا .

ولكن هل أنا ذاهب إلى الجحيم .. أم إلى الجنة ؟؟ إن هذا السؤال لم يخطر ببالي حتى الآن .. ويجب أن أجلس في هدوء لأتمعن في حياتي السابقة لأعرف إلى أين أنا ذاهب .

ولكن كيف لي أن أعرف .. وهل موازين الخير والشر عندي تطابق موازين السماء ؟؟

وعلى كل فيجب أن أنهي متعلقاتي الدنيوية قبل جلسة التمعُّن هذه .

ومن ثم ذهبت إلى مكتبي لأراجع أوراقي القليلة .. ولأرى ما يستحق أن يبقى وما يجب أن استغنى عنه ..

وما بدأت أتفقد الأدراج حتى هالني أن وجدت خطاباتي الغرامية .. وحمدت الله أني فتحت الأدراج لأنيّ في زحمة الأحداث الأخيرة نسيت أمر هذه - الخطابات تماما ..

وليس من اللائق أن يطلع عليها أحد بعد وفاتي ..

والواقع أن هذه الخطابات الغرامية لم ترد إلى .. فأنا لم أتلق خطابًا غراميًا واحدًا في حياتي ..

ولكني كنت أكتبها

كنت أكتبها لمن أحب ..

ولكِّني لم أرسلها ..

لأن المرأة التى كنت أحبها لم تكن تعرف بأمر هذا الحب .. والواقع أيضا أنها لم تكن تعرفنى جيدًا .. بل هى لم تكن تعرفنى على الإطلاق ..

فبالرغم من أنى كنت أقف أمامها فى النافذة لساعات طويلة .. وبالرغم من أنى كنت أقف أمامها عند البقال والجزار .. إلا أنها لم تلق نظرة واحدة على .

وبالتالى فهى لم تكن تعرفنى .. أو تعرف اسمى .. فلو أنى أرسلت إليها هذه الخطابات .. وحتى لو وقعتها بإمضائى .. لما عرفت من هو .. شريف وجدى " .

وقد استمر هذا الحب الذى هو من جانب واحد .. إلى أن رحلت المرأة وعائلتها عن " حتتنا " منذ عدة أعوام .. واختفت عن ناظرى إلى الأبد .

ولكن بقى من ذكراها هذه الخطابات الملتهبة بوابل من الحب ، التى كنت اعتبرتها أعز ما أملك .

وكنت كلما خلوت إلى نفسى .. جلست أقرأ هذه الخطابات بشغف كذكرى لأسعد أيام قضيناها سويا ..

أقصد كل منا على حده ..

أعدمت الخطابات .. ودخلت مخدعى ومعى زجاجة ماء .. والأقراص المنومة ووضعتهم على الكوميدينو .. نفس الكوميدينو الذى تتبخر من فوقه الساعات ..

وخلعت حذائى فقط .. وجلست بكامل ملابسى على الفراش .. فالموت بالملابس الكاملة .. أليق من الموت بالبيجامة .

وعدلت من وضع الوسائد بحيث تكون فى أنسب وضع بالنسبة لراحتى .

ونظرت فى ساعتى القديمة .. فإذا هى الثانية والنصف .. إذن فقد تبقى لى ساعة ونصف .. وإحساساتى حتى هذه اللحظة .. إحساسات هادئة .. فأنا متقبل للموت بروح طيبة .

اللهم إلا بعض ومضات الرُعب التى كانت تعترينى ما بين وقت وآخر .

أما هذه الساعة والنصف .. فستكون سيئة ولاشك .. ولست أدرى لماذا يجب أن أنتظر .. أليس من الأصوب أن أنهى حياتى الآن .

ولكن ماذا لو أنى مخطئ ..

ماذا لو أن موعد الموت لم يحن بعد ..

أنى بذلك سأكون منتحرًا وليس ميتا ..

ولكنى بابتلاعى للأقراص ، سيظن الجميع أنى قد انتحرت .. سواء كان هذا الآن أو بعد ساعة .

وأنا لا أريد أن يقال عنى : أنىّ قد فارقت الحياة برغبتى ..

والآن ما العمل .. هل أنهض وأكتب كلمة أخيرة أوضح فيها كل شيء ..

ولكن ماذا أكتب ..

هل سأكتب ما أدوّنه الآن ؟؟

إن أحدًا لن يصدقنى ..

بل سيقولون : أنى منتحر ومجنون ..

أو سيقولون : أنى انتحرت بسبب اختلال توازنى العقلى .. وأنا لا أريد أن يقال عنى .. " الله يرحمه كان أهبل " .

إذن ما العمل .. إنّ الموت بالأقراص المنومة سيكون مقرونًا بالانتحار دون أدنى شك ..

كيف لم تخطرببالى هذه الحقيقة ؟ يجب أن تبدو الوفاة طبيعية ولكن كيف ؟؟

هل سأترك الآلام تمزقنى " وانشال واتهبد إلى أن انتهى "..

إن الإحدى عشرة دقيقة التى صادفتنى منذ عام ونصف كان بها من الآلام ما لا طاقة لى به .. ولكنها لم تكن كافية لموتى ..

إذن فمعنى هذا أنها قد تمتد إلى ربع ساعة وربما أكثر .. وهو ما لست على استعداد له بأى حال .

ومن ثم خطرت ببالى فكرة ..

ماذا لو قفزت من النافذة ؟؟

إن احتمال وقوع الأشخاص من النوافذ .. احتمال قائم .. فربما يقع شخص من النافذة .. ولا يحكم عليه بأنه منتحر .

نعم سيقول البعض : إنه انتحر .. ولكن سيقول البعض الآخر : إنه وقع .. فقد توازنه ووقع ..

نعم .. إن الموت من النافذة أصوب وأسلم .. وأنا أسكن الدور الرابع .. والمسافة مناسبة للموت ..

ولكن يجب أن أقفز بطريقة رياضية .. بحيث تكون رأسي لأسفل .. حتى تلتقى بالشارع قبل باقى جسمى .. حتى تكون الوفاة فى الحال .

أما لو أنى قفزت بطريقة عشوائية .. لتهشمت عظامى .. وانفجرت أعضائى الداخليــة .. وقد أظل حيًا لعدة ساعات .. وينقلونى إلى المستشفى .. ويتفرج على .. إللى يسوى واللى ما يسواش ..

ومن ثم نهضت وتوجهت إلى النافذة .. ونظرت إلى الشارع .. إن المسافة كبيرة ومخيفة .. ولا يجب أن أنظر إلى أسفل .. ومن ثم نظرت نحو السماء .. إن السماء صافية الأديم .. وليس بها أثر لسحاب .. وهناك بعض حمامات تطير فى الهواء ..

إن الحمام وديع ولطيف .. ولكنى أرى الحمامات من بطونها ..

أما فى الصباح فقد رأيت الغربان من ظهورها ..

الغربان الأربعة التى ستنعق علىّ بعد وفاتى .. لابُدَّ وأنها وَصَلَتْ الآن إلى المقابر ..

وابتسمت فى أسى .. فالغربان أربعة .. وأنا سأقفز من الدور الرابع ..

نعم الغربان أربعة .. وأنا فى الدور الرابع ..

أربعة ..

ما هذا الرقم ؟ إنىِّ أذكر شيئا آخر يحمل هذا الرقم ..

آه لقد تذكرت .

سوف أموت فى الرابعة وأربع دقائق ..

يا لها من مصادفة ..

ترى هل توجد أرقام أربعة أخرى ؟؟

لا .. فاليوم هو التاسع عشر من الشهر .. والساعة الآن الثالثة .. وأمامى فترة عذاب طويلة ..

ويجب أن أقرر الآن .. هل أقفز من النافذة .. أو آخذ الأقراص ..

إن الموت من النافذة مخيف .. وموت الأقراص لطيف .. ولكنى أكره أن يقال عنى : إنى منتحر .

ومن ثم ضربت رأسى بعنف ..

هل سأعود لهذا التفكير السخيف .. فلأتركها على الله .. وسنرى ما نفعله عندما تأتى الساعة الرابعة ..

أربعة ..

ماهذا الرقم ؟؟

وجلست أتفكر قليلا .. وأخذت أهرش رأسى كأنما أشحذ مخى ..

ولكنى لم ألبث أن قفزت من الفراش كالملدوغ ..

يا إلهى

إن التاريخ الذى كانت تشير إليه الساعة عندما اشتريتها كان الرابع من الشهر .

بينما كان التاريخ الحقيقى هو العشرين ..

وبناء عليه سيرتها إلى الأمام ستة عشر يوما .. وهى حاصل ضرب أربعة فى أربعة ..

وزنبركها به طاقة تسيرها اثنين وخمسين ساعة وأربع دقائق ..

أى أن الوقت الاحتياطى المتروك للسهو .. بعد الثمانى والأربعين ساعة الأولى .. هو أربع ساعات وأربع دقائق ..

والغربان أربعة ..

وستلحقنى المنية فى الرابعة وأربع دقائق ..

ومن المحال أن تجتمع كل هذه المصادفات فى آن واحد ..

إن لها معنى دقيق .. وهو مرتبط بحياتى .. والدقائق الباقية لى من الحياة قصيرة جدا ..

ولكن يجب أن أعرف ..

يجب أن أعرف السر ..

يا إلهى .. ماذا يعنى هذا الرقم ؟؟

لا يجب أن أموت دون أن أعرف سر حياتى ومماتى .. وها هو قلبى قد بدأت دقاته تسرع .. إذن فقد أصبحت من الموت قاب قوسين أو أدنى .. وسأموت جاهلا .. سأموت تاركا السر ورائى ..

ومن ثم أخذت أسير فى الغرفة .. وقد انشل تفكيرى تماما ..

ولكن لا ..
يجب أن أهدأ ..
يجب أن أتذكر
إنى بهذه الصورة من الانفعال لن أصل إلى شيء ..
ومن ثم أجبرت نفسى على الجلوس .. واستنشقت عدة أنفاس عميقة متتالية .. قائلا لنفسى صبرا .. صبرا ..
ثم استرخيت قدر استطاعتى .. وبدأت أسأل نفسى .. ما هو تاريخ ميلادى .. وميلاد أبى وأمى ووفاتهما ..
فوجدتها جميعا بعيدة عن الرقم المشئوم .. إذن لا .. ننقل لشيء آخر ..
أربعة فبراير ..
مالى أنا وهذا السخف ..
إن أربعة فبراير شيء فى تاريخ مصر ..
وأنا لا أكاد أذكر ما هو ..
وهو أبعد ما يكون عنى ..
والرقم أربعة مرتبط بى أنا شخصيا ..
وانتقلت من الرقم إلى مضاعفاته .. ربعمائة .. أربعة آلاف .. آه .. قدماء المصريين يالك من مشتت .. لقد سبق وأن قلت لك : إن الرقم مرتبط بك أنت وحدك ..
ودخلت فى دوامة من الأفكار .. وأنا أقدح زناد فكرى بعنف .. وجعلت التيارات تتقاذفنى من الشرق إلى الغرب .. ومن الغرب إلى الشرق ..
وقلبى يدق بعنف ..
وأمشى فى الغرفة ببطء .. ثم بسرعة ..
واتخبط فى الحيطان وأجلس ..
وأنهض ..
وأرقد ..
وفكرى لا يصل إلى شيء إطلاقا ..
وأخيرا هدنى التعب ..

وقررت أن أموت بسلام ..
وليذهب السر إلى حيث يذهب ..
ومن ثم نظرت إلى ساعتى لأعرف كم بقى لى من الوقت .
فإذا هى الخامسة
يا إلهى .. الخامسة
لقد فاتنى الموت ..
لقد حضر الموت وذهب دون أن يأخذنى معه .. أو لعله لم يأت ..

وكأنما جردل من الماء البارد اللطيف .. وانسكب على فارتميت على ظهرى .. وأخذت أحدق فى السقف دون أى ذرة من الفكر ..

فقد أجهدت ذهنى لدرجة أنه أصبح غير صالح لشىء ..

* * *

الفصل الثامن

لم تستغرق رقدتى فى الفراش بضع دقائق .. حتى قفزت كالياى مرتديا حذائى .. وخرجت من البيت عدوًا قاصدا البدال لأشترى نصف زجاجة نبيذ .. فقد استخفنى الطرب .. وفرحت بالحياة الجديدة .. ورأيت أن أشرب كأسا فى صحتى ..

وما بلغت البدال وأخذت منه الزجاجة الصغيرة .. وأخرجت حافظتى لأدفع له .. حتى وجدتها خاوية .. فتذكرت أنى وهبت مالى للخادم قبل وفاتى .. فسألته إن لم يكن لديه مانع من أن يتسلم ثمن الزجاجة من خادمى .. فأخبرنى أنه ليس لديه مانع ..

ومن ثم عدت للمنزل عدوا .. وربما قفزا .. ومررت على الخادم بالبدروم .. وأخذت منه نقودى ..

وصعدت إلى شقتى .. ورفعت الكأس عاليا وقلت : فى صحتك يا شرشر .

ورن الاسم فى أذنى غاية فى السماجة .. فأنا لم يدلعنى أحد .. ولما شئت أن أدلع نفسى جاء التدليع سخيفا ..

ولكنى بالرغم من ذلك ضحكت وقهقهت كأنما هى أظرف نكتة سمعتها .. وتجرعت بعضا من النبيذ .. ولم ألبث أن وجدت نفسي - كما يقولون - سطيحة فأنا لست معتادًا شرب الخمر .. ولكن على أى الأحوال استرخت أعصابى .. بعد أن كانت متقلصة بسبب التجربة العنيفة التى مررت بها .

لم أصحُ من النوم إلا فى فجر اليوم التالى .. فخرجت إلى الشارع قبل أن يزدحم وجعلت أتجول على قدمى استنشق نسيم الصباح الباكر .. وأتأمل الطبيعة كأنما أراها للمرة الأولى ..

وظللت أسير حتى بلغت النادى .. الذى لم أجد فيه سوى عمال النظافة ..

فجلست على أحد المقاعد .. وكانت فرحتى المجنونة بالحياة قد هبطت من درجة " الهبل " إلى درجة الاستمتاع الهادئ المتمعن اللطيف .

وبدأت أفكر فيما حدث

فخرجت بخلاصة واحدة .. وهى أنى بالإضافة للصفات التى أعرفها عن نفسى رجل تافه ..

فقد عملت من " الحبة قبة "

وأجهدت ذهنى .. وقتلت نفسى بقصة تافهة .. لا تعدو أن تكون ضياع ساعة .

وربما كانت ظروف ضياعها غامضة .. إلا أن آلاف الأشياء تضيع كل يوم ولا تفعل الخلق ما فعلت ..

* * *

الفصل التاسع

مررت فى صباح اليوم التالى كما أفعل فى بعض الأحيان على عم إبراهيم بالدكان .. وقد كانت غلطة منى أن قبلت دعوته لشرب كوب من الشاى .. لأن هذا يعنى أنى سأجلس إلى أن يحضر الشاى من المقهى المجاور .. وإلى أن أحتسيه ..

وفى هذه الأثناء أكون قد وقعت فى براثنه .. وأسمعنى همومه واقتراحاته التى أحفظها عن ظهر قلب ..

وما أن جلست حتى قال :

- يابنى إحنا مش نشوف لنا حل فى الدكان العيّان ده ؟؟
- يعنى حانعمل إليه بس يا عم إبراهيم
- يا بنى لما يكون فيه واحد عيان .. بيدوله دوا .. يا يخف .. يا يموت .. لكن يقعد كده عشرين تلاتين سنة من غير دوا .. لا هوه عاوز يخف ولا عاوز يموت .. يبقى ظلم وظالمنا معاه .. عيان ومعيينا معاه .. أنت كاتب إيه فى البطاقة بتاعتك .. وظيفتك إيه ؟
- تاجر
- طب وأنت تاجر برضه .. التاجر هوه إللى بيبيع لكن أنت بتبيع إيه .. أنت مكوجى طرابيش .. تقدر تكتب كده فى البطاقة .. تقدر تكتب مكوجى ؟؟ مكوجى حاف .. حتى المكوجى أحسن منك .. ماتقدرشى تكتب مكوجى طرابيش .. لأن .. مافيش طرابيش زى اللى لابس بدلة فى بلد كلها جلاليب .. يابنى فوق بقى .. الطرابيش شطّبت .. شطبت من زمان .. مافيش .. خلاص غير يادوبك الشوية الهُزُؤ اللى بنبيعهم للسواح .. والسيما .. يعنى لو كان السواح محترمين .. كان زماننا قفلنا من زمان .. لكن ربنا سايب كام سايح أهبل عشان نفضل إحنا معلقين من رقابينا ..
- طب والكام سايح الهبل .. دول مش فاتحين المحل ومغطيين مصاريفه ؟؟
- مصاريف إيه .. دا أنت بتكمل على ماهيتى من جيبك .. طب المحل الطويل العريض ده جاب كام امبارح ..
- معرفش
- قول أى رقم ..
- اثنين وعشرين جنيه ونص ..

ففتح فمه ليتابع الحديث .. ولكنه توقف ونظر إلى باستغراب

وقال : هوه أنت بصيت فى الدفتر ..

- لا ..

= أمال عرفت منين ؟؟
- أبدا قلتها كده وجات صدفة ..
= ما علينا اثنين وعشرين جنيه ونص بيع .. مش صافى مكسب .. دلوقت يا بنى مش لازم نتصرف ..
- هوه انت يا عم إبراهيم لازم تهزئنى .. هوانا أبويا برضه كان مكوجى ؟؟
= لا يا سيدى .. المرحوم كان أكبر تاجر طرابيش .. لكن أنا لازم أديلك كلمتين فى جنابك عشان تصحى ..
- طيب نصحى إزاى ..
- نفتح محل خردوات .. محل عصير .. مطعم ..
- الحاجات دى كلها عاوزة رأس المال
- طب مالحنا عندنا رأس مال أهوه وأشار بيده إلى محتويات الدكان ..

فقلت : لا يا عم إبراهيم ..دا كل النحاس ده حايتباع خردة .. ماحدش عاوز مكاوى طرابيش .. ده كله حايتسّيح .. واللى ييجى منه ما يجيش حاجه وإذا به يدخل على باقتراح جديد لم نستعمله فى المناقشات السابقة .

وقال :

- طب بيع شقة من العمارة اللى سابهالك المرحوم .. وبثمن الشقة ربنا يفتح علينا ونروّج ونبقى عال ..
- ومين عاوز يشترى شقة من العمارة .. ده إيجارها بتراب الفلوس .. والساكن أجدع من المالك .. ما أقدرش أقول له تلت التلاتة كام ..
- لا يا سيدى .. أنا أقول لك حل .. إحنا مش حانبيع لحد من السكان يتوع دلوقت .. أنت تطلّع ساكن .. وتدى له الخلو اللى هوه عاوزة .. وبعدين تجيب واحد جديد لنج من بره وتبيع له الشقة .. تمليك .. فرق الخلو من التمليك .. نطلع منه بقرشين .. هم دول رأس المال اللى إحنا عاوزينه ..

واستمر الحوار على هذا النحو مع العجوز .. يأتينى من اليمين .. ألف لـه مـن اليسار .. يلف لى من اليسار آتيه من اليمين ..

إلى أن جاء الشاى .. وطفحته .. وانصرفت بسيارتى أسابق الريح ..

لو كانت سرعة الريح ثلاثين كيلو مترا ..

والواقع أن الرجل كـان علـى حـق .. وتدبير رأس المـال ليـس بمثـل الصعـاب والعراقيل التى كنت أقفل بها الباب أمامه فى كل مرة ..

ولكنى كنت أخشى المغامرة .. المغامرة من أى نوع .. والدخول فـى مشـروع جديد يعنى مغامرة ..

مغامرة سوف تجرنى إلى مشاكل العمال والإدارة والضرائـب .. وعـم إبراهيم تقدمت به السن .. وغدا يموت .. ويتركنى وحدى مغروسا فى المشروع الجديد .. والعمل الذى لا طاقة لتحمل تبعاته وحدى ..

" على قد لحافك مد رجليك "

ودخل العمارة والدكان ..

يكفيانى " بالعافية " فنقود الأمس ليست نقود اليوم .. إلا أنى لازلت قـادر علـى الحياة ..

وسأظل قادرًا على الحياة حتى لو أصبـح ثمن كيلـو السـكر جنيهيـن .. كـل مـا سأفعله أنى سأنكمش .. سأظل أنكمش إلى أن أموت ..

أما الدخول فـى مغـامرات ومشـروعات .. فهذا يخـالف طبعـى الانطوائـى .. الانزوائى العاجز .. المسالم المتجنب للمشاكل ..

وشكرا لزوجة أبى التى أصرت على بنـاء هـذه العمـارة .. فلولاهـا لكنـت الآن شحاذًا بالسيدة .. أو عاملا يدويا ..

لقد ماتت أمى حين كنت فى الخامسة دون أن تنجب أطفالا غيرى .. وقـد ظـل أبى عازفا عن الزواج فـترة .. ولكنـه لـم يلبـث أن تـزوج مـن المـرأة الأخـرى .. وكانت تجارته رابحة جدًا فـى ذلـك العهـد .. فمصـر كلهـا تلبـس طرابيـش .. مـن تلاميـذ المـدارس إلـى رئيـس الدولـة .. طرابيـش غامقـة .. وطرابيـش فاتحـة .. طرابيش عالية .. وأخرى استاندرد .. خوصة فينو وعـادة .. جلـدة وزر وكباسـين تهوية .. مكاسب كثيرة وأبى يكاد يكون الأول فى هذه الصناعة ..

والنقود تجرى بين يديه .. وهو ينفق ذات اليمين وذات اليسار .

وما انصرف العام الأول على زواجه من المرأة الجديدة .. حتى اكتشفت أنها عاقر ..

فأخذت تجرى كالمعتوهة على الأطباء والسحرة .. وظلّت تجرى ثلاث سنوات إلى أن بلغ بها اليأس أقصاه .. وخشيت أن تخرج من " المولد بلا حمص " وكانت تجارة الطرابيش قد بدأت فى الأفُول .. فحثت والدى على أن يبنى لها عمارة باسمها ..

فانصاع الرجل لجمالها .. وبدأ فى بناء العمارة .. ولكن لجهله وجهلها لم يستخرج رخصة البناء باسمها .. بل بدأ البناء .. على أن يبيعها العقار بعد إتمامه ..

واستغرقت عملية التشييد عامين .. وبنهايتهما حصلت على الثانوية العامة ..

وتوفى أبى تاركا وراءه العمارة والدكان .. وبعض المال .. الذى اقتسمته زوجة أبى مع مصلحة الضرائب ..

وبقى لى الدكان والعمارة .. ومصيلحى وعم إبراهيم .. وظننا إلغاء الطربوش بدعة .. لن تلبث أن تزول .. ويعود لمصر عصر الأبهة .. فجلست فى الدكان أديره مع عم إبراهيم .. ولم أفكر فى الجامعة أو الدراسة ..

وفعلا كان هناك بعض المتشبثين بالطربوش فى مبدأ الأمر .. ولكنهم بدأوا يخلعونه الواحد بعد الآخر .. إلى أن انتهى ..

وقد فاتتنى فى تلك الأثناء جميع القطارات .. قطار الدراسة .. وقطار الرياضة .. وقطار الهواية .. وقطار الزواج ..

وداخلنى شعور بالنقص من جراء عدم اتمام تعليمى ..

وعوضته التعويض الطبيعى لكل جاهل .. بأن بدأت أحاول القراءة .. القراءة فى مختلف المجالات .. وبأن أقوى لغتى الإنجليزية قدر استطاعتى ..

وربما كانت القراءة هى الشىء الوحيد الحميد الذى فعلته طيلة الأعوام الماضية .. أما فيما عدا ذلك .. فقد كانت حياتى خاوية تماما .

وحياتى النسائية تكاد تكون معدومة .. ففيما عدا لقاء بائعات الهوى .. لا أظن أننى كانت لى مغامرات نسائية من أى نوع .. اللهم إلا أولائك اللائى كنت أحببهن من جانب واحد .. من آن لآخر ..

وظللت قابعًا فى القاهرة لا أغادرها إلا لمامًا .. فقد زرت الإسكندرية وكذا بورسعيد .. وفيما عدا ذلك لم أر من مصر شيئا ..

وربما كانت الظروف الغريبة فى حياة إنسان .. يعيش حقيقة على الهامش .. هى التى جعلت القدر يختاره من دون الآخرين ، ليصادف القصة التى سيرد ذكرها فيما بعد ..

* * *

الفصل العاشر

مضت عدة أيام قضيتها بالمنزل .. أقرأ .. إذ لم تكن بى رغبة فى الخروج .. ولكن نفدت الكتب التى عندى .. فقررت أن أذهب إلى سور الأزبكية اشترى كتابا ..

وعرجت على المقهىفى طريقى .. فوجدت الأستاذ مندور جالسا .. وهو إنسان قريب إلى القلب .. وقد كان يعلمنا اللغة الإنجليزية أثناء الدراسة .. أما الآن فهو بالمعاش .

وقد فرحت بلقائه فجلست إليه وجعلنا نتحدث .. وأنا أحاول قدر استطاعتى أن أستدرجه فى الكلام بالإنجليزية لأختبر قدرتى .. ولكنه كان زاهدًا فيها .. فعدلت عن ذلك ..

وسألنى عن وجهتى .. فأخبرته أنى كنت انتوى شراء كتابا أقرؤه .. ولما سألنى عن نوع الكتاب ، أخبرته أن هذا لا يهم .. وأن ما يهمنى هو الجودة .

وسألته عن الكتب التى يقرأها .. فأخبرنى أنه انتهى من قراءة كتاب شيق عن البعد الرابع .. ولما أبديت جهلى بالموضوع .. انبرى يشرح لى قانون الأبعاد الثلاثة التى يتبع لها كوكب الأرض .. فقاطعته بأن هذه معلومات بديهية .. ومن ثم انتقل إلى البعد الرابع وهو الزمن .. وأسهب وأطنب فيه مستندا إلى الحجج

والأسانيد التي قرأها في الكتاب .. وأنا استمع إليه بشغف .. إذ كان لازال يتمتع بمزية المحاضر .. ولديه القدرة على الكلام بسلالة المتعمق الواثق .

ولم تكن هذه المرة الأولى التي نتناقش فيها في كتاب ما .. ولكنّي كنت دائما أتساءل . هل يقرأ الأستاذ مندور كتبه ببساطة كما نفعل .. أم أنه يحفظها عن ظهر قلب .

ورجّحت الأمر الآخر .. لأني لو قرأت كتابا بمثل هذه الصعوبة .. حتى ولو لعدة مرات .. لما تمكنت من الكلام عنه بمثل هذه الطلاقة ..

وأخيرًا وعدني أن يعطيني الكتاب لأقرأه يومًا .. ومن ثم شكرته وانصرفت ..

وكانت ساعة الظهيرة قد حلت .. والجو حار خانق .. فمن ثم عدلت عن الذهاب إلى الأزبكية .. وعدت إلى المنزل .. بعد أن اشتريت قصة بوليسية من بائع الصحف المجاور .. أتسلى بها حتى الغد .

* * *

في نحو الساعة السابعة شعرت بنسمة هواء تداعب الأشجار في الخارج .. ففتحت النافذة فإذا الهواء يأتي في نسمات لطيفة . فخرجت إلى الشرفة .. ومعي القصة البوليسية ..

وبدأت أقرأ .. وما مضت نصف ساعة حتى تبينت أنها من النوع الذي لا يروقني .. فهي مزدحمة بشخصيات كثيرة ..

واحد يموت مقتولا .. ويحوم الشك حول الآخرين .. وتنتهي القصة بأن يكون القاتل هو من لا يخطر على البال ..

فأقفلت الرواية .. ومددت الطرف بعيدًا أتأمل الفراغ .. وكان قد بقي من النهار نحوٌ من نصف ساعة .. ولن تلبث العصافير أن تتشاجر فترة محدثة جلبة لا مثيل لها .. ثم تسكت جميعها فجأة .. وتخلد إلى النوم وتظل نائمة حتى الفجر .

وعجبت لهذه المخلوقات .. كيف يمكنها أن تنام في هذا الوقت المبكر .. وحسدتها .. وتمنيت لو كنت مثلها .. تمنيت لو كنت قادرًا على النوم مع غروب الشمس .

لو كانت لى هذه القدرة .. لتخلصت من الليالى .. الليالى الطويلة المملة .. وعجبت للإنسان .. لماذا يحيا كل هذا العدد من السنين .. إن الأيام كثيرة ومتشابهة .. والإنسان لا يكاد يفعل فيها أو بها شيئا .

ربما ينجب ولدًا ليخلد اسمه ..

ما أعجب أن يفكر الإنسان على هذا النحو ..

لماذا يريد الإنسان أن يخلد اسمه .. هل اسم على أو عوف من الأهمية بحيث يجب تخليده ؟؟ إن التاريخ يخلد الأسماء التى تسيره أو تغيّره ..

أما ذلك القطيع الذى تعج به الأرض .. فلن تخلده الأبناء ولا الأحفاد وخير للمرء أن يغلق صفحة عائلته وذويه بنهاية حياته ..

وقد كان لى صديق اسمه محمد مدبولى .. وكان مرتبه الضئيل لا يكاد يكفى طعامه ..

وإذا بى أجده ذات يوم قد أنجب أربعة أبناء .. فسألته حاتعمل بيهم إيه ؟؟

فرد على باستنكار

- حاعمل بيهم إيه ؟؟ أما أنت مالكش حق يا راجل .. أمال يعنى اسم مدبولى يروح كده هدر ..

فقلت له:

- جاتك نيلة عليك وعلى مدبولى .. هوه كان يعنى اسم أبوك مدبولى محمد بتهوفن .. وإلا أنت اسمك محمد أرشميدس .. ده حتى محمد طه أحسن منك ..

* * *

وكانت الشمس قد مالت للمغيب .. فإذا العصافير المذعورة تنطلق كالقذائف الطائشة قادمة من كل حدب ومتجهة إلى كل صوب .

وظللت أتابعها ببصرى إلى أن " خيلتنى " فرفعت رأسى نحو السماء .. وإذا بى ألمح ثلاثة غربان تطير متفرقة بهدوء .. فقلت أين رابعكم .

" جاء نقبكم على شونة " .

ولم تجدوا من تنعقوا عليه يوم سبقتونى إلى القرافة وما هى إلا ثوان حتى .. حتى ..

إذا بالحقيقة المرعبة تأتيني على شكل لطمة قاسية لتضربني في صدري .. حتى كدت أقع من على المقعد الذى كنت أجلس عليه ..

وإذا كياني يتزلزل كريشة فى مهب الريح ..

إن البعد الرابع هو الزمن

والغربان الأربعة هي الزمن ..

وجميع الأرقام الأربعة التى حيرتني هي الزمن ..

والذى تطير ساعته فى الهواء يصبح غير خاضع لقانون الزمن ..

يا لغبائي ..

لقد ظل الرقم يتقافز أمامي على كل لون

وكأنما أدرك الزمن أنى على هذه الدرجة من الغباء ..

فأخذ يكرر الرقم بإلحاح .. علّني أفهم ..

ولكنى لم أفهم ..

والآن لابد وأن الزمن قد يئس مني ..لأن الرقم كف عن الظهور في حياتي ..

ولم " يقب " منذ اليوم الذى تحدد لوفاتي ..

ولكن ماذا يريد الزمن منى ؟؟

ما الذى يبغي أن يفضي إلى به ؟؟

وبأي كيفية يتخيل أنه سيتحدث إلى ..

لقد انبلجت الحقيقة أمام عيني ..

وعرفت الآن أنها الزمن ..

ولكن ماذا سأفعل حيال هذه المشكلة ..

وماذا سيفعل حيالها هو أيضا ..

إن الزمن عديم الوجود ..

لا .. بل هو موجود ..

ولكنه لا ملموس ولا مرئى ..

فأنا يمكنني أن أتحدث إلى قط وإلى سمكة .. إلى شجرة أو أريكة ..

ولكن كيف أتحدث مع الزمن ..

والزمن مؤلف من حاضر ومستقبل وماضي ..

والثلاثة أتعس حالا من بعض ..

فالكلام مع أى منهم يعتبر ضرب من المستحيل اللهم ..

اللهم إلا إذا تجسد الزمن ..

آه .. نعم .. لابد وأن هذا هو ما سوف يحدث .. لابد وأن الزمن سيتجسد ليحدثنى ..

سيُجسّدُ على شكل شيخ .. يرتدى جلبابا أبيض كالثلج .. وله ذقن بيضاء .. ويتكئ على عصا أطول منه .. وسنلتقى على قمة جبل .. أو فى قلب الصحراء ..

ربما فى المنام ..

ولكن .. لماذا أصر على أن الزمن يريد أن يحادثنى ..

إن الأرقام تشير إليه .. ولكن هذا لا يعنى حتما أنه يريد أن يخاطبنى ..

إن مما لا شك فيه هو أن الأحداث التى وقعت لابد وأن تكون متعلقة بالزمن ..

نعم ..

ولكن ما علاقة ذلك بى ..

إن الصورة تبدو غامضة تماما ..

هل هى تعنى أنى سأصبح غير خاضع لقانون الزمن ..

هل تعنى أنى لن تتقدم بى السن بعد ذلك ؟؟

يا إلهى ..

لو أن المعنى كان كذلك .. لكانت مصيبة لا أتمناها لعدوى ..

هل ستتكرر صورة دوريان جراى ..

هل سأعيش مئات السنين ..

إن الحياة بوضعها الراهن لا تطاق .. والأيام التى يحياها الإنسان أكثر من اللازم .

أم أن المعنى يكمن فى أنى سأرى المستقبل .. وسأعمل كقارئ بخت .. أو فنجان .. أو كوتشينة ..

* * *

إن لغز الزمن ماثل أمامى .. ولكنه لغز لا سبيل إلى حله .. وسأظل اتخبط فى دياجير الظلام .. كما تخبطت حين أخذ الرقم يتقافز أمامى ..

لقد أضعت وقتا سقيما فى محاولات عابثة لمعرفة سر الأربعة .. وأجهدت ذهنى بصورة تفوق الوصف دون أن أصل إلى نتيجة .. واليوم .. وقد وقعت بطريق الصدفة على سر الرقم .. أجد أنى قد وصلت إلى لا شىء ..

نعم إنه الزمن .. ولكن ماذا بعد ؟؟

وإذا كنت قد ضيّعت كل هذا الوقت فى مجرد معرفة معنى الرقم .. فكم يا ترى سأضيع من الوقت لأعرف المقصود به ..

هل سأظل أدور حول نفسى فى الشوارع بحثًا عن رجل ملتحى ذى عصا طويلة ؟

أم أنى سأقبع فى دارى متمعنا .. متفحصا .. فى كل ماله علاقة بالماضى أو الحاضر ؟؟

إن التمعن مع الجهل يؤدى إلى الفراغ .. لأن المتمعن سيجد نفسه آخر الأمر يفكر فى لا شىء ..

ما هو الزمن .. إنه تتابع الأيام والساعات .. واللحظة التى تذهب .. لا تعود وأكثر من هذه المعلومات ليس لدى ما أضيفه .. ولكن الأستاذ مندور لديه معلومات أوضح عن الزمن .. ألا فلأذهب إليه .. علّه يعيننى فى محنتى ..

ومن ثم ارتديت ملابسى وذهبت إلى المقهى .. ولكنى لم أجده .. وسألت الساقى عنه .. فأخبرنى أنه لم يأتِ فى المساء ..

ولما سألته عن سكنه أخبرنى أنه لا علم له بذلك .. ومن ثَمّ سألنا بعض رواد المقهى .. فلم نجد بينهم من يعيينا فعدت إلى المنزل كسيف البال .

* * *

وفى الصباح ذهبت إلى المقهى .. وجلست حتى الظهيرة .. دون أن يظهر للأستاذ أى أثر .. وما هممت بالنهوض حتى أتانى الساقى وأشار إلى شخص يدخل المكان .. وأخبرنى أنه زوج ابنة الأستاذ مندور .. فذهبت إليه .. وعرفته بنفسى .. وسألته عن أستاذى فأخبرنى أنه رحل فى الصباح إلى الإسكندرية

ليقضي بها أسبوعًا .. كما أخبرني بأنه لا علم له بعنوانه هناك .. وتكرم على بعنوانه بالقاهرة ..

ولما لاحظ ابتئاسي .. سألني إن كان بيده أن يساعدني في شيء .. فأجبته بالنفي .. وشكرته .. وسرت في الطريق لا ألوى على شيء ..

* * *

مرّت الأيام السبعة بطريقة لا أكاد أذكرها ..

فقد كنت تائها حزينا مهموما .. حتى شويكار رأيتها مرتين .. ولكن جمالها الساحق لم يتمكن من زعزعة كياني كما كان يفعل في الماضي .. فقد كنت أفكر في الزمن بصورة تكاد تكون دائمة .. والتقيت بفخري مرة .. وتركته في منتصف الحديث دون أن أعنى بالاعتذار له .. فقد كنت أعرف كل كلمة يتفوه بها قبل أن ينطقها ..

والزمن لا يريد أن يرحمني .. فلا هو متفضل على بومضة من فكر أعدو وراءها .. ولا هو تاركني في سلام ..

فأنا أفكر فيه .. دون أن أعرف كيف أفكر فيه ..

وتأملت عابري السبيل مدققا متفحصا .. باحثا عن صاحب الذقن البيضاء .. فلم أصادف أحدًا بذقن .. بل إني لم أصادف شخصًا بذقن سوداء أو حمراء ..

وذهبت إلى سيدنا الحسين .. وجالست أصحاب الذقون على الأرصفة .. فلم أجد سوى مخرفين موغلين في التخريف .. ومررت على المكاتب بحثا عن كتاب يتناول موضوع الزمن .. ولكني وجدت كتبا لا تستحق القراءة ..

وأخيرا حل مساء اليوم السابع .. فهرعت إلى الأستاذ مندور ..

ووجدته ..

ورجوته أنه يعيرني الكتاب .. فأعطاني إياه بابتسامة لطيفة سائلا إياي عن خطبي .. فأجبته بلا شيء .. وخطفت الكتاب .. وهرولت على السلم .. وأخذت أعدو في الطريق كاللص .. إلى أن بلغت منزلي ..

وأضأت النور .. وجلست على الفراش أقرأ .. وقد خلت أن متاعبي ستنتهي بقراءة الكتاب .. كأنما حل اللغز سيخرج إليّ من بين سطوره .. دون أن أدرى أن الكتاب لا علاقة له بمشكلتي .. فهو كتاب علمي عادى يتكلم عن البعد الرابع ..

وجلست أقرأ وأقرأ إلى أن طلع الفجر .. وخرجت بمعلومات عظيمة .. ولكنها مختلطة مهوشة .

فألقيت بالكتاب .. وأخلدت للنعاس ..

* * *

صحوت من نومي عند الظهيرة .. وأكلت لقمة وبدأت أعيد القراءة بتأنّي وهدوء .. ومعي قلم أُخطِّط به تحت الفقرات التي اعتقدت أنها تلزمني ..

والواقع أن الكتاب أوصلني إلى حل اللغز فيما بعد .. وطبيعي إنه لم يتعرض للغز من قريب أو بعيد .. ولكنه فتّح ذهني وأوسع مداركي بدرجة أن الأشياء التي وضحت أمامي أوصلتني في النهاية إلى معرفة الحقيقة ..

وهي حقيقة أغرب من الخيال .. بل هي لا تخطر على البال .. وأيا كانت الأفكار .. وأحلام اليقظة التي تشطح بالخيال .. فهي لا تصل إلى هذه الحقيقة .

لأنها حقيقة بسيطة وتافهة .. وعادة ما يتخطاها الخيال ويشطح خلفها .

* * *

أما المشكلة التي تعترضني الآن فهي أني عاجز عن متابعة السرد دون التعرض للكتاب .. فلو أني تابعت كتابة قصتي .. ذاكرًا ما حدث لي دون شرح طبيعة الزمن لأصبحت قصتي خرافية .. ولما صدقها أحد .

وطبيعي أني لن "أصدّع" رأس القارئ بتلاوة الكتاب عليه .. ولكنّي سأدوّن الخلاصة التي خرجتُ بها بطريقة مبسطة ومختصرة قدر استطاعتي ..

وقبل أن أبدأ يجب أن أنوّه عن أن هذا الكتاب مؤلف من آراء حفنة من العلماء وأن جميع هؤلاء العلماء دون استثناء حائزون على جائزة نوبل من أجل أبحاثهم التي دونت في هذا الكتاب بالذات .

ومن البديهي أن الكتاب لم يحوِ أبحاثهم الكاملة .. ولكنه عبارة عن التركيز النهائي الذي توصل إليه كل منهم على حده .

وإني لفي حيرة من أمري الآن .. هل أكتب أسماءهم .. أم أن ذلك سيجر عَلَيَّ متاعب ربما أكون في غنى عنها .. فأغلبهم لازال على قيد الحياة ..

وربما يكون إقحام آرائهم العميقة فى قصة بسيطة مما يثير سخطهم .. ولو أنى لا أتخيل أحدا من هؤلاء الرجال العظام .. سيكلف نفسه عناء قراءة قصة بالعربية التى يجهلها حتما .. بل الأرجح أنهم لا يقرءون قصصا على الإطلاق .. لأن وقتهم أثمن من ذلك ..

وعلى أى الأحوال أرى من الأصوب ألاّ أذكر أسماءهم وأدخل المضمون فورًا .

* * *

الفصل الحادى عشر

كوكب الأرض يخضع لنظام البعد الثالث ..

فما هى الأبعاد الثلاثة ؟؟

إنها الطول والعرض والارتفاع

أو الطول والعرض والسمك

بمعنى أن الناظر إلى شىء يراه مجسما بسبب قدرته على تمييز طول الشىء وعرضه وارتفاعه أو سمكة ..

فالسمك والارتفاع شىء واحد

ولتوضيح ذلك .. انظر إلى وجه إنسان أمامك .. فسوف ترى هذا الوجه مجسًّما بسبب أنك أمكنك تمييز طول الوجه وعرضه .. والارتفاعات الموجودة به ..

فالأنف مرتفع ربما سنتيمتران .. وهو ليس مرتفع نحو السماء .. ولكنه مرتفع بالنسبة للوجه والعين منخفضة ربما ملليمتران .. والرموش مرتفعة .. وكذلك الوجنات .. والأذنان منخفضان إلى الخلف .. والشفتان مرتفعتان .. وإذا فتحتا وجدنا الأسنان خلفها منخفضة . ثم اللسان منخفض أكثر .. وهكذا ..

والآن بسبب قدرتك على تمييز هذه الأشياء الثلاثة .. أمكنك تجسيم الوجه .

ولكن لو أنك كنت عاجزًا عن تمييز البعد الثالث .. وهو الارتفاع .. لما أمكنك رؤية الشىء مجسما ..

ففي هذه الحالة سترى الوجه مسطحا تماما .. حقيقة أنك سترى جميع الملامح .. ولكن بدون تجسيم .. وإذ ذاك سيخيل إليك لو أن الشخص الواقف أمامك استدار نصف دورة إلى اليمين أو اليسار .. لوقع نظرك على شيء مثل حافة "الموس" .. كأنما مر على هذا الشخص هراس أو وابور زلط .

تماما مثلما لو أنك أحضرت صورة فوتغرافية لهذا الشخص .. وأدرت هذه الصورة نصف دورة إلى اليمين أو اليسار .. فإنك فى هذه الحالة لن ترى سوى حرف الورقة المطبوع عليها هذه الصورة ..

إذن نستخلص أن الخالق أعطى سكان هذا الكوكب القدرة على تمييز الأشياء مجسمة ؛ لأنه وهبهم القدرة على تمييز البعد الثالث وهو الارتفاع .

واستقرت الأوضاع على هذا النحو .. واستراح العلماء إلى وضع نظام الأرض .. وبالتالي نظام الكون .. فقد بلغت بهم البساطة إلى جعل النظريات الأرضية تسرى على الكون بأكمله .

إلى أن ظهرت النظرية النسبية التى كشفت أن الزمن ليس ثابتا .. وليس بالدقة التى نعرفها .. بل هو متغير ومتذبذب ومنكمش ومتمدد و " متنيل على عينه " .

فالزمن ليس له وجود بالصورة التى نعرفها إلا فى نقطة واحدة فقط فى فراغ الكون الرحيب .. وهذه النقطة هى الكرة الأرضية .

أما فيما عدا ذلك فالزمن مختلف تماما ..

وكبداية " للخفنة " القارئ .. أثبتت النظرية انكماش الزمن بصورة رهيبة بالنسبة للشخص المتحرك ..

وليس المقصود بالمتحرك هنا .. أى المتمشى على شاطئ النيل .. ولكن المتحرك داخل صاروخ منطلق فى فضاء الكون .

فلو أن شخصا انطلق بصاروخ بسرعة مقاربة جدًا لسرعة الضوء لمدة ١٤ سنة .. وعاد إلى الأرض بعد ذلك .. لاكتشف أن الزمن الأرضى قد سجل مرور مليون عام من عمر الأرض ..

إذن فهل هذا يعنى أن هناك إنسانا يمكنه أن يحيا مليونا من السنين .. إطلاقا .. إن هذا الشخص لم يتقدم به السن إلا بما يوازى الأعوام الأربعة عشر . لأن هذا هو نظام الزمن داخل المركبة المتحركة ..

زمن منكمش .. لا أكثر ولا أقل ..

علما بأن الساعة التي يحملها الشخص المتحرّك هي نفس الساعة الأرضية بدقائقها وثوانيها المعروفة .

وإذا كان الزمن المنكمش سيزعج القارئ .. سأتركه جانبا .. أى المنكمش وليس القارئ .. ولنتكلم بهدوء ..

إن الزمن يتأثر بالحركة ويعتمد عليها .. وهو فى حد ذاته شيء نسبى .. وليس شيئًا مطلقًا ..

فالذى يدفعنا إلى الشعور بمرور الزمن .. هو حركة الأرض حول نفسها .. أى دورانها حول محورها .. ثم حركتها فى مدار حول الشمس التابعة لها ..

ولولا هذا لما شعرنا بمرور الزمن ..

ولقد كان نتيجة لذلك أن اخترع الإنسان آلات لقياس الزمن .. فكان اليوم ٢٤ ساعة والعام ٣٦٥ يوما وربع ..

الأول يمثل دوران الأرض حول نفسها مرة .. فيتعاقب الليل والنهار ..

والثانى يمثل دورانها حول الشمس فتتعاقب الأعوام إلا أن الصورة تختلف على كواكب المجموعة الشمسية الأخرى .. فبينما السنة على كوكب عطارد مدتها ٨٨ يوما أرضيا أى أقل من ربع سنة .. نجدها على كوكب زحل ٢٩ سنة ونصف من سنينا ..

وعلى هذا فلو أن طفلا أرضيا ذهب إلى الكوكب الأول .. وكان جوه يصلح للتنفس .. لمات بعد عشرين عاما من وصوله الكوكب الجديد .. لأن انتماءه إلى كوكب الأرض سيجعل هذه الفترة التى قضاها على الكوكب الآخر .. توازى ثمانين سنة أرضية ..

وبالعكس إذا أتانا طفل من كوكب زحل فإننا لن نتمكن من إدخاله المدرسة إلا بعد مرور مائة وعشرين سنة ..لأنه .. بالكاد سيكون مماثلا لأطفالنا البالغين من العمر أربعة أعوام .

إذن فالزمن شيء نسبي.. وليس بشيء مطلق .. وهو يعتمد على الحركة وكما أن الاحساس بالأضواء والألوان ليس له معنى إلا فى حالة وجود عيون مبصره ..

كذلك فإن الإحساس بمرور الزمن ليس له معنى إلا إذا كانت هناك أحداث متتالية تميزه .. وعندئذ نستطيع القول .. إن هذا الحدث وقع في الماضى .. وإن ذلك يحدث الآن .. وغيره قد يحدث في المستقبل ..

ومجرد تصور ماضى وحاضر ومستقبل .. هو الذى يوحى إلينا بمرور الزمن ..

وهو يعتمد على حركة الكون الدائبة .. وكل ما فى الكون يتحرك .. وإن بدا لنا غير ذلك ..

فإذا كنت أنا واقفا بالنسبة لك .. إلا أننى أتحرك مع الأرض بالنسبة لشيء آخر فى الكون .

ولهذا فإن الحركة دليل الوجود .. أنا أتحرك .. وكذلك أنت .. والذرة والإشعاعات .. والأرض .. والغلاف الجوى .. والقمر .. والشمس .. والنجوم .. والمجرّات وكل يتحرك بالنسبة لغيره .

ومادام كل شيء يتحرك .. فلابد أن يحمل معه زمنه .. كلمّا تحرك بسرعة أكبر كان عمره أطول .. بمعنى أن زمنه الذى يسرى معه .. يبطئ بالنسبة لما حوله من حركات أخرى .. أو أزمنه أخرى ..

وهذا الواقع نتيجة غريبة لاتستسيغها العقول .. ذلك لأننا بطبيعة نشأتنا على هذا الكوكب .. نقيس كل الأمور على قدر ماتتقبله حواسنا القاصرة .

ولما كانت هذه هي الحقيقة القائمة فقد خرج العلماء بنتيجة هي أن الزمن يدخل ضمن نسيج الكون دون منازع .. وأصبح هو البعد الرابع .

والزمن توأم الوجود .. ولايمكن أن نفصل بين هذا وذاك .. وإلا لوقعنا فى مأزق فكرى عويص .. فلوقلنا مثلا : إن للزمن بداية ونهاية كأى شيء فى الكون .. لكان معنى ذلك أنه قبل أن يظهر الزمن على مسرح الأحداث الكونية .. لم يكن هناك شيء اسمه زمن .. وهذا مالانستطيع أن نهضمه .. كما لانستطيع أن نهضم وجود يوم قبل أن يسبقه يوم آخر .. وعلى نفس الوتيرة نقول : إذا كان للزمن نهاية فسوف يأتى زمن لن يكون فيه زمن . وهذا أيضا غير مقبول أو مستساغ .. فنحن لانستطيع أن نتصور لحظة قائمة بدون لحظة تجيء بعدها ..

والنظرية النسبية تقول : إن الزمن بعد رابع منسوج مع هذه الأبعاد الثلاثة ولاينفصل عنها ولكن الخالق لم يسمح لأهل الأرض إلا بالرؤيا فى حدود الأبعاد الثلاثة .. وجعل البعد الأخير لغزًا يتلهون بالبحث فى غوامضه ..

فحياتنا المحدودة بالبعد الثالث تجعلنا لانستطيع أن نهضم مسألة البعد الرابع ..إلا إذا انتقلنا إلى عالم ذى أبعاد أربعة .. فسيكون فى مقدورنا أن نرى الزمن .. وفى هذه الحالة نستطيع أن نطلع على الماضى والحاضروالمستقبل .

ولكن سيقفز إذ ذاك بعد خامس ليحيرنا ..

وأبعاد الكون سبعة .. وأنا لاأعرف من الذى أفتى بهذه الفتوى .. ولكن علماء الرياضة وجدوا أنهم لايمكنهم شرح بعض الحقائق الكونية إلا بافتراض أبعاد سبعة .. ومهما قيل عن هذه الأبعاد فنحن لانستطيع أن نتخيلها .

كل ما هنالك أن البعد التالى للأبعاد المسموح بها للمخلوقات سواء كانت علًى الأرض أوعلى كوكب آخر .. هو دائما لغز غامض .. مسموح فقط بمعرفة اسمه وما يرمز إليه هذا الاسم .. أما كنيته وماهيته فمَجَاهِلُ يرتع فيها القوم كما يشاءون .

وطبيعى أن إنسان الأرض بفكره المحدود يرتعب من رؤية الزمن .. ولايتخيل إمكان حدوث مثل هذة المعجزة .. ولكن المحارة العمياء التى تزحف على الأرض لاتستطيع أن تتخيل وجود بعد ثالث .. لأنها تزحف على سطح أو مساحة من الأرض ..فلايمكنها أن تتصور أن هناك بعدًا ثالثا بجسم الأشياء مهما استعملت معها من سبل الإقناع .

كذلك لو أن كوكبا مأهولا بسكان لايعرفون إلا بعدين اثنين فقط فعندئذ لن تدرك مخلوقاته .. مهما كان ذكاؤها .. معنى الارتفاع .

وكأنما كل مخلوقاته تسرى وتتحرك كما تتحرك الظلال .. ولايمكن أن يكون للظل ظل ... لأن الظل غير مجسم .. بل هو مساحة محدودة لها طول وعرض .. ولكن لاسمك لها .. وهم بطبيعتهم هذه لايعرفون فوق أو تحت ، كما نعرف نحن ذلك ونعيش فيه .

ثم لنفترض أن كرة كبيرة صلبة سقطت على هذا العالم الغريب .. فانها لاتبدو أمامهم مجسمة .. بل سيرونها على هيئة دائرة مسطحة تتمدد وتنكمش .. وتنكمش وتتمدد .. كما يحدث فى عالمنا عندما يتحرك الظل على كرة مصمته ..

وعندئذ تنتابهم حيرة بالغة .. فيقولون عن الكرة : إنها معجزة ..

وقد يكون هناك علماء على قدر فائق من المهارة والذكاء فيقومون بعمل بحوث مستفيضة .. ويخرجون من ذلك بنتيجة غريبة .. ويقولون : ربما يرجع ذلك إلى تمدد الزمن .. ولاتفهم الجماهير الظلالية هناك معنى الزمن .. أو تمدده .

فى حين أن أى فلاح بسيط فى عالمنا ذى الأبعاد الثلاثة لايتكلف أى جهد لكى يفهم أن الذى أمامه لايعدو أن يكون .. كرة .. لأنه ببساطة يعيش فى عالم مجسم تحكمه أبعاد ثلاثة .. طول وعرض وارتفاع ..

وهذا ببساطة يوضح لنا .. كيف ينظر كونان مختلفان إلى شيء بسيط كهذا .

فيراه أحدهما بصورة تختلف تماما عما يراه بها الآخر ..

وقد خرج أحد العلماء بفكرة .. أن الزمن يجرى كما يجرى القطار .. ليمر فى طريقه بمحطات ثابتة .. وهو فى هذه الحالة قد واتته الفرصة ليرى من خلال أبعاد أربعة وليست أبعادًا ثلاثة يرى بها الأشياء مجسمة .

وعندئذ سيتجلى أمام عينيه عالم جديد من الإثارة والدهشة والغرابة مالا يطرأ على بال .. فهو فى هذه الحالة يستطيع أن يرى أحداث الماضى ماثلة أمام عينيه .

والإنسان فى هذة الحالة سائح فى رحلة الحياة .. وهو قد جاء رغما عنه ليركب قطار الزمن .. وسوف يمر بمحطات فى الطريق .. وسرعان ماتختفى ولكنها لم تختف حقا .. لأنها لازالت هناك .. كل ماحدث أنها غابت عن نظره .

والمحطات التى لازالت أمامه هى المستقبل بأحداثه .. إنها أيضا هناك .. ولكنه لم يمر بها بعد ..

إذن فالأحداث لاتحدث .. إنما نحن الذين نمر بها .. كما أن المحطات لاتحدث ولاتزول ولكننا نمر بها .

* * *

وبعد فالزمن ليس عويصا مثل الهالة التى بنيناها من حوله .. وليس رهيبا أو مرهوبا بالدرجة التى تجعلنا نرتعب من مجرد التفكير فى إمكان رؤية الماضى والمستقبل .

ومن المرجّح أن هناك عوالم أخرى تخضع بكل بساطة لنظام البعد الرابع .. والمخلوقات التى تقطنها ترى الزمن بأحداثه الماضية والمستقبلة والحاضرة .. دون أدنى مشقة .. ولكن هذه المخلوقات لديها بعد خامس " مغلبُها " و " مربى لها الخيلة " .

وقد يكون البعد الخامس هو خط مرور البصر .. فهو على كوكب الأرض خط مستقيم .. أما أن يكون مقوسا أو ملتويا .. فهذا يغيّر جميع قوانين الحرب .. إذ يصبح ليس من الضرورى أن تطلع فى طائرة لترى مواقع العدو .. وقد يكون البعد الخامس مخالفا لقانون من قوانين الجاذبية .. أو القصور الذاتى .

والأمثلة على ذلك لاحصر لها .. ولكنى لاأود أن أتعرض لها .. وإلا أصبحتْ قصتى هزلية .

ويكفينى حنق القارئ علىّ الآن لمجرد تعرضى للزمن واستخفافى به .

* * *

الفصل الثانى عشر

باتت كل الدلائل الآن تشير إلى أنى أصبحت واقعا تحت تأثير قوة خفية ولو أن جميع هذه الدلائل ليست قاطعة .. فهى دائما ذات وجهين .. بطريقة تمنع الجزم أو الاستحالة ..

ولو أنها نُسبتْ للصدفة لكانت جائزة .. ولو أنها نُسبتْ للواقع لكانت محتملة ..

ولكن الشك قائم فى كل حادثة بحيث يعطى للطبيعة الفرصة للتراجع فى أى لحظة .. دون أن يكون لدى الحق فى أن أقول : إن هذه الواقعة حدثت أو لم تحدث فى يوم من الأيام ..

فتعّرضي لتجربة الموت .. بتوقف عقارب الساعة في المرة الأولى يمكن أن يرتكن إلى الصدفة المحضة .. واستمرار حياتي بعد ضياع الساعة لايلغي الحادثة الأولى .. فلربما تكون هذه الساعة في حوزة من يملأها .

أما الطريقة التي ضاعت بها فبها من الثغرات ما يكفيها ويزيد .. وأن الأشياء كثيرًا ما تضيع بثغرات أقل من تلك التي ضاعت بها هذة الساعة اللعينة .. فأنا لم أعرف إطلاقا إن كانت جميع نوافذ المنزل قد أغلقت أم ظل بعضها مفتوحا كما أن الخادم معه مفتاح .

يبقى الرقم أربعة الذي ظل يتقافز أمامي كالقرد .. إن كل مرة ظهر فيها لايمكن إسنادها إلا للصدفة البحتة .. ولكن تكرار ظهوره بهذه الصورة الملحة يجعل المرء يكاد يجزم بأن هناك ماوراءه .

ولكن لو أننا جزمنا بأن تكرار الرقم لايمكن أن يرتكن إلى الصدفة المحضة .. وأن هناك ماوراءه .. فهل من المحتم أن يعني ذلك البعد الرابع .. أفليس من الجائز أن يكون الرقم يرمز إلى شيء آخر .. بينما أعدو أنا كالأبله خلف الزمن .

على أي حال كل هذه افتراضات واجتهادات .. وهذه القصة برمتها أصبحت لا تزعجني في قليل أو كثير ..

فلو أني واقع تحت تأثير قوة خفية .. فأهلا بها ولتظهر القوة نفسها .. ولو أني واقع تحت وهم .. فشكرًا له .. فقد أمتعني بفترة رائعة من الإثارة والتشويق لم أحظ بمثلها طيلة حياتي الرتيبة التي لم أعرف لها طعم حتى الآن .

* * *

مرّت عدة أيام أمضيتها كيفما اتفق .. إلى أن تذكرت عم إبراهيم والدكان .. ياإلهي .. لقد نسيتهما تماما .. وها قد مر أسبوعان أو أكثر دون أن أراهما .

ومن ثم أخذت سيارتي الستروين ذات الفانوس الواحد وذهبت إلى الدكان .

وإذا عم إبراهيم يجلس على قارعة الطريق وبيده منشه .. وقد وضع ساقا فوق أخرى .. وما أن وقعت عيناه عليّ حتى أخذ يتأملني كأنما يراني للمرة الأولى .

ولم يُعن بأن يحيّني أو أن ينزل ساقه من فوق الأخرى .. بل ظل ينظر إليّ بهدوء ..

فوقفت قبالته وقلت :

- صباح الخير ياعم إبراهيم ...

فلم يرد على .. بل أخذ يتفحصنى من رأسى إلى حذائى ..

فقلت له - دانا شريف ...

فاذا به يعتدل فى جلسته .. ويقول لى آخر ماكنت أتوقعه ..

- إنت كنت فين ياولد ؟؟

فضحكت رغما عنى .. لأنى لم أتوقع أن ينهرنى موظف عندى .. ولم يلبث أن وقف وأمسكنى من ذراعى قائلا :

- أنت يا تيجى هنا كل يوم .. يا حسيب لك المحل وامشى ..

وتبع كلامه بأن أخذ ينقر بالمنشة على باب الدكان علامة التهديد ..

فقلت : حاضر .. حقك على

- حق إيه وزفت إيه .. أنت عارف الدكان الطويل العريض ده جاب كام امبارح

- سبعتاشرجنيه ونص ..

وفتح فمه ليتابع الحديث .. ولكنه توقف ونظر إلىّ باستغراب

وقال : إنت يابنى بتيجى هنا من ورايا .. والاايه ؟

- لا ..

- أمال عرفت منين

- أبدا .. قلتها كده وجات صدفة

- ما علينا .. سبعتاشر جنيه ونص .. بيع مش صافى مكسب ..

وبدأ يسترسل فى الحديث فى إنفعال حقيقى .. أما أنا فقد تسرب عقلى من بين يديه ..ومن حركة الشارع الرهيبة ومن ضوضاء الترام والأتوبيس وعربات النقل .. ووقفتُ مذهولا أحدق فى السماء .. سبعة عشر جنيها ونصف .. سبعة عشر .. ومن ثم أفقت فى الحال .. والتفت إلى الرجل مقاطعا إياه بحدةَ .

- عم إبراهيم .. الدكان ده جاب كام أول امبارح ..

فنظر إلى بامتعاض قائلا :

- مش تستنى لما أخلص كلامى
- معلش أرجوك قول لى ..
- استنى لما أجيب الدفتر ..

واستدار ليحضر الدفتر .. وإذا بى أهمس لنفسى .. اثنين وعشرين ونصف وعاد الدفتر قائلا :

- اثنين وعشرين ونص ..

وهنا أعطيته ظهرى وانطلقت أعدو فى الشارع .. دون أن أعنى بلعنات الرجل صريحة ..

.. وجدتها ..

لقد رأيت الزمن ..

.. إنى أرى الأشياء قبل وقوعها ..

.. إنى أعرف الأرقام قبل أن ينطق بها الخلق ..

لقد تكررت هذه الواقعة منذ أسبوعين مع إبراهيم حين عرفت إيراد المحل قبل أن قوله لى .. كما أنى حين قابلت فخرى منذ أربعة أيام .. كنت أعرف كل كلمة قبل أن نطق بها .. وقد ظننت آنذاك أنى أعرف .. لأن حديثه دائما معاد .. ويسير على نمط احد ..

ولكن الحقيقة أنى أعرف الكلمة قبل أن تخرج إلى حيز الوجود ..

أخيرًا وجدتها ..

والذى تضيع ساعته يصبح غير خاضع لقانون الزمن ..

الماضى والحاضر والمستقبل ..

لقد انكشف عنى الحجاب ..

لقد أصبحت خاضعًا لنظام البعد الرابع ..

وهذا الكوكب برمته يخضع للبعد الثالث ..

أما أنا .. فمعجزة ..

معجزة ..

سأصبح وزيرًا .. زعيما .. ملكا ..

وهذه الستروين ذات الفانوس الواحد .. لن تطأها قدمى بعد اليوم ..

سأركب أسطولا من السيارات الفاخرة ..

سآكل البتلو والكمثرى والبطارخ ..

وسأرتدى الحذاء الساكسون ..

وسأتبختر على الكورنيش أزيّق بحذائى ..

وانطلقت بالقطعة الستروين بسرعة لم أعهدها فيها من قبل .. كأنما خالت هى الأخرى أنها أصبحت تخضع للبعد الرابع ..

وماتت يدى على آلة التنبيه .. والخلق تفسح لى الطريق .. ربّما لأنهم عرفوا أنى الملك الجديد .. وربما بسبب ضوضاء سيارتى عديمة الشكمان ..

وظللت أمرق كالسهم إلى أن خرجت من زحمة العاصمة وتوجهت نحو المقطم ..

فقد تصورت أنى يجب أن أجلس فى مكان عال حتى يمكننى أن أرى الزمن .. إذ ليس من المعقول أن أرى الزمن من هذا المستوى .

وبذلت السيارة جهدًا لاطاقة لها به لصعود الطريق الملتوى المؤدّى إلى المقطم ..

وكادت تخذلنى عدة مرات .. ولكنها أدت مهمتها فى النهاية ..

يبدو أن هذه السيارة مصممة على السير فى السهول .. ولكن لابأس فهذه رحلتها الأخيرة .. وغدًا تستريح إلى الأبد .

ولمحت مقعدًا رخاميا .. فضغطت الفرامل .. وأطفأت محرك السيارة ..فإذا السكون الذى هبط على المكان يشعرنى كأنما الحياة قد توقفت فجأة ..

سكون رهيب .. أعنف فى صمته من هدير الرعد . فترجلت وتوجهت نحو المقعد .. فإذا الحياة حلوة .. والنسيم يتلصص بحذر ليداعبنى ..

وأغصان شجرة قريبة تتماوج بدلال كفتاه تتخلع بالسليقة .. دون أن يعلمها أحد ذلك ..

وجلست .. ومددت الطرف بعيدًا .. فرأيت منازل صفراء صغيرة .. يتلوها نهر ذو سطح لامع كلوح الزجاج .. وقطار يتحرك ببطء بالغ تعلوه سحابة سوداء لاتغادره أبدا ..

ثم انتقلت ببصرى لخط الأفق .. فرأيت شبح الأهرامات من بين غمام التراب معلق فى سماء القاهرة ..

ومن ثم انتزعت نفسى من روعة المنظر الخلاب .. وقلت : فلنبدأ العمل .. فأنا لم حضر هنا لأتلهى بمشاهدة الطبيعة ..

لقد أتيت لأرى الزمن .. وليس شجرة تتماوج .. أو قطار محمل بالسناج الهباب ..

ولكن يجب ألا أتعجل .. فأنا أريد أن أرى كل شيء حتى ألم بالعالم كله .

ولنبدأ بالماضى .. فأنا أريد أن أعرف ماذا حدث منذ أيام الفراعنة .

الفراعنة ؟؟

لا إن عصر الفراعنة عصر قريب جدًا ..

فلنبدأ بالعصر الحجرى ..

ألا توجد عصور أخرى قبل الحجرى

نعم ..

ولكنى لا أكاد أعرف ما هى ..

الأجدر بى أن أبدأ بالإنسان حين كان يعيش وحيدًا كحيوان فى الغابة

نعم .. فلنبدأ بالإنسان الأول ..

والآن .. ألا فلتحضر أيها الزمن ..

وجلست منفوخ الأوداج .. عظيما .. منتظرًا أن تمر المشاهد أمامى على مسرح الفراغ سابحة بى فى رحلة الزمان والمكان .. متوغلة فى غياهب التاريخ .. يوم لم يكن هناك تاريخ .

انتظرت عدة دقائق أبحلق فى الفضاء .. ولكن شيئا لم يأت .. فالنهر لازال يلمع كلوح الزجاج .. والقطار لازال يسير ببطء .

فاعتدلت فى جلستى .. وتنازلت عن العظمة .. فلربما يكره الزمن هذه الحركات ..

وبعد تفكير قليل تنازلت أيضًا عن الإنسان الأول .. فلربما يكون زمانه بعيدًا أكثر من اللازم .. وقلت .. فلنبدأ بالعصر الحجرى ..

وانتظرت طويلاً .. ولكن شيئًا لم يحدث .

فداخلنى شيء من القلق ..

ولكنى عدت وقلت .. ربما يرتبط الزمن بالواقع .. والواقع يتمثل فى شىء معاصر للزمن ..

بمعنى أن يكون قائمًا على الأرض .. فيربط الماضى بالحاضر .. نعم هـذه الفكـر أقرب إلى العقل ..

والأهرامات هى خير ما يمثل الواقع .. ويربط الماضى بالحاضر ..

ومن ثم نظرت بحدة نحو الهرم .. ودققت الطرف جيدًا .. وركزت الفكر .. ثـ قلت بصوت مسموع

وإلا فلتحضر أيها الزمن ..

وإذا عصفور طائر يرمى نفايته على كتفى ..

وأخذتنى المفاجأة أول الأمر .. ولكنى لم أحرك ساكنا .. واكتفيـت بـأن نظـرت إلى كتفى وقميصى الأبيض .. ثـم سـرحت ببصـرى .. ولـم ألبـث .. أن ابتسـمت ابتسامة باهتة حزينة ..

فقد بدأت أعرف مقامى بالضبط ..

وهذا العصفور أرسلته الطبيعة لا شك .. لتعرّفنى مقامى ..

ومن ثم نهضت بهدوء .. وقد أدركت أن البعد الرابع لن يأتى كشىء مطلق .

واعتقادى بأنى أصبحت خاضعًا لهذا البعد دون أهل الأرض .. فرحـة مؤلمـة . نسجتها من خيالى دون أى سند ارتكن إليه ..

ومن ثم أخذت أخطو الهوينا .. وأعملـت الفكـر ببسـاطة متمعنـا فيمـا حـدث . وفيمـا فعلت .. فوجدت أنـى أبعـد مـا كنـت عن المعقـول .. فرؤيـا الزمـن ليسـت بالعين .

لابد وأن تكون بشىء آخر ..

وأنا لن أنادى على الزمن حتى يأتينى .. والرؤيا ليست بالميعاد .. فإما أن تـأتـ أو لا تأتى ..

ولكن ما حيَّرنى حقا .. هو أنى عرفت الألفاظ قبل أن ينطق الخلق بها .

أيكون المعنى الكامن وراء هذه الظـاهرة .. أنـى سـوف أعـرف المسـتقبل دون الماضى ..

ولكن لماذا استعمل سوف ؟

ألم يحدث هذا وانتهى الأمر ؟؟
إذن .. أيكون المعنى أنى قد أصبحت قادرًا الآن على رؤية المستقبل .
ربما ..
إذا كان هذا هو الحال .. هل أعرف الآن ماسيحدث لى فى العام القادم ؟
إطلاقا ..
هل أعرف ماذا سيحدث باكر ؟؟
أبدًا ..
إن تفكيرى فى المستقبل يغلفه ضباب قاتم .. وأنا لا أرى أكثر من الحاضر
إذن ما الذى حدث ..
وما هى لعبة الزمن معى ؟؟
هناك لغز ولاشك .. وجلستى هذه لن توصلنى إلى شىء ألا فلأهبط .. ولأتوكل على الله .. ولأترك الأيام تعرفنى قصة الزمن معى ..
لقد فكرت فى الزمن أكثر مما ينبغى .. ولقد زهقت أكثر مما ينبغى .. ولن أضيع دقيقة واحدة فى هذه الأحاجى ..
ومن ثم ركبت سيارتى .. وأنا فى غاية القنوط .. فقد هبطت أحلامى من السماء إلى الحضيض ..
من أعظم رجل فى العالم ، إلى أغلب رجل فى العالم ..
ومما زاد من أحزانى أن سيارتى الستروين ذات الفانوس الواحد كلفتها أكثر مما تحتمل .. ظانـًا أن هذه رحلتها الأخيرة ..
ولكن يبدو أنها ستلتصق بى إلى الأبد .. كمثل عم إبراهيم ومصيلحى .
وبدأت أهبط .. الطريق الملتوى .. وأنا أفكر فى حالى .. ولا أكاد أبصر شيئا حولى أو أمامى .. فالغم حين يهبط على النفس يصبح المرء أعمى القلب والعين .. فقلت يالغلبك يابن آدم .. هل أصبحت تابعا للبعد الثانى .. أو الأول ؟
وظللت أنزلق على الطريق الملتوى وأنا أرفُل فى أحزانى .. ولكن حدث فى تلك الأثناء أن اقتربت من منعطف حاد .. وماكدت أبلغه حتى ضغطت فرامل السيارة بكل عنف .. ووقفت فى مكانى فى الحال ..

ولو أن أحدا كان معى .. لنهرنى لعنف الارتجاج الناتج عن وقفتى المفاجئة .. إذ لم يكن هناك ما يستوجب هذا التصرف .. فالطريق خالى .. وكل شىء هادئ .. ولكن ما حدث بالضبط هو أنى رأيت سيارة حمراء قادمة بسرعة جنونية .. ولعنف سرعتها لم يتمكن قائدها من الاحتفاظ بها فى يمين الطريق .. ولكنها أفلتت منه واحتلت الجانب الأيسر من المنعطف .. وهو الجانب الذى كانت ستحتله سيارتى .

ولقد رأيت هذه الصورة لعدّة ثوان بخيالى فقط .. أما الطريق فخالى .. وكل شىء على ما يرام ..

وما هى إلا لحظة .. حتى أتت السيارة الحمراء قادمة بسرعة جنونية .. ولشدة سرعتها لم يتمكن قائدها من الاحتفاظ بها فى يمين الطريق .. ولكنها أفلتت منه ..

إلى آخر هذه القصة ..

بالحرف الواحد ..

والصورة لم تختلف فيها ذرة تراب واحدة من الزوبعة التى أثارتها السيارة الحمراء .. من الخيال عن الحقيقة ..

لقد تطابقت الصورتان بشكل مرعب .

ولو أنى تابعت السير لكنت مصطدم لا محالة .. ولكن توقفى المفاجئ نجّا كلينا من الحادث .. السائق الآخر وأنا ..

وفارق الزمن بين الصورة التى ومضت فى ذهنى كمثل ومض البرق .. والحقيقة التى وقعت بعد ذلك يقدر بالثوان .. أو بدقائق قليلة ..

والواقع أنه لا يمكن الجزم ..

لأن الخوف الذى سيطر على من منظر الحادث المرتقب جعلنى غير قادر على تحديد مساحة الوقت الذى انصرم بين الخيال والواقع .

وتابع سائق السيارة الحمراء طريقه بكل وقاحة دون أن يعنى بأن يوجه إلىّ كلمة شكر أو اعتذار .

ولم آبه كثيرا لذلك .. إذ كان لدى ما هو أهم من الشكر ..

فلم أتحرك من مكانى .. وقد هبط على ذهول مطبق .. ولكنى لم ألبث أن نفضته عنى بحدة .. فهذا ليس وقت الذهول .. بل هو وقت المعرفة .

يجب أن أعرف ما الذى حدث ..

لقد رأيت صورة ..

وبعد وقت معين .. تحققت هذه الصورة ..

والصورة وقعت فى الحاضر بالنسبة للحظة التى وقعت فيها .. ثم أصبحت فى الماضى .

تلاه حاضر جديد ..

ثم تحققت فى المستقبل ..

وعند ذلك أصبح المستقبل حاضرًا ..

ثم انتقل إلى الماضى هو الآخر ..

وعند هذه النقطة يجب أن أقف

لأن الحقيقة تبلجت أمامى الآن بكل وضوح ..

إنى أرى المستقبل ..

ولكنه مستقبل قريب جدًا ..

وربما كنت أراه طيلة الأسابيع الماضية .. ولكن لشدة قربه لم أتمكن من تمييزه عن الحاضر ..

وما دام الحال كذلك .. فيجب أن أعرف فارق الزمن بين الحاضر الذى أعيش فيه .. والمستقبل الذى تراه بصيرتى فى نفس هذا الحاضر .

ومن ثم خلعت ساعتى .. وأمسكتها بيدى أراقب عقرب الثوانى .. وانتظرت مرور أى سيارة تأتينى من نفس المنحنى الذى وقفت قبله ..

وبعد عدة دقائق .. إذا بى أرى سيارة سوداء قادمة من خلف المنحنى .. فرفعت عينى بحركة لا إرادية ناظرًا إلى الطريق أمامى .. فإذا هو خال تماما ..

ولكن ما هى إلا لحظات حتى أتت السيارة السوداء .. فشهقت من هول المفاجأة .. إذ بالرغم من أنى رأيتها .. وبالرغم من أنى كنت أتوقع حضورها .. إلا أنى لم أصدق أن ومضة الفكر الخيالى ستصبح حقيقة .

وطبيعى أن التجربة فشلت .. لأنى أفلتت عقرب الثوانى .. ولم أنظر إلى الساعة إلا وبعد أن اجتازتنى السيارة بمائة متر أو مائتين ..

ثم ظهرت على صفحة الفكر سيارة ثانية .. وقبل أن تتحقق قفزت ثالثة .. ثم تحققت الثانية وتلتها الثالثة ..

واختلط الحابل بالنابل ..

ولكنى لم أيأس .. بل بالعكس .. ابتدأ يداخلنى شىء من الألفة بين الخيال والواقع ..

ومرت عدة سيارات متفرقة .. وأجريت التجربة عليها الواحدة تلو الأخرى .. وخرجت بالنتيجة النهائية ..

أنا أسبق الزمن بدقيقة واحدة ..

تمخض الجبل فولد فأرا ..

* * *

كل هذا العذاب .. والبهدلة .. وقلة القيمة .. والموت .. والحياة وسرقة الساعة .. والغربان الأربعة ..

كل هذا من أجل دقيقة واحدة ..

وأجلس على الجبل .. واحتقر سكان الأرض التابعين للبعد الثالث .. لأنى بتاع الرابع ..

وإلا فلتحضر أيها الزمن .. وأرنى إنسان الغابة الأول .. وتوغل بى فى غياهب التاريخ .. يوم لم يكن هناك تاريخ .. وتأتى عصفورة وتهيننى ..

كل هذا من أجل دقيقة واحدة .. ستون ثانية .. ماذا أفعل بها ؟؟

إن دقيقة المستقبل تكاد تكون – لشدة قربها – حاضرًا .. والبعد الرابع .. بملايين سنين الماضى .. ولحظة الحاضر .. وملايين المستقبل .. لم يتفضل على إلا بدقيقة واحدة ..

ألا فليتفضل ويأخذها ..

فهى لن " تربى لى إلا الخيلة "

ولن أجنى من وراءها إلا صورًا مزدوجة .. كالتليفزيون " البايظ " .

وسأعانى منها أكثر مما أستفيد ..

وسأدخل فى فترة تدريب عنيفة قبل أن أتمكن من أن أفصل بين الصورتين .. فصورة الخيال تنطبع على الذهن من تلقاء نفسها .. وصورة الواقع تراها العين ثم ترسلها إلى المخ .. والفارق بين الصورتين دقيقة ..

ولكن فى هذه الدقيقة التعسة .. تأتى عدة صور ليختلط المستقبل بالحاضر .. ولأقع فى ربكة لا نهاية لها ..

وليتنى ما عرفت .. فقد كنت أحيا بسلام .. وقرب الصورتين من بعض يجعلنى أظن نفسى " متزغللا " .

أما الآن فأنا أعرف الحقيقة ..

شيء واحد أكرمنى به الزمن ..

هو أن صورة المستقبل الذهنية تتبع للبعد الثانى .. فهى مسطحة .. ذات طول وعرض فقط .. وليس لها سمك إطلاقا .

فالسيارات والأشخاص والأشياء .. كلها مسطحة .. أما الصورة التى أراها بعينى فهى مجسمة .. لأن بعدها ثالث عادى .

الفصل الثالث عشر

أصبح من الواضح أن الزمن أهدانى بمصيبة

وظل يعدو ورائى ليلقمنى إياها .. وليعرفنى أنى " شربتها " .. ولقد كان من الجائز أن تحدث لى هذه المصيبة .. وأظل جاهلا بحدوثها .. فدقيقة المستقبل لشدة قربها - كما قلت - تعتبر حاضرًا .

ولكن أنى للزمن أن يستريح على هذا النحو .. ومن أين يأتيه الانسجام أن هو أهدانى مقلبا دون أن أعرف أنى جالس عليه .

يجب أن أعرف أنه أتعسنى حتى يستريح الزمن .. يجب أن أقاسى من بلاويه حتى يطمئن باله .

لقد ظننت بادئ الأمر .. أن الطبيعة اختارتنى من دون أهل الأرض لترينى البعد الرابع .. ولديها من المغلق فى باقى الأبعاد السبعة ..

ولكن تمخضت الصورة عن دقيقة واحدة ..

وهذه الدقيقة فيها من المتاعب مالا حصر له .. ومن الفوائد مالا وجود له .

وهذه قسمتي ..

لقد شربتها " وانتهى الأمر ..

وعرفت أنى شربتها حتى يستريح الزمن ..

انتقلت فى الأسابيع التالية من فترة الركود إلى فترة من النشاط الذهني العنيف لقد انتهت أيام الراحة .. وأصبحت أتدرب منذ الصباح حتى المساء على الفصل بين الصورتين .

ولقد كان التدريب عنيفًا فى الأيام الأولى .. والمجهود الذهني يكاد يوصلني للجنون .

ولكن رويدًا رويدًا بدأت أفصل بين الصورتين .. صورة البعد الثانى المسطحة .. وصورة البعد الثالث المجسمة .

وفى تلك الأثناء عرفت باقي التفاصيل الخاصة بالدقيقة الهدية .. الدقيقة المعجزة فهذه الفترة خاصة بى أنا وحدى .. بمعنى أنى لا أرى ما الذى سيحدث للعالم فى الدقيقة المقبلة .. أو فى الدولة .. أو المدينة أو القرية ..

كل هذا ليس له وجود .. فأنا لا أرى سوى نفسي .. وما يحيط بهذه النفس من أشياء ..

أما النقطة الثانية فهى الكلام ..

فأنا أعرف ما سوف يخرج من فم الشخص أو الأشخاص الذين يتكلمون معي .. فى خلال الدقيقة القادمة ..

وهذه المشكلة أخف من مشكلة الصورة ..

لأن الكلمة القادمة تصل إلى عقلى دون ضوضاء .. بخلاف الكلمة التى ينطق بها الشخص .. فهى تأتى منغمة بصوته ..

وهذه المشكلة هينة كما أسلفت .. لأن الحديث إذا كان متّصلا أصبح من اليسير على أن ألتفت للكلمة المنغمة متجاهلاً الكلمة الصامتة الباهتة .. التى لن تلبث أن تأتيني بعد دقيقة منغمة أيضا .

أما إذا كانت هناك وقفة فى الحديث .. فالكلمة القادمة تأتينى أثناء فترة الصمت .

بمعنى أنى لو سألت أحدا سؤالا .. وكانت هناك لحظات من الصمت بين السؤال والجواب .. بغرض التفكير أو أى شىء آخر .. فإنى أعرف الجواب خلال لحظات الصمت .. ثم يأتينى الجواب مرة أخرى على لسان المتكلم .

والفرق بين الحديث المتصل والحديث المتقطع .. واضح جدا .. فأثناء الحديث المتصل تدربت على تجاهل الكلمة القادمة بانشغالى بسماع الكلمة الحالية .

أما الحديث المتقطع فتأتينى الكلمة القادمة .. شئت أم لم أشأ .. أثناء فترة السكون .

* * *

أصبح كل همى خلال هذه الأسابيع أن أتخلص من هذه الدقيقة .

ولما كان هذا مستحيلا .. فقد باتت مجهوداتى منصبة على أن أجعلها تسبب لى من الإزعاج أقله .

ومن محاسن الصدف .. أنى أصبحت لا أفاجأ إطلاقا .. فيومًا عبرت طائرة حاجز الصوت .. فسمعت الفرقعة بهدوء فى ذهنى .. ثم مرت الدقيقة .. وأتت الفرقعة الأصلية .. فانتفض الخلق .. وقفز من قفز.. أما أنا فلم أحرك ساكنا .

فسُميت بالتلم و " الرخم " .

وهكذا أكرمتنى الدقيقة بصفة جديدة ..

بأنى راجل " معنديش دم " .. " جبِلة " .. عديم الإحساس ..

* * *

لو أن الزمن يكرمنى .. ويأخذ منى هذه الدقيقة ؟ لكنت له من الشاكرين .. ولانبرى لسانى يلهج بالثناء عليه حتى يوم وفاتى ..

ولكن أين أنا وأين الزمن ..

ولقد وقعت وانتهى الأمر ..

ومرت أسابيع التدريب .. وهانت المشكلة .. واعتدتُ على بلواى .. كصاحب العلة .. وهونت على نفسى .. فهناك خلق تسير بالربو .. وخلق تسير بالقلب .. وأنا ابتلانى الزمن بدقيقة .

* * *

ويومًا مررت بالمقهى .. ورأيت الأستاذ مندور .. فسألته .. إذا كان هناك شخص يسبق الزمن بدقيقة .. ماذا يفعل بها .. فقال .. يبلّها ويشرب ميتها .. فقلت صدقت والله .

* * *

ويوما آخر وجدت نفسى فى نادى الصيد .. فحاولت أن أتنبأ بنتائج المراهنات علّنى " ألهف قرشين " من النادى .. ولكنى فشلت فشلا ذريعا ؛ لأن الشوط أو المسابقة كما يسمونها تستغرق ما بين خمس دقائق وعشرين دقيقة .

وأنا لا أعرف من المستقبل سوى دقيقة .. فتذكرت كلمة الأستاذ مندور .. فخير لى " أن أبلّها وأشرب ميتها " كما قال .

آه لو أن البعد الرابع أعطانى نصف ساعة فقط .. لكنت سرقت النادى سرقة علانية ، ولكنى بالكاد كنت أعرف النتيجة عندما يمسك الضارب الأخير ببندقيته .

حدث بعد ذلك أن دق جرس التليفون فى إحدى الأمسيات وكنت أشاهد مسرحية معادة بالتليفزيون .

وهذه أسعد لحظات حياتى ..

لأنى سابق الزمن جاهز بثلاث ساعات .. فالمسرحية رأيتها فيما مضى .. والدقيقة القادمة لا معنى لها .. لأنى أعرف المسرحية كلها .. والساعات الثلاث القادمة تمر بهدوء لأنى أعرف تماما ما الذى سيحدث بها .. اللهم إلا إذا احترق التليفزيون .. أو انقطعت الكهرباء ..

ورفعت السماعة وقلت :

- أهلا يا فخرى .. أزيك ..

ومرت لحظة صمت .. ثم زعق فخرى قائلا :

- يخرب بيتك .. عرفت منين .. دانا يابنى لسة ما قلت ألو ..

فقلت : القلوب عند بعضيها

- إيه يا واد الكلام ده .. يعنى بتفكر فى .. وحشتك واللا إيه
- يا بيه .. دانت حبيب الملايين ..
- ملايين إيه يا بنى .. أنت عاوز تستلف فلوس والا إيه ..
- أبدا .. قول بقى عاوز إيه .. وما تبوظشى علىَّ رواية التليفزيون .. ومن ثم أخبرنى أن عنده مأمورية يومين بالإسكندرية .. وسألنى إن كنت أرغب فى أن أروّح عن نفسى وأذهب معه .. فرحبت بالفكرة واتفقنا على اللقاء بمحطة مصر فى اليوم التالى .

* * *

جلسنا فى المساء بمقهى قرب محطة الرّمل .. وأخذنا نأكل سمكا ورتسا ومحلب وما إلى ذلك ..

إلى أن مر بائع سودانى ولب وفستق .. فاشترينا بعضا من الأول والثانى .. فسألنى الرجل إن كنت ألاعبه جوز وإلا فرد على " الفزدق " ..

فنظرت إليه .. وابتسمت .. فأنا أعرف مقدّما ما سيحدث .. ومن ثم قلت له .. بلاش يا عم الله يسهل لك .. فقال ما تجرب حظك يا بيه ..

وتبع كلامه بأن بدأ اللعبة دون رغبة منى .. فرأيت أن نتسلى قليلا .. وطبيعى أنى ربحت جميع الأدوار .. لأنى كنت أعرف عدد حبات الفستق التى يخفيها فى قبضة يده .. لأن الفاصل ما بين نطقى لكلمة زوج أو فرد .. وبين فتح راحة يده لم يكن يستغرق أكثر من عدة ثوان .. وهى تدخل فى نطاق دقيقتى الرهيبة .

وقد بدأ فخرى يأكل الفستق الذى ربحناه .. ولكنى نهرته .. وأخبرته ألا يمسه قبل أن تنتهى اللعبة ..

أما الرجل فقد أصبح فى حالة يرثى لها عندما وجد أن نصف رأس ماله قد تبدد فى الهواء .. فى هذه اللعبة اللعينة التى لم يكسب منها دورًا واحدًا ..

ومن ثم أوقف اللعبة وقال ..

- عندى لعبة تانية يا بيه .. تلعب ..

فقلت : أتفرج

فأخرج من جيب جلبابه لعبة روليت صغيرة فى حجم طبق الشاى .. وأخرج من الجيب الآخر قالب شكولاته كادبورى وقال : إنى أختار رقما بربع جنيه .. وتدور البلية فإذا وقفت على الرقم .. أخذت القالب .. وإذا لم أوفق يمكننى أن أجرب مرة ثانية وثالثة إذا شئت ..

فقلت : تسعة وعشرين

وللحال أطلق البلية .. واستمرت فى الدوران قليلا ثم استقرت على الرقم تسعة وعشرين ..

وبهت الرجل .. وأخذ ينظر إلى مشدوهًا .. غير مصدق .. ثم انهار .. وقال فى عرضك يا بيه .. دانا غلبان وصاحب عيال .

فلم آخذ الشكولاته .. وأعدت الفستق إليه .. فاختفى فى مثل لمح البرق .. كأنما انشقت الأرض وابتلعته ..

وإذا فخرى يعنفنى قائلا :

- ده حقك .. إزاى تسيب حقك ؟؟ ده راجل حرامى ..

فقلت : والنبى تنقطنا بسكاتك ..

وأخلدت إلى الصمت .. وأخذت أتأمل ما حدث .. فوجدت أنى لم أشعر بذرة واحدة من لذة الانتصار .. بل غلب على الحزن .. فهذه الدقيقة التى أهدانيها الزمن لم تفلح إلا فى إرهاب شخص فقير تعس ..

* * *

وحدث فى تلك الأثناء .. أن كان هناك رجل فى نحو الستين من عمره يجلس إلى مائدة قريبة .. وهو يتابع بشغف المباراة التى دارت بينى وبين بائع اللب ..

ولم يلبث الرجل أن نهض وتوجه نحونا .. وحيانا بعربية ركيكة .. فأيقنت أنه يونانى .. ربما من أهل الإسكندرية .. ولم ينتظر أن نرد التحية ولكنه سحب مقعدًا وجلس .. وسألنى دون مقدمات وهو يبتسم .

- .. إزاى عرفت
- .. عرفت إيه
- الحظ
- صدفة
- أنا مش بتكلم عن الروليت .. أنا بتكلم عن الجوز والفرد .. إزاى تلعب خمسة وتلاتين دورا ما تغلطشى فيهم مرة واحدة ..

فأغتظت من تطفله على جلستنا وقلت بتحدى .. وقد جانبنى الصواب ..

- أنا بأعرف المستخبى ..
- يعنى إيه بتعرف المستخبى ..
- يعنى أعرف الحاجة قبل ما أشوفها ..
- اللى شفته يخلّينى أصدقك .. ولكن معلهش .. ما تزعلش منى .. لو جبت لك زهر ورميته تقدر تقول لى حاجيب كام قبل ما أرميه ؟

فقلت بغباء :

- أيوه

فأمر بلعبة النرد " طاولة " وأتت وأمسك الزهر

وقال : كام

قلت : شيش جهار

فرمى النرد .. فإذا هو كما قلت ..

وأعاد اللعبة عدة مرات .. ربما خمس مرات .. وطبيعى أنى لم أخطئ أبدًا ..

وكان الرجل يبدى تعجبه كلما تطابق ما أقول مع ما يحدث ..

ولكنه كان يحاول أن يدارى شعوره ..

أما فخرى فقد أصيب باندهاش حقيقى مصحوب بافتخار نسبة لكونى صديقه .

فقال : إيه يا واد ده .. إيه الألعاب دى .. كل ده يطلع منك .

كأنما أثارته هذه اللعبة .. دون اللعبة التى تكررت أمام عينيه خمسة وثلاثين مرة .. دون أن يتنبه لغرابتها ..

وهنا أقفل الرجل " الطاولة " وقال :

- تيجى معايا الكازينو بالنص ..
- كازينو إيه
- سيسيل
- سيسيل إيه
- فيه نادى قمار فى لوكاندة سيسيل .. تيجى معايا والمكسب بالنص.

فقلت : ممنوع دخول المصريين .

- مالكش دعوة .. تستنانى هنا نص ساعة ..

فقلت وقد استخفنى الطرب :

- مافيش مانع ..
- بس أوعى تمشى ..

فهززت رأسى علامة الإيجاب .. ونهض الرجل مسرعا .. وانقضّ علىّ فخرى يسألنى عشرات الأسئلة .. فأجبته أن ما حدث لم يتعدّ الصدفة المحضة .

ومن ثَمّ أمسك بالنرد وأخذ يفعل .. كما فعل الرجل .. وأخذت بالتالى أجيبه إجابات خاطئة .. إلى أن هدأت نفسه .. وتأكد أن ما حدث لم يكن إلا صدفة حقًا ..

وقال : يخيبك يا بعيد .. كنت فاكرك حاوى

وعدنا لما كنا فيه من متابعة الغاديين والرائحين ..

وبعد فترة .. عاد الرجل اليوناني مهرولا .. وكأنما لم يكن يتوقع وجودنا .. إذ ما أن رآنا حتى تنفس الصعداء وقال :

- يااللا بينا

فقال فخرى : يااللا بينا

فاستوقفه الرجل وقال :

- لا مؤاخذة .. الأستاذ بس .. أنا مجبتش غير تصريح واحد ..
- إيه الحركات دى ..
- معلهش .. بكره أجيب تصريح تانى كمان ..

ودعاني الرجل للرحيل .. فذهبت معه .. وفخرى غير مصدق أنى سأتركه وحده بالمقهى .. فوقف قائلا :

- ده حمار يا خواجة .. دا ما بيعرفش حاجة .. كانت صدفة .. حتى تعالى جرب تانى ..

ولكن الرجل لم يأبه له بل أخذ يغذى السير وأنا إلى جواره .. وفى الطريق أفهمنى أنه أتانى بجواز سفر أحد أقربائه .. وأن اسمى من الآن .. استاماتيو .. وأنى قادم من اليونان .. وأنى لا أعرف من العربية كلمة واحدة .. حتى الحديث داخل النادى سيتم بيننا بالإنجليزية .. إلا لو تأكدنا من أن أحدا لا يسمعنا .

وابتدأ الر جل يشرح لى لعبة الروليت الحقيقة .. فالألوان تكسب ضعف واحد .. والزوجى والفردى تربح ضعف واحد .. والعامود يربح ضعفين .. وجانب الصف ستة أضعاف .. والصليبة تسعة أضعاف والرقم الحر خمسة وثلاثين ضعفا .

فقاطعته – من فضلك .. ماتلخمنيش .. واستنى لما نوصل .

والواقع أنى قد بدأت أندم على تركي لفخرى وقيامي مع الغريب .. وليس ذلك من أجل فخرى .. ولكن لأنى وجدت نفسى متورطاً فى مغامرة حقيقية دون ترو أو تفكير .. وهذا ليس من طبعي المترى المفكر فى كل خطوة .. وقد عجبت من نفسى .. كيف تسرعت فى اتخاذ قرار خطير كهذا .. ولكن الحقيقة المذهلة هى أنى قد تغيرت فعلا ..فإحساسى بأنى أعرف مقدماً ما سوف يحدث أعطانى بعضا

من الثقة فى نفسى .. وهذه الدقيقة التافهة .. بالرغم من صغر حجمها .. إلا أنها تتيح لى دائما فرصة الهرب من وجه الخطر .

وعلى الرغم من ذلك .. فإنى لم أتمالك نفسى من الارتجاف حين وقفنا بباب النادى .. وزميلى يبرز جوازى السفر ..

وظللت أرتجف حتى بعد أن دخلنا وزميلى واسمه جورج .. أو يورغو .. متعجل اللعب .. فأخذ يسألنى هل سنلعب الورق أولاً أو الروليت .

فرفعت يدى استمهله .. وأفهمته أنى لا أعرف شيئا فى ألعاب القمار .. ورجوته أن يتركنى أراقب بهدوء .. ثم نقرر فيما بعد ما نفعل .. فوافق .. وأخبرنى أن هذه فكرة صائبة .

والواقع أنى كنت أرجو هذه المهلة حتى أسيطر على أعصابى .. وبدأت أتجول فى المكان .. فإذا نحن فى صالة متواضعة أغلب روادها من الرجال .. وبها عدة موائد خضراء كبيرة يقف خلف كل منها لاعب من الكازينو .. ومعه أوراق اللعب .. ويجلس أمامه اللاعبين من الرواد .. ثم مائدة الروليت .

فتوجهت نحوها .. ومعى جورج وبدأنا نراقب .. فإذا اللاعبين يضعوا فيشاتهم على لوحة كبيرة تمثل الأرقام .. من صفر حتى ٣٦ والأحمر والأسود . والزوجى والفردى .. والأجناب بطريقة رهيبة لم أفهمها إطلاقا .

فتركتهم جانبا حتى لا يتشتت فكرى .. وركزت نظرى على موظف الكازينو الذى أخذ يكرر جملة بالإنجليزية .. ولما سألت جورج عنها .. أفهمنى أنه يقول ضعوا ألعابكم .. أو اختاروا الأرقام التى ستراهنون عليها ..

ثم إذا به يدير عجلة الروليت فى اتجاه عقرب الساعة .. ويطلق الكرة فى عكس الاتجاه ..

ومازال اللاعبون يضعوا فيشاتهم على اللوحة .. وبعد جزء من الدقيقة قال ما معناه .. انتهت المراهنات .. وظل كل من الكرة والعجلة ينطلق فى عكس اتجاه الآخر .

وبعد قليل تضاءل اندفاع الكرة .. فسقطت على العجلة وأخذت تتقافز على الأرقام .. إلى أن استقرت فى النهاية على رقم ما ..

وهنا سألنى جورج

- هيه .. أروح أشترى الفيش بقى ..

فرجوته أن ينتظر قليلا .. ووقفت أراقب من جديد .. ونظرت إلى ساعتى فى هدوء .. فإذا الفترة ما بين كلمة .. انتهت المراهنات .. واستقرار الكرة على الرقم .. هى نحوا من عشرين ثانية .

ثم أعدت التجربة .. فلم تختلف الفترة عن ذلك كثيرًا .. أما اللحظة التى كان يومض فيها الرقم الرابح فى ذهنى .. فقد كانت تسبق ذلك بكثير .

ومن ثم أومأت إلى جورج أن يذهب ..

فابتسم وقال : ممكن كلمة .. دلوقت إحنا هنا بقالنا ييجى نص ساعة ما عملناش فيها حاجة .. حانلعب خمس مرات .. لو ماكسبناش فيهم .. حانخرج فى الحال .. موافق ؟؟

- موافق

فذهب .. ووقفت أنتظر .. ولم يلبث أن عاد ومعه خمس فيشات .. فسألته :

- بكام دول

- الواحدة بعشرين دولار ..

فقلت : دلوقت طريقة اللعب حاتكون كده بالضبط ..

وتريثت هنيهة ليستوعب كلامى .. ثم تابعت ..

- ما تستعجلنيش .. ومالكش دعوى بموظف الكازينو .. حاتلعب على نمرة واحدة .. ساعة ما أقول لك عليها .. تحط الفيشة عليها وبس ..

- كويس ..

وانتظرنا إلى أن انتهى الشوط الذى كان قائما فى ذلك الوقت .

ثم ابتدأت المراهنات الجديدة ..

وإذا قلبى يدق بعنف .. وعادت الرجفة إلى .. فهذه اللحظة هى أخطر لحظة فى حياتى .. ودارت عجلة الروليت .. وانطلقت الكرة فى عكس الاتجاه .. وفجأة ومض الرقم ١٤ فى ذهنى ..

وفتحت فمى لأنطق .

ولكن الصوت انحبس فى حلقى .

والرجل ينظر إلى بلهفة ..

وأقفلت فمى بعنف .. فهزنى الرجل من ذراعى قائلا :

- إيه ؟؟

فلم أنطق .. وقال الموظّف .. انتهت المراهنة .. واستقرت الكرة على الرقم ١٤ .

فاستدار جورج إلى وقال بقحة

- إيه يا أخ .. هانفضل هنا طول الليل نتفرج .. إذا كنت مش عارف .. اتفضل أنت مع السلامة .. وسيبنى أنا ألعب ..

فقلت : معلش يا جورج .. أصلى كنت متلخبط شوية ..

فقال : هوه أنا يعنى قلت لازم نكسب من أول دور ..

- معلهش .. خلاص .. حانلعب الدور ده ..

وكان الرواد يضعون فيشاتهم .. فقال :

- هيه .. نلعب على نمرة كام ..

- صبرك شوية .. حاقولك بعد ما تطلع البلية ..

ودارت العجلة ..

وومض الرقم ٢٢

وهمست فى أذنه .. اتنين وعشرين .. وللحال وضع الفيشة ذات الدولارات العشرين على اللوحة .. والرواد لازالوا يضعوا فيشاتهم .. ثم قال الموظف انتهت المراهنات ..

والرقم اثنان وعشرون في اللوحة .. لا يوجد عليه سوى فيشة جورج .. وسقطت الكرة على العجلة .. وأخذت تتنافر على الأرقام .. وكادت تستقر على الرقم ٣٤ ولكنها لم تلبث أن قفزت واستقرت أخيرًا على الرقم ٢٢ .

فألقى جورج على نظرة خاطفة .. كأنما ينظر إلى معجزة .. ثم استدار نحو المائدة ليتسلم أرباحه ..

خمسة وثلاثون ضعفًا ..

سبعمائة دولار ..

استلمها جورج وهو لا يكاد يصدق ما حدث ..

وابتدأ الشوط الثاني .. فوقفت صامتا .. وجورج ينظر إلى بانبهار .. ولم يلبث أن قال :

- حنلعب الدور ده ؟؟

فهززت رأسي علامة الإيجاب ..

ودارت العجلة . وانطلقت الكرة .. وومض الرقم .. فهمست دون أن أنظر إليه .. أو إلى الروليت .

- ثلاثة ..

ووضع الفيشة بهدوء على اللوحة .. وهدأت حركة العجلة والكرة .. واستقرت الأخيرة على الرقم ثلاثة .

ووقف جورج يتسلم أرباحه .. ثم نظر إلى وهو ينتفض قائلا :

- حانخرج من هنا أغنيا .. نلعب على إيه الدور الجاى ..

فقلت : الدور الجاى مافيش لعب .. ولا اللى بعده .. استناني هنا .. وشوف النمر اللى حاتكسب في الدورين دول .. وقل لى عليهم لما أجيلك .

- ليه أنت رايح فين ..

- معلهش أرجوك تعمل زى ما بقول لك ..

وتركته وطفقت أتنقل ما بين الموائد بهدوء إلى أن بلغت باب الكازينو .. وخرجت .

خرجت إلى الشارع ميمما شطر المقهى لأخذ فخرى .. وتركت جورج نتظر .

وقد هربت على هذا النحو .. لأنى اكتشفت أنى أخطأت خطأ رهيبا .. حين سرعت وكشفت سرى لإنسان ما ..

وحمدا لله أنى كشفت سرى لإنسان غريب .. وهذا الإنسان يجب أن اختفى عن نظره إلى الأبد .

ولأترك لخياله العنان فى أن يظن بى ما يشاء .. فلأكن ساحرا .. أو حاويا .. و شبحا ..

ولكن يجب ألا يرانى بعد اليوم .

* * *

وبلغت المقهى فوجدت فخرى يحرق الأرم غيظا .. وما أن رآنى حتى نهرنى ائلا :

- بقى دى أصول رجالة .. تسيبنى وتمشى .. وإن شاء الله على كده تكون عملت حاجة ..
- أبدا آديك زى مانت شايف .. إيد ورا وإيد قدام ..
- إيه لحقت فى الشوية دول تضيع فلوس الراجل ؟؟
- يا عم لا ضيعت ولا حاجة .. ده راجل نصاب .. معهوش فلوس .. وكان عاوز يستلف منى ..
- يخرب بيته .. يستلف منك ؟؟ أمال مناظر .. تيجى معايا بالنص .. ونص ساعة وارجع لكم .. ومافيش غير تصريح واحد .. إيه يا أخى الناس دى ؟؟
- قوم بس ياللا بينا .. لحسن بيجى يقفشنا هنا ..
- يقفشنا .. ليه ..
- أصل أنا قلت له إن الفلوس معاك .. وأنا جاى آخذ منك ..
- وبعدين

- وبعدين يمكن يستغيبنى .. وييجى لنا هنا على القهوة ..
- طب ما ييجى ياخويا .. أهلا وسهلا .. ما ييجى عشان أوريه مقامه
- ياللا يا سيدى بلاش إحراج .. والطيب أحسن ..

ثم نهضنا .. وغادرنا المقهى .. وسرنا فى طريق فندقنا المتواضع .. وأنا أنظر ورائى ما بين وقت وآخر .

* * *

الفصل الرابع عشر

بعد وصولي القاهرة بأسبوع تسلمت إيجار العمارة .. فوضعته فى جيبى .. ونزلت الصاغة .. حيث بعت سلسلة مفاتيحى الذهبية .. التى خيبت أملى .. فقد بعتها بوزن الذهب فقط .

ثم توجهت إلى إدارة الجوازات حيث قدمت لاستخراج جواز سفر لى .

وعندما عدت بعد يومين لاستلامه .. شعرت بنشوة غامضة تجتاحنى .. فهذه أول مرّة فى حياتى أمتلك فيها " باسبورا " .

وما أن خرجت من مبنى المجمع حتى وقفت فى الشمس .. أتأمل ذلك الدفتر الصغير الأخضر .

المهنة .. تاجر، محل الميلاد .. القاهرة

الطول .. العينان .. الشعر .. المميزات ..

انظر الصورة ..

فقلبت الصفحة .. ونظرت إلى صورتى .. وأعجبت بنفسى أيما إعجاب .. وهذا الدفتر الصغير الساحر يسمح لى بأن أجوب العالم ..

أنا الذى لم أر طنطا .. أنا القابع فى عقر دارى .. سأركب الطائرة .. سأركب لأول مرة .. وسأرى الدنيا من فوق السحاب ..

لقد قرأت فى مجلة الشبكة إعلانا عن كازينو للقمار فى مدينة بيروت ..

ولما كنا مازلنا فى عام ١٩٨٠ والحرب تمر بإجدى فترات الهدوء .. لذا صح العزم على الذهاب إلى بيروت ..

ثم العودة إلى القاهرة ..

وبذا أكون قد جبت العالم ..

سأذهب إلى لبنان .. لليلة واحدة .. ثم أعود إلى بلدى ..

وهذا غاية المراد بالنسبة لى ..

مغامرة خطيرة ..

* * *

ذهبت إلى سفارة لبنان طلبا لفيزة دخول .. فأخبرونى أن لبنان لا تطلب تأشيرة دخول .. بل هى ترحب بالزوار هكذا .. دون فيزة .. فأعجبت بذلك كثيرا .

ثم ذهبت إلى شركة الطيران .. وابتعت تذكرة على طائرة الثلاثاء التى تغادر القاهرة ليلا .. أى بعد أربعة أيام ..

وقد كان انتخابى لطائرة الليل لسبب وجيه سأعود إليه فيما بعد .

ثم استبدلت العملة .. فأعطانى بنك مصر بفندق هيلتون خمسين جنيها استرلينيا .

وهذه أول مرة أعلم أن هناك بنوكا داخل الفنادق .. وبعد خروجى من المصرف مررت بكافتريا الهيلتون من الخارج .. وشعرت برغبة فى أن أدخل وأطلب فنجان قهوة .. فأنا لم أدخل هذا المكان من قبل .

ولكنى أحصيت ما تبقى معى من مال بعد المبالغ الرهيبة التى أنفقتها فى الأيام القليلة الماضية .. فوجدت أن ما تبقى معى هو جنيهات قليلة للغاية .

ولما كنت سآكل فى الأيام الأربعة القادمة بهذه الجنيهات .. فقد عدلت عن الدخول .

وأصرمنا هذه الأيام - مصيلحى وأنا - فى حالة من التقشف وقد تـأفف الرجـل من ذلـك كثيرًا .. وقـال لـى إن الحيـاة معـى أصبحـت لا تطـاق . فلمـا أفهمتـه أن النباتات هى خير علاج للصحة .. أجابنى بأن صحته سيئة بما فيه الكفايـة .. وإنـه أدرى بالأشياء التى تلائم صحته .. وأن النباتات ليست ضمن هذه الأشياء ..

أما انتخابى لطائرة الليل .. فقد جاء بعد دراسة مطولـة للمغـامرة التـى انتويـت الإقدام عليها .

فقد صح عزمى على أن أذهب من مطار بيروت إلى الكازينو مباشرة .. حيـث أمكث هناك حتى مطلع النهار .. ثم أعود إلى المطار.

ومنه إلى القاهرة .. وتنتهى القصة ..

وهذه خطة حكيمة .. لأنى لا أعـرف لبنـان .. ولا أعـرف فنـادق لبنـان .. ولا أعرف من الدنيا سوى الجنيهات الإنجليزية الخمسين الموجودة داخل حافظتى .

أما ما كان يشغل بالى حقًا .. فهو نقطة بالغـة الأهميـة .. لـم أتعـرض لذكرهـا حتى الآن .

إلى متى سأظل سابقًا للزمن بدقيقة ؟؟

هل ستلتصق بى هذه الصفة إلى الأبد ؟؟

أم أنها ستزول فـى يـوم مـن الأيـام ؟؟ أفليـس مـن الجـائز أن تكـون فـى أيامهـا الأخيرة ؟ أفليس من المحتمل أن تنتهى فجأة .

ماذا لو أنها انتهت قبل أن تطأ قدمى أرض الكازينو ؟

.. ماذا لو إنها انتهت دون أن أعرف ؟

ماذا لو أنى خسرت هذه الجنيهات الخمسين ؟

حقيقة أنى سأصوع بقية أيام الشهر ..

" صياعة " لم يسمع عنها أحد من قبل .. وسأتغذى على الماء بدلاً من النبات .

ولكنى سأكون قد عدت إلى وطنى ..

وسأنزوى فى غرفة نومى .. وإدارى على جراحى ..

إن فكرة ضياع الدقيقة منى تقلقنى أشد القلق ..

وكم من الأشهر أزعجتني بوجودها .. وكم من الأسابيع الثمينة ضيعتها في التدرب على التخلص منها .

وكم من الوقت ضيعته في البحث عن معنى الزمن .

إن الدقيقة بالرغم من أني لازلت أكرهها .. وأعاني منها .. إلا أني أريدها معي حتى يوم الأربعاء ..

وبعدها فلتذهب إلى حيث ألقت .. لأنها لو ضاعت قبل ذلك .. فسوف أضيع معها حتما .

* * *

وقفت مساء الثلاثاء أمام موظف شركة الطيران .. الذى سألني أن أضع حقائبي على الميزان .. فأخبرته بخجل أنه ليس معي حقائب .. ومن ثم سألني أن أريه حقيبة يدى .. فخجلت أكثر ؛ لأنني لم يكن معي حقيبة يد .

وكاد أن يبدى ملاحظة تعجُب .. ولكنه عدل عن ذلك .. إذ أن وقته أضيق من ذلك .

وعلى كل .. فما شأن موظف الطيران بي .. لقد ارتديت بذلتي الكحلي .. وربطة عنقي الحمراء .. وقميصي الرمادى الذى لايتسخ إلا قليلا ..

وماحاجتي للحقائب إن كنت سأعود في الصباح .. وذقني محلوقة .. وأسناني سأغسلها عندما أعود .

* * *

وركبت الطائرة ..

ولم أصدق أن هذه الكتلة الكبيرة من الحديد .. سترتفع عن الأرض .. وتطير في الهواء .. كأى طيارة ورق ..

وأقفلت الأبواب .. وتحركت الطائرة ببطء بالغ .. ثم انحرفت يسارا وتوقفت نهائيا .

وبعد قليل علا هدير محركاتها .. وأخذت ترتج حتى خيل إلى أن أحد جناحيها بسبيل أن ينخلع .

وماهى إلا ثوان حتى انطلقت للأمام بسرعة عنيفة جعلتني التصق بالمقعد .

وأخذت عجلاتها تدب على الأرض كأنما تسير فى شارع كله مطبات .

ثم ارتفعت عن الأرض .. وطارت .. ولم ألبث أن سمعت خبطة مهولة فى بطن الطائرة إنخلع لها قلبى .. تلتها أخرى ..

فنظرت حولى لأرى أثر الهلع على قلوب الركاب .. ولكنى وجدت وجوها بليدة .. تؤكد أن كل شىء على مايرام ..

نزلت الطائرة أرض بيروت فى حوالى الحادية عشر مساءً .. ولم تستغرق إجراءات الجمرك إلا دقائق .. وجدت نفسى بعدها فى الشارع .

واستدعيت سيارة أجرة .. وطلبت إلى السائق أن يأخذنى إلى الكازينو ..

فنظر الرجل إلى بإعجاب .. وانطلقت السيارة بنا .. ومررنا على أماكن لم أميز منها شيئا .. إلى أن وجدت نفسى آخر الأمر على شاطئ البحر .

وإذا بالسائق يشير إلى بقعة مضيئة إلى اليسار .. بعيدًا عند خط الأفق .. بدت كما لو كانت نقطة فى جوف البحر .. وقال إنّ هذا هو الكازينو فقلت لنفسى لعله لايأخذ كل مامعى أجرا لهذا المشوار .

وظللنا نسير نحوا من عشر دقائق إلى أن اقتربنا من الكازينو..ووضحت معالمه .. فاذا هو خط طوله نحو كيلو متر من المصابيح الكهربائية القوية .

واجتزنا المكان إلى أن قابلتنا فتحة فى الطريق .. فانحرفنا يسارا .. ثم عدنا إلى حيث كان .

وما بلغناه حتى انحدر الطريق يمينا متجها نحو البحر .. فسرنا تحت الأضواء الساطعة .. ثم توقفنا بحذاء سلالم هائلة من الرخام .

ولم يلبث أن أتى رجل محترم .. يرتدى الملابس الرسمية .. وفتح لى باب السيارة ..

ولم أكن آنذاك أعرف أجر التاكسى .. فسألت السائق كم يطلب .. فأجابنى برقم من الليرات لم أفهم له معنى .. فأعدت السؤال عن القيمة بالنقود الإنجليزية .. وأجاب بأنها اثنى عشر جنيها ..

فناولته إياها وترجلت ..

وأعطيت المحترم جنيها ..

وصعدت الدرج .. وسرت قليلا على شرفة من الرخام .. ثم ولجت بابا زجاجيا ..فوجدت نفسى فى بهو رائع .. يكبر عن ملعب التنس قليلا ..

ويوجد عن يمينه درج يؤدى إلى صالة عليا .. فهمت أنها خاصة بالعروض الراقصة ..

وكان الرواد من الرجال والنساء يسيرون فى البهو فسرت معهم .. لأعرف مكان نادى القمار .

فإذا هو أمامى مباشرة ..

ومادخلت .. حتى وجدت صالة إلى اليمين وأخرى إلى اليسار .. فابتدأت بالصالة اليسرى ..

وماولجتها .. حتى انبهرت من فرط العظمة ..

فالأرض مغطاة بسجادة واحدة حمراء .. مساحتها نحوا من نصف فدان ∴ والسقف تتدلى منه ثريات كهربائية .. لايقل وزن الواحد منها عن وزن السيارة الصغيرة .

والجانب الأيمن به مطعم غير محدود المعالم .. يجلس إلى موائده المتناثرة فى غير انتظام بعض الرواد من الرجال والنساء .

ودققت النظر فى الرجال .. فاذا هم يرتدون ملابس فاخرة جدًا .. وبعضهم يضع كوفية بيضاء من الحرير فوق سترته ..

وبات من الواضح أن ربطة عنقى الحمراء .. التى كنت أفخر بها .. لم تَعْدُ أن تكون حبل غسيل إلى جوار مايرتديه الآخرون .

أما بذلتى الكحلى .. ذات الياقة العريضة .. فليست أكثر من خيشة لمسح البلاط ..

ومن ثم سرت مخففا الوطء .. محاذرا أن يشعر بى أحد .. خوفا من أن يرانى صاحب الكازينو .. فيرسل إلىّ من يودعنى خارجا .

وتوجهت نحو موائد الروليت حيث الزحام .. واندسست بين الخلق .. مبتعدًا قدر استطاعتى عن النساء .. حتى لاتقول إحداهن أنى تمحكت بها .. أو سرقت حافظتها ..

ووقفت أراقب ..

فإذا كمية النقود المتداولة تدير الرءوس ..

ووجدت شخصا " جربوعا " مثلى .. بالرغم من بذلته الفاخرة ..

ومن ثم تجرأت وسألته أين يمكننى أن أستبدل نقودى الإنجليزية بأخرى لبنانية فأشار إلى شيء أسماه البنك .

وذهبت إلى حيث أشار .. وأخرجت مامعى من النقود .. وخبأت اثنى عشر جنيها أعود بها إلى المطار .. وأعطيت الموظف الباقى فأعطانى نقودًا لبنانية .

وخلا مقعد من القطيفة الحمراء من صاحبه الذى أفلس .. فلم أجد من نفسى الشجاعة للجلوس عليه .. بل ظللت واقفا .. ولم يلبث المقعد أن شغلته امرأة يبدو أنها صاحبة سمو .. أو صاحبة عظمة .. أو شيء من هذا القبيل .

ودارت عجلة الروليت

وابتدأت المغامرة

فإذا القواعد تكاد تكون مطابقة لتلك التى شاهدتها فى نادى الإسكندرية ..

فيما عدًا فارق الزمن ..

فارق الزمن بين كلمة انتهت المراهنات .. واستقرار الكرة على الرقّم .. فبينما يستغرق ذلك نحو عشرين ثانية بنادى الإسكندرية .. لم يأخذ أكثر من خمس عشرة ثانية هنا ..

وأعدت التجربة عدة مرات .. ووجدت أن فارق الزمن يتراوح دائما مابين اثنتى عشرة ثانية وخمس عشرة ..

أما الرقم الرابح فقد كان يومض فى ذهنى بهدوء دون أن يخطئ أبدًا ..

ومن ثم أصبحت مستعدًا تمامًا للعب ..

وقررت أن أبدأ فى الدور القادم ..

سأضع النقود على اللوحة .. وبعد دقيقة واحدة سأستلم خمسة وثلاثون ضعفا .

حقيقة أن هذا المبلغ لن يحولنى من الفقر إلى الثراء .. ولكن قدمى ستكون أكثر ثباتا على الأرض .

وسأوالى اللعب بعد ذلك بهدوء .. وسأجنى أرباحًا رهيبة ..

حتى " خيشة " مسح البلاط التى أرتديها .. لن أخجل منها ..

إن مجرد فكرة وجود المال معى .. بدلت من حالى تماما .. وطاف بفكرى صديق رأيته يوما .. وهو يسير فى عزّ الشتاء فى الطريق يرتدى قميصا بنصف كم .. ولما أبديت له تعجبى من ذلك .. أخرج لى ورقة من فئة العشرين جنيها من جيبه .. وأخبرنى أنها تبعث الدفء فى أوصاله .. فلما تعجبت أكثر ..إذ ما علاقة الورقة بالدفء .. أخبرنى أن هذا شىء لن أفهمه .. أما اليوم فقد بدأت أفهم .

* * *

ضعوا ألعابكم ..

هكذا قال موظف الكازينو بلغته الفرنسية السليمة ..

فوقفت ساكنا ..

ودارت العجلة ..

وومض الرقم ٢٣

ودق قلبى .. وارتج كيانى بعنف ..

ووضعت نقودى على الرقم ٣٢ بدلا من ٢٣

انتهت المراهنات..

واستقرت الكرة على الرقم ٢٣

وضاعت نقودى ..

وضاعت حياتى ..

ولم يبق أمامى سوى أن أخرج من هذا الكازينو .. وانحرف يمينا .. لألقى نفسى فى البحر الأبيض المتوسط ..

كيف حدث هذا ؟؟
لاتسألني ..
هل أصبت بالعمى ؟؟
هل اختلط على الأمر ؟؟
هل أجبرتني قوة خفية على إنحراف مسار يدى ..
لاتسألني ..
لقد وقعت الكارثة وانتهى الأمر

* * *

والجنيهات الباقية معى .. تكفى أجر عودتى إلى المطار .. والساعة الآن تجاوز منتصف الليل بقليل .. ولن أخرج من هنا قبل السابعة صباحا .. وسأظل واقفا حتى موعد خروجي من الكازينو .. لأنى لو جلست يجب أن آكل شيئا.. والأكل له ثمن .. والثمن غير موجود .. والناس خيبتها السبت والحد .. وأنا اللى خيبتي ماوردت على حد ..

وخشيت إن طالت وقفتي .. أن يأتيني من يقول لى : بتعمل هنا إيه يفندى ..

ومن ثم انسحبت بهدوء .. ومررت بالمطعم .. فوجدت أطباقا فاخرة أمام خلق زاهدة فى الطعام .

فاكتشفت أنى جائع .. جائع جدًا ..

ولكن لم يكن هناك حل لهذه المشكلة .. فتابعت السير وخرجت من الصالة ودخلت الصالة اليمنى .

فاذا هى – بالرغم من فخامتها – تقل كثيرًا عن الصالة اليسرى .. ولكنّها على أى حال .. مكان مرح .. لايسيطر عليه جو الرهبة المنبعث من الخسائر الفادحة التى تجرى فى المكان الآخر .

ويحتل الجانب الأيمن منها بار فاخر من خشب الجوز .. تأتيه إضاءة خافتة من حيث لايعلم أحد ..

ويسبق البار فرقة موسيقية مؤلفة من أربع شبان لايملّون العزف أبدا ..

هذا هو الجانب المظلم من الصالة ..

أما بعد ذلك فتوجد موائد للروليت وألعاب الورق والزهر .. ثم نحوا من مائة وخمسين ماكينة من تلك الماكينات الرهيبة ذات الضوضاء والمسماه " بالسلوت ماشين " .

وهى ماكينات مسلية .. لها ثقب وذراع .

تضع قطعة معدنية فى الثقب .. وتجذب الذراع .. فتدور عجلات ثلاث خلف لوح من الزجاج .. وتوجد على هذه العجلات رسوم لأصناف من الفاكهة .. وعندما تقف العجلات .. تأتى الرسوم فى صف واحد .. فإذا تطابقت .. ألقت لك الآلة ببعض النقود فى حوض من الصاج محدثة جلبة فائقة ..

وإذا لم تتطابق ضاعت قطعتك النقدية .. لتضع غيرها ..

* * *

جعلت أتنقل فى المكان حتى كانت الساعة الثانية .. وقد أخذ التعب منى كل مأخذ .. وأصبحت قدماى لاتكادان تحملانى .. وأنا لاأفتأ أنظر إلى الساعة التى أصبحت عقاربها لاتكاد تتحرك .. ولم يكن أمامى سوى أن أتلكأ بين الآلات ذات رسوم الفاكهة . ولاحظت أن الآلات مصنوعة من صلب لايفله الحديد ، حتى تتحمل الكراهية والحقد والضغينة المتولدة عند اللاعب الذى ضاعت نقوده داخل هذة الآلة اللعينة .

كما لاحظت أن رسما معينا – قلما يأتى – إذا تطابقت صورته .. ألقت الآلة بمائة وثمانية وستون قطعة نقدية .. أى مايوازى ثمانية وعشرون دولارا ويسمى هذا التطابق " بالجاك بوت " أو الجائزة الأولى .

وكذلك لاحظت أنى أعرف الأدوار العشرة القادمة – وهى تستغرق دقيقة – إذا كان هناك من يلعب الآلة .

أما إذا كانت ساكنة فهى سر مغلق .

وتذكرت بعض الليرات التى كانت ماتزال فى جيبى ولم أضعها على مائدة الروليت ؛ لأنها كانت فكة كما يقولون فاستبدلتها بست قطع معدنية .

وأخذت أتنقل بين الآلات أشاهدها وهى تسرق الزبائن سرقة علانية .

إلى أن وقعت على سيدة متقدمة فى السن تلعب بعصبية وتدق على الآلة بقبضة يدها من آن لآخر كأنما تريد أن تحطمها .

ووقفت إلى جوارها أتابعها وهى تخسر نحو عشر قطع كل دقيقة .

ومن ثم أوقفتها عن اللعب ، وقلت لها إنّ لى حظاً لامثيل له فى هذة اللعبة . ولما سألتنى بنفاذ صبر عما أريد .. أخبرتها أنى أرجوها أن تسمح لى بأن ألعب ثلاثة أو أربعة أدوار بنقودى من آن لآخر .. فإذا أعطتنا الآلة شيئا اقتسمناه بالنصف .. فوافقت ..

وظللت أراقبها .. وفجأة ومض " الجاك بوت " فى رأسى ..

سيحل بعد تسعة أدوار ..

وللحال أخرجت القطع النقدية الست .. ووقفت مستعدا .. وتركتها تلعب أربعة أدوار .. ثم دفعتها جانبا برفق قائلا :

- أجرب حظى وحظك بقى كام دور ..

فتركتنى أفعل ..

ولعبت أربعة أدوار خاسرة .. إلى أن حل الدور المشهود .. وقلت لها شوفى بقى حاعمل إيه ..

ووضعت قطعة النقود .. وجذبت الذراع ..

واستقرت الرسوم الثلاثة ...

وانهمرت النقود كالفيضان ..

فندت عن المرأة شهقة فرح .. وقالت إننى معجزة .. ولكنها عادت واستدركت قائلة .. إنّ هذه النقود من حقها .. لأنها كانت ستلعب هذة الأدوار الخمسة حال وجودى أو غيابى ..

فذكرتها أن القطعة النقدية التى ربحنا بها كانت من جيبى الخاص ..

ودخلنا فى مناقشة انتهت بأن أخذت مايوازى ثمانية دولارات وأخذت هى عشرونا ..

حوّلت الدولارات الثمانية إلى فيش ..

وذهبت إلى مائدة الروليت المتواضعة الموجودة بنفس الصالة ، وكان الدور قد بدأ .

وومض الرقم ٩ فى ذهنى ..

فمددت يدى بعنف من بين الزحام .. ووضعت الفيشات على اللوحة .. وعلى الرقم تماما ..

وخفت سرعة الكرة .. فسقطت على العجلة .. وأخذت تتقافز على الأرقام .

إلى أن استقرت على الرقم ..

فأعلن الموظف .. تسعة أحمر

فتنفست الصعداء ..

واستلمت مايوازى مائتين وثمانين دولارا ..

وتوجهت من فورى إلى البار الفاخر .. حيث تناولت زجاجة من البيرة مع قليل من الفستق .

ونفحت الساقى خمسة دولارات كخدمة .. فأتانى بطبق من اللوز ، فرغته فى جيبى خلسة .

ونزلت من المقعد العالى .. وتوجهت إلى الصالة الرهيبة التى أكلت منى نقودى الأولى .

ولاحظت أثناء سيرى أنى سئ الأدب .

فقد كنت أدب على الأرض بوقاحة .. وأتلفّت ذات اليمين واليسار أتأمّل النساء بسفالة .

وقبل أن أبلغ المائدة ومض الرقم ٤ فى ذهنى فحثثت السير .. وبلغت المائدة فى الوقت المناسب .. ووضعت مائة دولار على اللوحة .. وقلت لنفسى الرقم ٤ هو الزمن .

ماذا يريد منى الآن ...

وماهى إلا ثوان حتى استقرت الكرة عليه .. واستلمت ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار ..

وخشيت أن أثير الانتباه على هذا النحو .. فمكثت فى مكانى .. ولعبت خمسة أدوار خاطئة على الرقم ١٣ وهبت الكازينو فيها بعضا من المال .

وحدث في الدور السادس – حتى تكتمل المهزلة – أن ومض نفس الرقم فى ذهنى . فوضعت المائة دولار عليه كنوع من الاستمرار .

وربح الرقم ١٣

وأخذت ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار .. ومن ثم أقلعت عن اللعب .. وذهبت إلى البنك .. واستبدلت الفيشات فإذا الموظف يعطينى نقودى بعضها لبنانية وأكثرها أمريكية .

فذهبت إلى المطعم الفاخر .. وانتقيت أغلى الأطباق ثمنًا .. وكان اسمه " شاتوبريان ".. فسألنى الساقى أين الشخص الثانى .. فأجبت سؤاله بسؤال قائلا : لماذا ؟ فأفتى بأن الشاتوبريان لشخصين ..

فقلت له – أنت مالك .. شخص أوشخصين .. اتفضل .. روح هات الطبق .. لحسن وحياة النبى أطلب ثلاثة شاتوريان .

وتبعت ذلك أن أخرجت ورقة من فئة الخمسون دولار وألقيتها على المائدة باستهانة قائلا :

– دى بقشيش علشانك ..

فأخذ الورقة .. وابتسم .. ولكنه لم يحترمنى .. ربما من أجل بذلتى الكحلى ذات الياقة العريضة .

خمسون دولار ألقيتها على المائدة باستهتار .. ومنذ ساعتين كنت سألقى بشخصى فى البحر من أجل نفس المبلغ .

* * *

كانت الساعة الثالثة صباحا .. حين وقفت أمام باب الكازينو أسفل الدرج الرخامى أبحث عن سيارة أجرة ..

فإزاء الظروف الجديدة رأيت أن أغير خطتي .. إذ لم يعد من الضروري أن أبقى بالكازينو حتى الصباح ، فحالتي المالية أصبحت من الجودة بحيث يمكنني المبيت هانئا في فراش ذي مراتب ، بدلا من المبيت واقفا وسط هذه الوجوه المكفهرة .

ومن جهة أخرى ، أين وجه العجلة في العودة إلى القاهرة .. هل اشتقت إلى مصيلحي ؟؟

أليس من الأجدر أن ألقى نظرة على لبنان .. حقيقة أن بها حربًا أهلية .. ولكنها ليست شديدة العنف .. ولم تَجتَحْ الدولة من أولها لآخرها كما حدث فيما بعد .

وطالت وقفتي أسفل الدرج إلى أن رآني المحترم فأتاني وسألني عن الرقم .. فسألته بالتالي .. أي رقم فأجابني بأنه الرقم الذي أعطي لسيارتي .. فاخبرته أنني بدون سيارة .. وأني أنتظر تاكسي ليعود بي إلى الفندق ..

فأفهمني أن موقفي سيئ للغاية .. وانبرى يشرح لي الأسباب إلى أن نفحته نقوذا قطعت عليه حديثه .. ومن ثم قال لي أن أدخل الكازينو .. وأعود بعد نصف ساعة تمامًا حيث سأجد سيارة أجرة في انتظاري حيث أنه سيطلبها من بيروت .

فأخذت بالنصيحة .. ودخلت الصالة اليسرى .. وظللت أتجول قليلا إلى أن مللت .. ولم أجد شيئا أفعله .. فعرجت على مائدة الروليت .. وقررت أن أجرب حظي بأن ألعب مبكرًا .. أي قبل أن يومض الرقم في ذهني .. وبذلك تكون المباراة سافرة بيني وبين الحظ .. ولكن يبدو أنني لم أكن في أسعد أيامي .. لأني لعبت خمسة أدوار خسرت فيها جميعا .

وفي الدور السادس قررت أن أكف عن العبث .. وانتظرت حتى ومض الرقم ٧ في ذهني .. ووضعت المائة دولار على الرقم المذكور وربحت ثلاثة آلاف وخمسمائة .

ونهضت عن المائدة وتوجهت إلى البنك لاستبدالها بأوراق مالية حقيقية .

وهنا حدث مالم يكن في الحسبان .

إذ سألنى موظف البنك إن كنت أفضل أن آخذ شيكا بالمبلغ .. وأسحبه من المصرف ببيروت عندما يطلع النهار .

فلما أفهمته أن المبلغ ليس كبيرا بالدرجة التى يخشى معها حمله .. أشار إلى المبلغ الآخر الذى استلمته منذ نصف ساعة .

فتَضايقتُ جدًا .. إذْ لم يكن قد خَطَرَ بِبَالى أنّه لحظنى .. ومن ثم أصررتُ على أخذ المبلغ نقدًا .. لأنى لم أرغب إطلاقا فى أن يعرف أحد اسمى .

* * *

خرجت إلى الهواء الطلق .. وما أن لمحنى المحترم حتى هرع إلى شىء يشبه التيلفون مثبت بالحائط الرخامى المجاور للدرج .. وتكلم به .

فإذا صوته يتردد فى عشرات من مكبرات الصوت المتناثرة فى المنطقة كلها ..

وما هى إلا ثوان حتى إذا سيارة أمريكية تقترب بسرعة مصحوبة بهدير .. كأنما يصدرها وحش يريد أن ينطلق .. وما بلغتنا حتى ضغط سائقها فراملها بصورة جعلت الأسفلت يطلق شرارا ودخانا .

وفتح المحترم لى الباب .. فنفحته نقودًا أخرى .. وطارت السيارة كما هو الحال دائما فى لبنان .. وسألنى السائق عن اسم فندقى .. فصارحته بأن لا فندق لى .. وسألته إن كان يعرف مكانا أبيت فيه .. فأخبرنى أن له صديق يعمل بفندق يقع بنزلة شارع فردان .. فوافقت وأنا لا أعرف شارع فردان .. ولا شارع سليمان .

* * *

بلغنا الفندق .. ونزل السائق معى واستدعى صديقه .. وصعد الاثنان معى ..

وفى الطريق عرفنى السائق بنفسه قائلا أن اسمه مروان .. وسألنى إن كنت أرغب فى خدماته فى الصباح .. فأبديت ترحيبى بذلك .. وطلبت إليه أن يأتينى فى الحادية عشرة .

* * *

وأقفلت باب الغرفة خلفى .. فإذا أنا فى فندق متواضع .. ولكنه نظيف مريح .. فالغرفة ملحق بها حمام به مناشف ناصعة البياض .. وهناك جهاز للتكييف لا حاجة لى به إذ كان الجو معتدلا .. وسريران عليهما أغطية برتقالية تتجانس فى اللون مع الستائر وداخلتنى الطمأنينة بعد أن تلاشت أصوات مروان وصديقه .

فأخرجت نقودى وأحصيتها فإذا هى تجاوز الثمانية آلاف دولار .. فوضعتها تحت الوسادة .. وأطفأت النور طلبا للنوم .

ولكنى لم أتمكن منه بسبب توتر أعصابى ..

ففى الساعة التاسعة من مساء الأمس كنت أقف بمطار القاهرة .. والساعة الآن الرابعة .. والأحداث التى مرت بى فى هذه الساعات السبع أعنف من الأحداث التى مرت بى طيلة حياتى .

* * *

الفصل الخامس

فى تمام الحادية عشرة دقّ جرس التليفون فى غرفتى بالفندق .. فإذا المتكلم مروان ، فأخبرته أنى سألحق به فورًا ..

وكنت قد أخذت حماما ساخنًا وتناولت إفطارى .. أو " الترويقة " كما يسمونها .. بعد أن نلت قسطًا هزيلاً من النوم .

وخرجت من الفندق .. فإذا مروان ينتظرنى أمام سيارة مرسيدس قديمة .. فلما سألته عن سيارة الأمس أخبرنى أنه يعمل كسائق .. ولربما يأتينى كل يوم بسيارة مختلفة .. فسألته إن كان ينوى أن يأتينى كل يوم .. فأجابنى بأنه أعجب بى لوجه الله .. وأنه ليس لديه مانع من العمل معى كسائق خصوصى طوال مدة إقامتى بلبنان .. وذلك لقاء مائة دولار فى اليوم .

ففكرت فى الاقتراح قليلاً .. ثم وجدته مناسبًا .. فوافقت .. لا سيما وأنى بدون مروان سأتوه فى لبنان توهان الأهبل فى مولد السيدة .

ولما سألنى عن وجهتى أخبرته أنى أريد شراء بعض الملابس ..

فأخذني إلى منطقة تجارية تسمى باب إدريس .. حيث ابتعت أربع بدلات فاخرة . حتى أبدو محترمًا كإخواني رواد الكازينو .. ثم ابتعت حقيبة سفر وضعت بداخلها الحلل .. ثم توجهت إلى محل لبيع الأحذية حيث أخذت ثلاث أزواج من الأحذية ذات الكعب العالي . ثم تبعت ذلك بشراء ملابس داخلية .. وجوارب ومناديل وقمصان مشغولة بالدانتيلا .. وربطات عنق .. ثم دخلت صيدلية حيث ابتعت لوازم الحلاقة والنظافة وبعض الحبوب المهدئة .

وقد استغرقت هذه العملية نحو ساعتين .

وعدت إلى مروان الذى كان ينتظرنى بموقف السيارات فوجدته يتكلم مع صديق صغير الحجم عرفنى به على أنه " نايف" وعرف نايف بأنى شريف .. وذلك مع حفظ كافة الألقاب .

ثم أخذ الحقيبة من يدى .. ووضعها فى مؤخرة السيارة .. وقال لى أن نايف يعمل كسائق أيضًا .. وسألنى إن لم يكن لدى مانع من أن يرافقنا حتى يتبادلا القيادة .. على أن يدخل ذلك ضمن الأجر المتفق عليه .

فرحبت بالاقتراح جدًا .. لأن مروان لا يكف عن الحديث .. ويريد من يتحدث معه طوال الوقت .. وأنا على غير استعداد للحديث مع أحد .. وعندى من الأفكار ما يكفينى ويفيض عن حاجتى .

وركبنا السيارة وسألنى .. " على وين " ..

فأخبرته أنى واقع من الجوع .. فعالجنى بمحاضرة مؤداها أن الطعام فى الجبل خير منه فى بيروت .. فسألته كم من الوقت يأخذ هذا الجبل .. فقال نصف ساعة ..

وفى الطريق سألتهما عن وجهتنا .. فأجابا بأنها مغارة جعيته .. فصَمَّت على مضض ..

وصعدنا الطريق الملتوى الضيق .. بسرعة رهيبة أفسدتْ علىّ الاستمتاع بالمشاهد الخلابة ..

وتوالى الصعود والانحراف والرعب وتفادى السيارات إلى أن بلغنا المكان المنشود ومررنا بمبنى صغير لطيف ، قال لى مروان إنه المكان الذى سنتناول فيه غذاءنا بعد مشاهدة المغارة .

فاعترضت بشدة قائلا : إنى جائع وسأتناول طعامى مقدمًا .. أما المغارة فباكر .

وضغط الفرامل بعنف مبديا استياءه .. وعدنا إلى المطعم .

ودخلنا فإذا المكان يكاد أن يكون خاليًا .. ومن ثَمّ سرنا إلى مائدة تجاور النافذة حيث جلسنا .

وكان المنظر ممتعا بصورة تخلب اللب .. فالمطعم يستقر على حافة جرف أو أخدود يقع أسفلنا مباشرة ويرتفع الجبل بعد الجرف بصورة حادة شاهقة تشعر المرء بضآلته ، ولا يقطع الصمت سوى خرير الماء الآتى من غدير صغير يمر فى قاع الجرف .

والخضرة تكسو المكان برمته .. فالجبل أخضر بأشجاره الباسقة وحشائشه اليانعة .. والجرف أخضر بطحالبه ونباتاته البرية ..

وشربنا العرق .. وتناولنا طعامًا رائعًا .. ثم خرجنا وركبنا السيارة .. وجلس نايف إلى عجلة القيادة .. فإذا هو أسوأ من سابقه فى التهور والاستهتار بأخطار الطريق .. وكدنا نصطدم بسيارة صاعدة ..

وقد رأيت الخطر قبل وقوعه .. لكنى لم أتدخل .. لأنّى رأيت اللحظة التالية التى سنتفادى فيها الصدام .

أما ما حدث بعد ذلك .. فهو أن مروان انهال على نايف بأقذع السباب .. ولم يكن نايف بخير من مروان .. فقد كال له السباب هو الآخر .

وخشيت أن يتطور الأمر إلى الضرب .. وتدخلت فى الحال .. وحاولت قدر استطاعتى تهدئة الموقف .. إذ طاف بذهنى خاطر .. فلربما كانا يعلمان بأمر النقود التى معى .. ويفتعلان مشادة تنتهى بضربى شخصيا .. ولطش المبلغ والحقيبة الثمينة .

والواقع أن هذا الخاطر طاف بذهنى من مبدأ الأمر حين اقترح مروان مطعم الجبل .

ولكنى لم آبه له كثيرا .. بسبب ثقتى فى قدرتى على درء الخطر قبل وقوعه .

فهذه الدقيقة التى أسبق بها الكل تجعلنى على بينة مما سيحدث .. وتعطينى الفرصة إلى حد ما للهرب من وجه الخطر فى الوقت المناسب .. كما أسلفت .

وعلى كل .. لم يكن هذا هو الموقف .. كل ما فى الأمر أن الخمر لعبت برأسيهما . فأبرزت الجانب الشرير من شخصيتها .. أما مروان ونايف .. فهما شابان لطيفا المعشر .. يعيشان على السليقة .. ويحبان الحياة .. ويعشقان رغد

العيش .. ككل لبنانى .. ولكن ظروفهما شاءت أن يعيشا على الجانب الآخر من المجتمع .. الجانب المكافح .

ولربما تقع قصتى هذه فى أيديهما .. وإذ ذاك سيعلمان أنهما رافقا الإنسان الذى سبق الزمن بدقيقة ..

ولربما إذ ذاك يتندران بالأيام التى قضياها معى .. وأنى أروى أسميهما على حقيقته لثقتى بأنهما لن يعثرا علىّ أبدا ..

وكذا دونت بعض الأسماء على حقيقتها .. منها اليونانى الذى التقيت به فى الإسكندرية .. والأستاذ مندور .

أما معظم شخصيات هذه القصة فهى مستبدلة بأسماء أخرى .. لأنى لو ذكرتها على حقيقتها لما كان ذلك لائقًا .

بلغت الفندق وأنا أكاد أموت من الإعياء .. فصرفتهما .. وطلبت إليهما أن يأتيانى فى منتصف الليل .. وخلعت بذلتى الكحلى التى انتهتْ علاقتى بها إلى الأبد .. وارتميت على الفراش لأخلد إلى نعاس هادئ مستمر حتى الساعة العاشرة مساء .

وإذ ذاك صحوت .. وحلقت ذقنى .. ورتبت ملابسى فى الخوان .. ثم ارتديت حلة رمادية غامقة .. على قميص وردى مطرز بالدانتلا .. وربطة عنق من صنع " جاك فات " .. أنا الذى لم يكن يعلم حتى الأمس سوى أن الثعلب فات .

ثم صعدت فوق الحذاء الأسود الجديد ذى الكعب العالى .. ونظرت إلى نفسى فى المرآة .. فأصبت بهلع من أن يرانى حسن الإمام فيسند إلىَّ دور البطولة أمام فاتن حمامة ..

يا فرحتك يا شيكو .. لقد انقلبت من زبّال إلى " بيه " فى ليلة واحدة .

* * *

نزلت قاعة الفندق .. وطلبت فنجانا من الشاى ولم يكن هناك سوى فتاة مصرية فى نحو الخامسة والعشرين تجلس إلى شابين لبنانيين ، وهم يتبادلون حديثًا فارغًا يصل معظمه إلى أذنى .

وقد ميزت الفتاة من لهجتها الوطنية من أول وهلة إذ قالت لأحد الشابين :

- أنت تبقى أخر جدعنة لو عملنا كذا ..

آخر والجدعنة كلها لا توجد إلا فى مصر ..

فطالعت بوجهى ابتسامة لمحتها الفتاة .. وأخذت بعد ذلك تسترق النظر إلىّ من آن لآخر .

ولكنى كنت قد وضعت ساقا فوق أخرى لترى حذائى وهو يلمع من أسفله ..

وأخذت أحتسى الشاى بهدوء وانسجام .. ولم يكن يضايقنى سوى جيبى المنتفخ برزم الأوراق المالية .

وما هى إلا لحظات حتى أتى مروان ومعه نايف .. فنهضت من فورى وركبت المرسيدس القديمة .. وكان أول ما فعله الشابان أن أبديا أسفهما على الألفاظ التى تفوها بها بعد الغداء .

* * *

الفصل السادس عشر

وصلنا الكازينو فى حوالى الثانية عشر والنصف .. وعرجت على الصالة اليمنى .. وتوجهت من فورى إلى مائدة الروليت المتواضعة .. حيث لعبت خمسة أدوار خاسرة منحت فيها الكازينو بعض النقود .. ثم سئمت دور المهزوم .. فانتظرت إلى أن ومض الرقم فى ذهنى .. ووضعت عشرين دولارا على الرقم الرابع .. وبعد دقيقة قبضت سبعمائة دولار .. وأقلعت عن اللعب .. ووضعت النقود فى جيبى .. وطفقت أتجول بهدوء دون أى أثر للذة الربح .. إلى أن بلغت البار .. فاعتليت مقعدًا وطلبت زجاجة من الصودا ..

وبينما أنا انتظر إذا بصوت نسائىّ يتكلم الإنجليزية بجانبى يقول : هل تريد أن تمضى وقتا سعيدًا ؟

فنظرت لأرى إن كان الحديث موجها إلىّ أو إلى غيرى .. فإذا بى أرى فتاة أوروبية تستند بمرفقيها على البار معطية إياه ظهرها .. بينما تنظر أمامها مباشرة .. فاستدرت على مقعدى لأرى الشخص الموجه إليه هذا الكلام . فلم أجد أحدًا . ومن ثم ترددت قليلا ثم سألت بالإنجليزية .

- هل هذا الكلام موجه إلىّ ؟؟

فقالت : نعم

فسألت بلهفة ماذا تعنين بالوقت السعيد

فقالت دون أن تنظر إلىّ .

- لا تدّع الغباء ..

فأخذتنى المفاجأة .. فجعلت أنظر إليها كالأبله .. ثم بدأت أتفحصها .. فإذا هـى متينـة البنيـان .. ترتـدى فسـتانا أسـود بسـيطا دون أكمـام وينتهـى فـوق ركبتيهـا .. وحذاء من الساتان الأسـود .. ولا تتحلـى بـأى شـىء مـن المجوهـرات .. وتـأملت مخروطىّ ذراعها المرتكز على خشبة البار .. فإذا هو ذراع قوى مخروطى ينبـئ عن عضلات مستترة وينسجم مع سـاقين قويتيـن .. تعلوهمـا بطـن مسـطحة .. ثـم صدر تافه .. وإن كان لا بأس به فى استداراته .. ولها وجه جميل ساحب جدًا .. يحاكى وجوه الأموات فى بياضه .. وبه بعض النمش ..

أما شفتاها فمكتنزتان .. وإن كان الدم قد هرب منهما أيضًا .. يلـى ذلـك أنـف مستقيم جميل .. ثم عينان زرقاوان ساحرتان .. خاليتان من الحياة .. كأنما هما من الزجاج ..

أما شعرها الأصفر فمشعث بصورة بشـعة وملتصـق برأسـها بطريقـة قـذرة .. كأنما قد خرجت لتوّها من حمام البخار .

وتفوح منها رائحة عرق انثوى طفيفـة .. لـم أسـتطع أن أحـدد منشـأها .. أهـو شعرها أم إبطها ..

وكانت الفتاة فى مجموعها نموذجا رائعًا للبهدلة وقلة القيمة .

ولكنها كانت أبعد ما تكون عن الغانية .. بل هى أقرب إلـى راميـة رمـح .. أو لاعبة تنس ..

ومن ثم سألتها .. إنجليزية .. أم أمريكية .

فقالت : أمريكية ..

فقلت : ماذا تريدين ؟؟

قالت : لقد سمعتنى جيدًا .

قلت : أقصد ماذا تريدين لقاء الوقت السعيد .

قالت : مائة دولار ..

فصمت قليلا كأنما أفكر ثم قلت :

- لا بأس .. ثم تابعت ..

- ولكن يجب أن تشربى شيئا أولاً ..

وطرقعت أصابعى للساقى الذى حضر وأمرته بكأس من الكونياك .. ثم سألت:

- وهل تريدين المبلغ مقدمًا أو مؤخرا ؟؟

- مقدما أو مؤخرا .. لا يهم .. إنّ الذى يهمنى هو الضمان .

- ضمان ماذا ..

- ضمان حصولي عليه ..

فمددت يدى بجيب سترتى الداخلي الذى احتفظ فيه بالنقود الأمريكية . وفصلت ورقة بأصابعى عن باقى الرزمة .. ثم أخرجتها وقدمتها للفتاة ..

فالتفتت نحوى للمرة الأولى .. وتلاقت عيناى بعينيها الميتة ..

ثم قلت : لو أنك أسعدتينى حقا .. فلسوف أعطيك خمسين دولارا أخرى .

فصرفت على أسنانها بحقد .. وعادت تنظر أمامها .. مرة أخرى .. وأتى كأس الكونياك فجرعته مرة واحدة .. وما هى إلا ثوان حتى بدأ وجهها يتلون قليلاً ..

فقلت : أرايت إن الكونياك أعاد الدم إليك فردت بصوت كالهمس .

- لا شأن للكونياك بذلك .. إن المائة دولار هى التى أعادت الدم إلىّ ..

هل ننصرف الآن ؟

فقلت باستهجان : الآن ؟ لقد حضرت لتوى ..

- إذن متى ننصرف ؟؟

فقلت ببلادة - يجب أن أتناول عشائى أولا .. ثم أقامر قليلا .. وبعدها نخرج ..

- إذن اطلب لى كأسا أخرى ..

ففعلت ..

وكانت أعصاب الفتاة متوترة لأقصى حد .. فعزفت عن الكلام معها إلى أن يسرى السائل فى عروقها وتسترخى قليلا ..

وأتى الكأس .. فجرعته كسابقه .

وطلبت كأسا ثالثة .. فرفضت ..

فقالت بحدة : سأدفعه من مالى الخاص ..

فقلت : أين هو مالك ؟؟

فأخرجت الورقة ذات المائة دولار ..

فقلت : هذا المال ليس ملكك بعد

فالتفتت إلىّ بنظرة متحفزة للشجار .. ولكنها عدلت .. وعادت تنظر أمامها فى صمت ..

فقلت : كما أنك تبالغين فى تقدير قيمتك ..

فقالت : وقد بدأت مظاهر الغضب الذى يسبق الانفجار تزحف على وجهها .

– ماذا تعنى بذلك ؟..

– أعنى أن هناك غانيات فى هذه الصالة يتقاضين أجرا أقل ..

فقالت بصوت كالفحيح :

– احترس أيها السيد فى انتخاب ألفاظك ..

فقلت : كما أذكرك بأنك ستأخذين حماما بالماء الساخن قبل أى شىء .. لأنى استنشق الآن رائحة لا تروقنى ..

فالتفتت إلىّ بعينين يتطاير منهما الشرر ..

وأمسكت بالبار بعنف كأنما تمنع يدها من أن تستقر على وجهى .. وقالت وقد احمر وجهها ..

– لا أظن أن نظرى وقع على شىء أقذر مما أرى الآن ..

فقلت : يجب أن تشكرينى ..

فقالت : وهى تفتح حقيبة يدها .. تهم أن تعيد الورقة المالية إلىّ – أشكرك على ماذا أيها .. أيها ..

ولم تجد الوصف المناسب فعالجتها قائلاً :

– تشكرينى على النظرة النارية التى انبعثت من عينيك الآن .. لقد كانتا ميتتين تماما .. تشكرينى على الحياة التى بعثت بها فى جسدك .. لقد كنت على حافة الموت .

فقالت : " وهى تهتز من شدة الغضب " .

وهل تظن أن نقودك اللعينة هى التى أعادت الحياة إلىّ ؟؟

فقلت : احترسى .. ولا تخلطى بين الكلام .. إن ألفاظى القذرة هى التى أعادت الحياة إليك ..

فنظرت إلىّ مستفهمة وقد اختلط عليها الأمر ..

– ماذا تعنى ..

– أعنى أنى أعتذر عن كل كلمة تفوهت بها الآن ..

وأعتذر عن سوء أدبى .. وأعنى أنى قصدت أن أهزك هزًا عنيفًا .. لأعيد إليك الحياة .

فسهمت قليلاً كأنما تستوعب ما سمعت .. ثم طاف وجهها شبح ابتسامة متهكمة .. أقرب للبكاء منها لأى شيء آخر ..

فقلت : استرخى

وساد بيننا الصمت فترة ثم قالت :

– لن أغفر لك أبدا ما فعلت بى الآن ..

فقلت : اسمعى أيتها المرأة الأمريكية .. يُمكنكِ أن تحتفظى بالمائة دولار .. كما يمكنك أن تخبرينى عن كل خسائرك لأعيدها لك فورا ..

فقالت : مقابل ماذا ؟؟

قلت : بدون مقابل ..

فنظرت إلى مقطبة .. وأخذت تنقل بصرها بين عينى :

– لماذا ؟ ..

– لأنك غبيّة وجاهلة .. وليس لديك أى فكرة عن الدعارة .

فأشاحت بوجهها .. ولم يلبث عنقها العاجى أن بدأ ينتفخ من أثر بخار الماء الذى أخذ يتصاعد من جوفها ليتساقط أخيرًا على شكل قطرات صامتة .. من عينيها .. فأعطيتها منديلى اللينو الفاخر .. فجففت عينيها مزيلة بذلك كل أثر للكحل .. ثم تمخضت فيه وأعادته إلى أسوأ ما يكون ..

ومن ثم سحبتها من ذراعها قائلاً :

– هيا بنا نجلس قليلا ..

وسرنا ببطء متجهين إلى مطعم الصالة اليسرى .. وفى الطريق عجبت لنفسى .. أشد العجب .. فهذه المرة الأولى التى أحادث فيها أنثى دون أن ارتجف وأتهته وأتلجلج .. كما هو دأبى دائما ..

بل بالعكس .. لقد كنت سيد الموقف بصورة تدعو للذهول .. ولقد أدرت دفة الحديث بطريقة دراماتيكية رائعة .

– ما الذى حدث ؟؟

ربما استمددْتُ من ضعفها قوتى ..

لقد كانت الفتاة على حافة الانهيار .. فعطفت عليها ، عطف الإنسان على أخيه الإنسان .

لم تكن امرأة .. بل كانت كتلة من التعاسة ..

ولقد عاملتها بغاية القسوة لأعيد إليها الحياة ..
المهم الآن ..
ما الذى حدث ؟؟
هل أنا الذى تغيرت ..
هل أصبحت لا أرهب المرأة كما كان يحدث فى الماضى ؟
عل أكسبتنى النقود هذه الصفة الجديدة ؟؟
هل هى البذلة والقميص الدانتلا ؟؟
هل أصبحت تصرفاتى أكثر ثباتا ..
أم أن ما حدث هو رهن بالموقف ..
ربما ..
ربما .. يكون ثباتى أمامها هى فقط .. بسبب ضعفها كما أسلفت ..
ولربما يزول هذا الثبات أمام الأخريات .. وأعود لسابق عهدى من التهتهة والهيالة .
نعم .. يجب ألا آخذ هذه الطفلة التعسة كقاعدة للتغيير .. على كل أنا الآن أمام إنسان مهزوم ..
وبإمكانى أن أمدّ له يدى ..
وقد ينفعنى هذا الإنسان يوما ما .. فى شيء ما ..

* * *

كنا لازلنا نسير حين توقفت قائلا :
- هل معك مشط ..
فأومأت بالإيجاب ..
فأشرت إلى حمام عن يميننا وقلت :
- صففى شعرك .. ثم الحقى بى فى مطعم الصالة الكبرى (وإذ ذاك حدث آخر شيء كنت أتوقعه) .. فقد أمسكتنى من سترتى بعنف كأنما طفل يخشى أن يفقد أمه .. أو كأنما خشيت أن أهرب منها .. وقالت بلهفة .
- أين هو المطعم ..
قلت : أمامك مباشرة ..

فخجلت من نفسها .. وتركت سترتي .. ودخلت الحمام .. لقد صفحت عنـى .. ولقد تولدت بيننا صداقة صامتة .. فى دقائق .. ربما تستلزم وقتا طويلا لتنشـأ فـى ظروف أخرى .. ولكنى لم أسعد بها ..

فالصداقة التى تنشأ فجأة .. تنتهى فجأة ..

* * *

طلبت قائمة الطعام .. أتلهّى بقراءتها إلى أن تحضر .. وما هى إلا دقائق حتى لمحتها آتية من بعيد .. ولم يكن منظرها قد تبدل كثيرًا .. كل ما فعلته هو أنها صففت شعرها المبتل بالعرق .. فبدا كما لو كان قد لصقته على رأسها بالفازلين .. وجلست فسألتها :

- ماذا تأكلين ؟

- أى شىء ..

- هل أنت جائعة ؟!

- لدرجة الموت ..

فناديت على الساقى وأمرته بأطباق المحار واللحم والسـمك والنبيذ .. وبعد أن انصرف قلت :

- عندى بعض الأسئلة .

قالت : أطلقها

(وهو تعبير أمريكى أكرهه) .. ولكنى تجاهلته وقلت :

- أولا ما قصة هذا العرق ؟؟

- عندما يصيبنى الهلـع يخـرج المـاء من كـل مسـام جسـمى .. حتـى أصبح جافة تماما من الداخل .

قلت : من البديهى ألا أسألك عن سبب الهلع ..

فقد خسرت كل نقودك ..

- تماما ..

- ولماذا اخترتينى أنا بالذات ؟..

- لأنك أنت الذى أخذت نقودى ..

فرفعت حاجبى دهشا وقلت :

- أنا .. كيف ؟

- لقد خسرت آخر نقودى على نفس المائدة التى أخذت أنت منها السبعمائة دولار ..
- ياله من منطق غريب.. يجب أن يكون عندك سبب أكثر وجاهة ..
ففكرت قليلا ثم قالت :
- الحقيقة أنى رأيتك وأنت تكسب بغاية البلادة .. وتغادر مائدة الروليت دون ذرة من الانفعال أو اللذة .. فقلت لنفسى إما أن تكون مقامرًا محترفًا أو غنيا أكثر من اللازم .

وعموما فقد رأيت على المائدة المائة وخمسين دولارًا الأخيرة التى كُنْتُ أمتلكها وهى تذهب إليك .. هل تتصور ذلك ؟؟ لقد تتبعت فيشاتى .. وكانت أملى الأخير فى الحياة .. فرأيت موظف الكازينو وهو يضعها مع باقى الفيشات أمامك لتسرقها بغاية الهدوء والبلاذة .

- هل كنت تلعبين على رقم واحد .. أقصد رقم معين ؟؟
- إطلاقا .. لقد كنت ألعب على لون واحد .. اللون الأسود .. وكان كل أملى أن أحصل على مائة وخمسين دولارًا لتصبح ثروتى ثلثمائة دولار ..

قلت : وكيف تغامرين بعرض خدماتك على رجل غريب ؟؟
- لم يكن أمامى غير ذلك .. وقد قدرت موقفى بسرعة .. فقلت لنفسى .. لو أنك كنت مقامرا محترفا لما خرجت منك بشىء .. ولو أنت كنت غنيا غبيا كما تبدو .. لخرجت معك وأنقذت حياتى .

قلت : يا لك من بلهاء .. ماذا لو أنى كنت مقامرًا محترفًا .. ما هو موقفك حين تفضحين نفسك أمام رجل ليس براغب فيك .
- لم يكن أمامى الخيار .. وأعلم أنى كنت على استعداد لأن أخلع ملابسى وسط هذه الصالة لمن ينقذ حياتى ..
- وهل المائة دولار تنقذ حياتك ؟؟
- سأدفع بها باقى أجر الفندق .. وأقطع رحلتى فورًا وأعود إلى أمريكا
- كم من الوقت كنت تنوين البقاء فى لبنان ؟؟
- ثلاثة أيام أخرى ..

- وكم خسرت اليوم ؟
- خمسمائة وخمسين دولارا ..
- يا إلهى .. وكيف بلغت بك السذاجة لتفعلين ذلك .. فهزت كتفيها وقالت :
- أنت تعلم ما هو القمار ..
- لعبت القمار من قبل ..
- إطلاقا .. إنى لا ألعب سوى البريدج فى وطنى ..
- وماذا حدث اليوم ..
- لا شيء .. لقد كسبت في مبدأ الأمر ..

فحلمت بثروة صغيرة تبدل من حالى .. فأمد إجازتى .. وأذهب إلى أوروبا .

- ومتى تنتهى إجازتك ..
- إجازتى لا تنتهى .. لقد " فُصلت " من عملى قبل حضورى إلى هنا .. وأخذت مكافأتى .. وقررت أن أرفه عن نفسي .. وسأبحث عن عمل جديد عندما أعود ..
- هل هذه مشكلة ..
- ماذا تعنى ؟
- البحث عن عمل فى الولايات المتحدة ..
- لا .. إن العمل موجود دائما .. يجب أن يغيره المرء من وقت لآخر وإلا تجمد وأصابه الموت ..
- ماذا يعنى هذا الكلام ؟..
- هذا الكلام يعنى أنى كنت أعمل فى مكتبة لمدة ثلاث سنوات .. أبوّب الكتب .. وأنسقها .. وأعمل لها أرشيف ..

وهذه الكتب تحوى كلامًا حيًا .. أما هى فميّتة تماما .. فالورق والأرفف .. كلها صامتة .. ميتة .. وكل يوم يمر علىّ يضيق أفقى .. وأقترب من الموت بين هذه الأشياء الميتة .. ومن ثم افتعلت مشادة مع صاحب المكتبة .. فطردنى .. هل هذا الكلام صعب ؟؟

فنظرت إليها بغباء .. إذ لم أفهم شيئا ..

فأعادت سؤالها .. هل هذا الكلام صعب ؟؟

فقلت على الفور : إطلاقا .. إنه كلام سهل للغاية ..

وحضر الساقى .. فقطع علينا حديثنا .. ووضع على المائدة أطباق المحار وزجاجة نبيذ أبيض وسلطة وزبد وخبز .. فسألته عن اللحم .. فأخبرنى أنه الطبق التالى .. ويبدو أنها فهمت ما حدث فقالت :

- عم سألت ؟

فأجبت : سألت عن أطباق اللحم ..

- هل أنت فلاح أو شىء من هذا القبيل .. لقد كنت أظنك أوربيا.
- لماذا ..
- لأنك فى مطعم محترم .. وليس من المعقول أن تتكدس الأطباق على المائدة دفعة واحدة .. كما أنه ليس من المعقول أن يأتى الطبق الثانى مبكرًا كيما يبرد ويصبح غير صالح للأكل .. وعموما لقد شككت فى ذلك من مبدأ الأمر .. أما الآن فتأكدت .
- تأكدت من ماذا ؟؟
- من أنك فلاح ..
- كيف تأكدت ؟
- لأنى حين أتيت إلى المائدة .. لم تنهض وتقدم لى مقعدًا .

فخجلت من نفسى ولم أجد شيئًا أقوله .

فقالت : لا تكن خجولاً .. لقد كنت أمزح .

وفتح الساقى زجاجة النبيذ .. وسكب قليلا منه فى كأسى .. فقلت له .. السيدة أولاً .. فقال بامتعاض :

- مش لمّا تدوقه الأول ..

ففهمت أن هذه غلطة أخرى ارتكبتها .. ومن ثمّ ذُقْتَ النبيذ وهززت رأسى علامة الإعجاب .. فملأ كأس الفتاة .. ثم عاد وملأ كاسى .

وقد لاحظت هى ما حدث .. ولكنها تجاهلته حتى لا تزيد من إحراجى ..

وبدأنا نأكل .. ولم تكن " مفجوعة " كما كنت أنتظر بل أكلت بهدوء وأناقة .. ثم سألت :

- والآن .. ماذا أنت .. أأنت مقامر محترف أم غنى جاهل ..

فقلت : لا هذا ولا ذاك .. أنا صديق الحظ ..

- ماذا تعنى بصديق الحظ ..
- أعنى أن حظى كالجحيم هذه الأيام .
(وهو تعبير أمريكى استعملته إكراما لها) .
فقالت : أعتقد أن الحظ ستخلى عنك إلى الأبد لأنك رأيتنى ..
- سوف نرى ..
ثم غيرت مجرى الحديث قائلة
- هل أنت لبنانى ؟
- لا ..
- إذن ماذا ؟..
- مصرى ..
- حيث توجد الجمال والصحراء .. كم وددت أن أراها ..
- سترينها إن شئت ..
- ماذا تقول ؟
- أقول أسرعى فى تناول المحار .. وكفاك أكل الخبز بالزبد .. ودعينا ننتهى من هذه المائدة فأمامنا ليلة حافلة بالحمل .
- عم تتكلم ؟
- هل أنت رامية رمح ؟؟
- لا .. أنا بطلة سباحة .. فراشة .. هل سمعت عنها ؟؟
- طبعا ..
ثم قالت : وبالمناسبة .. هل لك اسم ؟
- نعم .. شريف
- وما هو اسمك الأول ؟..
- إنه الأول
- وما الثانى ؟
- وجدى .. وأنت
- مكدر موت ..
- مكدر موت ماذا ؟؟
- ماذا تعنى بمكدر موت ..

- لا شيء .. إنه اسم أبى .. مكدر موت اسم رجل .. هل كنت تتخيل أن هناك فتاة بهذا الاسم ..

وأغرقت فى الضحك حتى دمعت عيناها .. واغتظت جدا .. ولكنى أخذت بجمال أسنانها المرصوصة بانتظام .

ومكثت صابرًا إلى أن سكنت .. ثم ناولتها منديلى التعس .. فجففت عيناها .. وأعادته إلىّ قائلة :

- آسفة .. أنا اسمى جين ..

وأتت أطباق اللحم مع النبيذ الأحمر ..

فالتهمت طبقى على عجل .. ثم نظرت إليها .. وكانت تأكل بتأنى وتلذذ .

فقلت : هل سنمكث هنا على هذه المائدة حتى الصباح ..

فقالت : ماذا تريد

- أريد أن أتكلم ..
- تكلم .. فأنا يمكننى أن أفعل شيئين فى وقت واحد ..
- هل يمكنك أن تسمعينى جيدًا ؟..
- هل رأيتنى أضع الطعام فى أذنى ؟..
- حقا أن الأمريكان شعب لا يطاق ..
- ماذا تريد ؟
- بعد أن ننهض من هنا سنلعب الروليت ..

فقالت بحدة : من الذى سيلعب ؟؟

- أقصد سألعب أنا .. وأنت تقفين إلى جوارى .. فإذا ربحتُ يجب ألا أغادر مائدة الروليت إطلاقا .. لأن الحظ سيتخلى عنى بهذه الصورة ..
- رائع وماذا تطلب منى ..
- يجب ألا تُبقى أموالا كثيرة أمامى .. وإلا تهورتُ وحدثت لى خسائر كبيرة ..
- إذن هل آخذ بعض الفيشات واحتفظ بها معى ..
- لا .. بل تذهبى بالفيشات التى أعطيك إياها رأسا إلى البنك .. وتستبدليها بنقود حقيقية .. أولا بأول ..

- هل معك نقوداً كافية ..

فـأخرجت لهـا الثمانيـة آلاف دولار من جيـب .. والنقـود اللبنانيـة من الجيـب الآخر .

فاتسعت عيناها .. وأطلقت صفيراً لفت إلينا أنظار رواد المائدة المجاورة .

فقلت لها : اقفلي فمك ..

فقالت : هل أنت من المافيا ؟

فقلت : لم أتم كلامي بعد .. إذا خسرت فسوف أتحمل الخسارة وحدى .
وإذا ربحت كان نصيبك من الربح عشرون في المائة ..

فقـالت بفتـور : عنـدى اقتراح أفضـل .. مـاذا لـو أنـك أعطيتنـى مائـة دولار أخرى .. واحتفظت بالربح كله لنفسك ..

فتابعت كأنما لم أسمعها ..

- وإذا كـانت أرباحـا أكـثر مـن الـلازم .. وشـاء موظـف البنــك أن يحرر لك شيكا بالمبلغ .. فليكن الشيك باسمك طبقا لما هو مـدون بجواز سفرك .

فقالت : ما الذى يحدث هنا .. ما هذه الألغاز ؟..

فقلت : اقفلي فمك ..

ونهضنا .. وسرت ممسكا بذراعها القوى .. وقلت لها في الطريق .

- يجب أن تكون أعصابك هادئة تماما .. فـلا تتـأثرى بالخسـارة أو الربح .. ولا تتبادلي معـى مـن الحديـث إلا أقلـه .. وانتبهـى إلـى عيني جيداً .. فلو إنى أومأت بهما إلى كومة من الفيش .. فعليك أن ترفعيها بهدوء مـن علـى المـائدة .. وتنفذيـن مـا أخـبرك بـه .
وماذا لو أني سرقت النقود .. وهربت من الكازينو ..

- انتهى وقت الهزل .. لقد اقتربنا من المائدة .

وظللنا واقفين نحوا من عشـر دقـائق نراقـب اللعـب فـى صمـت .. ويبـدو أنهـا تعبت .. فشاءت أن تضع ذراعها في ذراعي لتتكيء على .. ولكنـى نظـرت إليهـا نظرة جعلتها تعدل عن ذلك .

وبعد قليل أخرجت من جيبي ألف وأربعمائة دولار وطلبت إليها أن تستبدلها لى بفيشـات اللعب ..

وعادت بعد قليل حاملة الفيشات وقالت : ماذا أفعل ؟ .

فقلت : انتظرى ..

.وظللنا واقفين نحوا من عشر دقائق أخرى .. كان من الممكن أن أربح خلالها ثروة طائلة .. ولكنى لم أحرك ساكنا .. إلى أن خلا مقعد ..

فجلست عليه وأخذت منها الفيشات ووضعتها أمامى .. ووقفت هى فى سكون وابتدأ اللعب .. فسألتها :

- كم عمرك ؟..

فانحنت علىّ " هامسة "

- سبعة وعشرون ..

فوضعت مائة دولار على الرقم .. خسرتها على الفور ..

وفى الدور التالى .. ومض الرقم ١٢ فى ذهنى .. فوضعت خمسمائة دولار على خمسة أرقام خاطئة .. وانتهى الدور .. وخسرنا ..

فاذا بها تضع يدها على ظهر مقعدى .. وتدفع أصبعها فى ظهرى كأنما تنبهنى إلى تهورى ..

فأشرت إليها أن تقترب .. فانحنت .. وهمست فى أذنها

- إذا لم تهدئى .. سأشد شعرك وسط هذا الكازينو ..

فاعتدلت .. ووقفت ساكنة على مضض ..

وانتظرت إلى أن دارت عجلة الروليت .. وومض الرقم ٢٩ .. فابتسمت رغما عنى .. إنه نفس الرقم الذى ربحت به قالب الشيكولاته الكادبورى فى الإسكندرية ..

ومن ثم وضعت المائة دولار على اللوحة ..

وهدأت حركة الكرة .. وأخذت تتقافز على الأرقام إلى أن استقرت على الرقم ٢٩ .

فدفع الرجل أمامى ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار فتململت جين فى وقفتها .. كأنما تنبهنى إلى أن موعد استبدال الفيش قد حان ..

فلم ألتفت إليها ..

وفى الدور التالى لعبت بألف دولار على خمسة أرقام خاطئة .. ثم جاء الدور الذى يليه .. فوضعت ثمان مائة دولار على أربعة أرقام جزافية .. وانتظرت

دوران العجلة .. ولم يلبث أن ومض الرقم ٧ فـي ذهنـي .. فوضعت عليه مـائتي دولار أخرى وربحنا ..

وجاءتنا سبعة آلاف دولار ..

وكررت نفس الطـريقة فـي الدور الذى يليه .. فوضعت ألف دولار علـى اللوحة .. من بينها مائتي دولار على الرقم الرابح .. وجاءتني السبعة آلف دولار .

وأصبح أمامي نحوا من سبعة عشر ألف دولار .. فجنبت خمسة عشر ألـف .. واستبقيت الباقي .. وأشرت بعيني إلى الكومـة الكبيرة .. فرفعتها جين بهدوء .. وانصرفت .

وما أن فعلتْ .. حتى نثرت ألف دولار على عشر أرقام باللوحة منها الرقم ٦ الرابح ..

وفي الدور التالي لعبت بألفي دولار على عشرة أرقام منها الرقم زيرو الرابح . وكان غرضي من ذلك أن أبعد الصيادين عني ..

فلو أن أحدا اقتفى أثري .. وشـاء أن يقلدني .. فهو قد يقلدني في رقم أو رقمين .. أما عشرة .. وخمسة عشرة فهي مغامرة لاقبل لأحد بها .

وفي الأدوار الخمسة التالية .. لعبت بعشرة آلاف دولار مقسمة على الأدوار الخمسة .. وكانت جين تقف خلفي كالكلب .

وقد ربحت في الأدوار الخمسة دون هوادة .. إلا أن أحدا لم يجرؤ أن يهمس بكلمة .. إذ كان من الواضح أن الجالس شخص له تابع أمريكي .

ومن ثم أشرت إلى جين أن ترفع من على المائدة ثلاثون ألف دولار .. وتترك لي الباقي ..

ففعلت وانصرفت .. وكان أمامي نحوا من خمسة آلاف .

خسرتها في ثلاثة أدوار .

ثم مللت .. فنهضت بهدوء .. واضـعا يدي في جيبي سـروالي .. ولم أجد جين .. فلم ألتفت يمينًا أو يسارًا .. بل سرت بتراخ كأن الأمر لايعنيني ..

ولم أكد أخطو بضع خطوات .. حتى لمحتها تقف بعيدًا قرب باب الخروج .. فأشرت إليها أن تحضر .. فأتت مهرولة .. فقلت لها

- إلى أين ..
- إلى الشارع

- ليس هذا بتصرف المحترمين .. يجب أن نتناول القهوة

فقالت : اللعنة .. هيا بنا نخرج فورًا ..

فقلت : إفعلى ماأقوله لك حرفيا .

وتبعت ذلك بأن سرت أمامها نحو المطعم .. وجلست إلى مائدة في الوسط .. ومأتانى الساقى حتى أمرته بقدحين من القهوة .. وجلست جين على مقعد كأنما هو من الحديد الساخن .

وقالت : لماذا لانهرب من هذا المكان الملعون .. إن أحدا لايمكنه أن يمنعنا من ذلك .. وأحدا لن يرانا بعد اليوم ..

فقلت " بلامبالاه " : من قال لك هذا ؟ ..

- هل أنت مجنون ؟.. هل تظن أننا سنعود هنا مرة أخرى ؟.
- هل لديك مانع ؟
- طبعا لدى مانع .. هل تعرف كم معى من النقود .. إن معى ليرات لاحصر لها .. وشيك بستة وعشرون ألف دولار ..
- ولماذا لانأتى مرة أخرى ..
- نأتى لنضيع هذة النقود ؟ لاياصديقى .. إن الحظ يأتى مرة واحدة فى العمر .. أم أنك تظن نفسك ساحرا .
- لاتكونى بلهاء ..
- لايوجد سوى أبله واحد فى هذا المكان .
- اصمتى ..
- أنت الذى تصمت .. وتخرس ..
- اسمعى أيتها الآنسة .. يجب أن تكونى أكثر حرصا فى انتقاء ألفاظك

فأمسكتنى من يدى بحرارة ..

- اسمعنى أنت ياشريف .. إن ماحدث اليوم لايخرج عن أحد أمرين .. إماأن يكون حالفك الحظ .. وإما أن تكون تلعب لعبة قذرة .. فإذا كان الأمر الأول .. فيجب أن نقلع عن اللعب فورًا .. لأن الشخص الحكيم هو الذى يعرف متى يتوقف عن المغامرة .

وإذا كان الأمر الثـاني .. فهذه اللعبة القذرة ليست من شأني . ولست أهتم بها .. بل العكس فأنا على استعداد أن أشترك معك فيها ..

ولكن إذا كنت لاأفهمها ، فهذا لايعني أنه لايوجد من يفهمها .. وتأكد أن مثل هذه الأحداث لاتمر ببساطة بل ولابد وأن يكون في هذا المكان من يفهم تماما ماحدث ..

- ماالذى حدث ؟
- حدث أنك ربحت خمسة أدوار متتالية ..
- لقد كنت ألعب على عشرة أرقام كل دور .. وهذا يغطي ثلث اللوحة تقريبا ..

فهزت رأسها وقالت :

- لا ياصديقى .. إن ماحدث كان أعمق من ذلك .. وإذا كنت أشك فيك .. وأنا أقف على الجانب الذى تقف فيه .. فما بالك بالذين يقفون على الجانب الآخر .

ثم ضغطت يدى بقوة وقالت :

- إنى خائفة ..

فربتت على يدها وقلت :

- دعينا ننصرف الآن .. وسنرى مانفعله باكر ..

ركبنا السيارة مع نايف ومروان الذى سألنى عن الفتاة .. رافعا الكلفة بصورة لم ترُقنى .. فأخبرته أنى أعرفها من الجامعة الأمريكية بالقاهرة .. وأن معرفتنا وثيقة تعود إلى سنوات خلت .. فأخلد إلى الصمت كأنما يعتذر عن وقاحته ..

وسألتها عن فندقها .. فقالت : إنه " الهوليدى إن "

فسألتها أليست الأسعار غالية فى هذا الفندق ؟.

فقالت : ظننتك تسكن الفينسيا

- ماهى الفينسيا ؟..
- يبدو أنك لاتعرف أى شئ سوى القمار .. خبرنى بحق السماء .. من أنت ؟.. وماذا تعمل ؟..
- غدا نتحدث عن ذلك ..

- على رسلك ..

وتبعت ذلك بأن فتحتْ حقيبة يدها .. وأخرجت النقود والشيك لتناولني إياها ..

فقلت : احفظيها لى معك حتى الصباح .. فمعى من النقود ما يكفينى .

- إنى أخاف من أن أبيت وحدى .. ومعى كل هذه النقود ..

- أنت لا تخافين شيئا .. ويمكنك أن تدافعى عن نفسك ..

فقالت : لا بأس

وأعادت النقود إلى حقيبتها .. وران علينا الصمت فترة ثم قالت :

- أليس لديك شيئا تقوله .

- نعم .. سأمر عليك فى الحادية عشرة

- هل هذا كل ما لديك من كلام ..

- نعم

وخيل إلىّ أنها تنظر إلىّ فى الظلام .. ولكنها صمتت .

الفصل السابع عشر

التقينا فى الصباح ..

وكانت فتاة أخرى .. بجسد لا أثر به لرائحة العرق .. وشعر نظيف .. ووجه رائق خالٍ من المساحيق .. وكانت ترتدى فانلة صفراء بلا أكمام .. وبنطلونا جينز ضيق للغاية .. يلتصق على فخذين قويتين .. وتنتعل حذاء بلا كعب .. فبدت أقصر منى قليلا .. وكانت بالأمس فى مثل طولى ..

وسألتها : من أى مادة تلك الخيوط المصنوع منها هذا السروال .. أهى من الصلب .

فسألتنى ضاحكة لماذا

- لأنى أعجب كيف لم ينفجر حتى الآن ..

فأمسكتنى من ذراعى وقالت

- لا تتدخل فيما لا يعنيك ..

وكنا نسير فى طريق المصرف .. وانتظرت بالخارج إلى أن صرفت الشيك وأتت بالنقود ..

وأخذ كل منا نصيبـــه ..

ومن ثم دخلنا إلى بنك أمريكى مبنى من الزجاج الأسود والصلـب ، يقـع وسـط ميدان رياض الصلح .. حيث أودعت كل نقودى ماعدا خمسـة آلاف دولار .. أمـا هى .. فقالت أنها ستحتفظ بنقودها فى خزينة الفندق .

وبعد أن خرجنا إلى الميدان سألتنى

- هل أنت مصاب بعقدة نفسية .. أو شىء من هذا القبيل

= لماذا ؟

- لأنك ترتدى رباط عنق وبذلة فى الصباح ..

= الواقع أن كل ملابسى على هذا النمط ..

ومن ثمّ اخذتنى إلى محل حيث انتقت لى بعض ملابس الصباح .. ثم عدنا إلـى السيارة حيث كان مروان ونايف ..

فسألانى "على فين "

فأجبت مغارة الأمس ..

- جعيتا

= أيوه

فسألنى جين عما تتكلمون

قلت : سنذهب إلى جعيتا

= ما هى جعيته

ولم أكن أعرف كلمة مغارة بالإنجليزية

فقلت : إنها ثقب فى التل .

= إن التلال مليئة بالثقوب .. فهل تريد أن ترينى ثقبا معينا ..

- نعم

= هل هو من صنع النمل ..

- لاأنه أكبرمن ثقوب النمل .

= إذن من صنع الذئب ..

- اصمتى قليلا حتى أعرف من صنع من هو .. فأنا لم أره مثلك .. ثم وجهت سؤالى إلى مروان الذى أخبرنى أن المغارة شىء ضخم من صنع الطبيعة .. فأجبتها بذلك .

وأخلدنا جميعًا إلى الصمت .. وجعلنا نتابع المناظر الخلابة من نافذة السيارة .
وبلغنا المكان .. وترجلنا .. وركبنا تلفريكا .
ثم دخلنا المغارة .. جين وأنا .. بينما انتظر السائقان بالخارج .. وما كدنا نخطو بضع خطوات حتي شهقت الفتاة من فرط الانبهار ..
وقالت هل هذا ماتسميه ثقبا فى التل ..
لقد كانت المغارة عبارة عن فجوة رهيبة فى جوف الجبل يتدلى من سقفها الذى يرتفع عن الأرض بنحو عشرة طوابق .. أقماع هائلة مقلوبة من الرخام الناصع البياض .. ذات أسنان مدببة .. وهى أقماع مخروطية .. ليست منتظمة الشكل .. بل هى أشبه بشكل الرمال المبتلة يبنى بها الأطفال القصور على شاطئ البحر .
وتتوغل المغارة فى الجبل مسافة كبيرة .. ما بين صعود وهبوط وانحراف .. ويصل اتساعها فى بعض المناطق نحو أربعين مترا ..
وهى أشبه بالكهوف المرعبة التى نراها فى السينما .. والتى يعثرون فيها على جماجم وعظام بشرية .. وعناكب وأشياء من هذا القبيل ..
أمّا ما أثار انتباهى حقا فهو نظام الإضاءه فيها ..
فقد كان هناك نظام إضاءةٍ خفىّ .. يضىء ثريات الرخام بصورة مبهرة .. وكذلك القاع .. كما تركت بعض المساحات فى ظلام دامس لتضفى جو الرهبة على المكان .
وقد قيل لنا : إن المغارة تبدأ من حيث كنا وتتدرج فى الانخفاض حتى تصل إلى البحر .
وكنت أنظر إلى السقف حين سألتنى جين
- كيف تمكنوا من بلوغ السقف حتى يثبّتوا هذه الكشافات المستترة فقلت لاأدرى
وإذا بها تحيط خاصرتى بذراعها ببساطة قائلة
- إنى أشعر بالبرد .
فأجفلت .. وتصلب جسمى قليلا لهذه الخطوه المفاجئة .. ولم أدر ماذا أفعل .. ويبدو أنها شعرت بما اعترانى .. فتركتنى ..
وقالت : لاتخشَ شيئا

فشعرت بالخجل والحرج .. ولم أدر ماذا أقول .. ولكننى حزنت لتركها إياى.. فقد استشعرت في تلك الثوانى التى التصق جسمى بجسدها بسعادة لم أشعر بمثلها من قبل .

ولكنى لم أجد من نفسى الجرأة على أن أحيط خاصرتها كما فعلت هى وسرنا إلى جوار بعضنا البعض .. وقد ران علينا الصمت .

هى تفكر فيما لاعلم لى به .. وأنا أحاول أن استجمع شجاعتى لأفعل مثلما فعلت .. ولكننى لم أفلح .. وكلما قررت أن أحيط خاصرتها بذراعى لا ألبث أن أرتجف ويدق قلبى وتتلاحق أنفاسى .. وهكذا عدت إلى سابق عهدى من الرعب والخيابة .

لقد كنت طبيعيا حين عطفت عليها فى محنتها .. وكنت طبيعيا حين كنا نعمل سويا .. ولكن ما أن أصبحت امرأةً حتى خانتنى الشجاعة .. وتخلَّى عنى ثبات الأمس .

لقد كنت أتمناها .. وأحلم بلحظة تستكين فيها إلى صدرى .. ولكن ليس كل مايبغيه المرء يدركه .

وقد أعجبتنى هذه الحكمة .. فرددتها لنفسى .. دون أن أعيدها على مسامعها... حتى لا تبصق فى وجهى ..

لقد هيأت لى الفرصة ببساطة .. ولكنى رفضتها بغباوة .. وما كان أيسر علىَّ من أن أقلدها ببساطة أيضا .. معتذرا عن رجفتى بأنى كنت سارحاً .. أو شىء من هذا القبيل .

وبلغت مرحلة سيئة من التفكير .. لا سيما وأن الصمت قد طال .. ووجدت أن عقدتى ستصبح مستعصية لو أنى لم أعالجها اليوم ..

ومن ثم اتخذت قرارا نهائيا .. بأن أحيط خاصرتها بذراعى وليدق قلبى كيفما شاء .. فأنا لن أحيا بقية حياتى صريعا لعقدة الخوف .

وبحركة مفاجئة .. ولكنها تافهة مائعة .. مددت يدى لتستقر على خاصرتها فاذا بها تمسكها بأناملها بلطف .. وتدفعها بعيداً قائلة :

- لا تجبر نفسك على شىء ..

فأصابتنى خيبة أمل شديدة .. وانتهى آخر أمل لى فى أن أقدم على أى خطوة بعد ذلك .. ومما زاد الطين بلة أن وجدتها تقول بطريقة طبيعية .

- آه .. لقد كدت أنسى .. هاهى المائة دولار التى كنت قد أخذتها منك بالأمس .

وأخرجت الورقة من حقيبة يدها .. وقدمتها إلى .. فنظرت إليها وأنا على حافة البكاء .

وقلت : أرجوكى ..

فقالت : لقد أخذت نصيبى طبقا للاتفاق .. أما هذه الورقة فلم يعد لها محل فى حقيبتى ..

ولما وجدتنى واقفاً كالصنم .. وضعتْها فى جيبى بهدوء .. وتابعتْ السير .. فسرت وراءها بمذلة .. لا أدرى ماذا أفعل ..

وخرجنا من المغارة دون أن يتفوه أحدنا بحرف .. وعدنا إلى بيروت .. والصمت يجثم على أنفاسنا .. كهم الليل .. وما بلغنا فندقها حتى نزلت من السيارة .. وهى تقول :

- هل سنلتقى مرة أخرى .. أم يهتم كل منا بشئونه .

فقلت بصوت كالهمس :

- سأمر عليك فى العاشرة .. إن لم يكن لديك مانع .

* * *

الفصل التاسع عشر

قابلتنى ببشاشة ببهو فندق " الهوليدى ان " .. وكانت تجلس على أريكة وثيرة .. فدعتنى للجلوس إلى جوارها قائلة .. كيف حالك ..

وما أن جلست حتى سألتنى عما فعلت فى الساعات الماضية .. فأخبرتها أنى تناولت غذائى ونمت قليلا .. ثم تسكّعت فى شارع الحمراء واحتسيت قدحا من القهوة على الرصيف .

فلكزتنى بمرفقها قائلة :

- يالك من أنانىّ .. لماذا لم تأخذنى معك .. لقد أمضيت فترة مملة من حياتى

أقرأ كتابا فيها .. ما من فقرة إلا وتذكرنى بك ..

فقلت : مندهشة بى أنا .. لماذا ؟؟

قالت : لأنه كتاب ممل ..

فقلت : مبتسما هل أنا ممل إلى هذا الحد ؟؟

فقالت : ياإلهى .. أليست لديك ذرة من روح المرح .. لقد كنت أظن سكان البحر الأبيض يحبون المرح .. هل تعلم أنك لم تبتسم مرة واحدة منذ التقينا .. أم إنك بلا أسنان .. وتخشى أن تفتح فمك فأرى مغارة كتلك التى رأيناها فى الصباح .. أو ثقباً فى التل كما تسميها .

فقلت : " ضاحكا " ثقب فى إنسان ..

فأمسكت بيدى وضغطت عليها قائلة

- ساعطيك دولارا ثمنا لهذه الابتسامة ..

وظلّت تناكفنى .. وتتكلم كيفما اتفق .. إلى أن أذابت جبل الثلج الذى بنيناه سويا فى الصباح .. وأخيرا قالت :

- ماذا تنوى أن تفعل الليلة .. هل تدعونى للرقص فى ملهى ليلى حيث نأكل ونثمل حتى الصباح ؟

فقلت : بل سنذهب إلى الكازينو

فقالت : يا لك من مخلوق كريه ألا تفكّر إلا فى النقود

فقلت : يا صديقتى جين .. ألم تدركى بعد أن الحظ حليفى هذه الأيام .. ويجب أن نأخذ منه ما استطعنا .. وبعد ذلك نلهو كيفما شئنا .

- أنا لا أعرف هل الحظ الذى هو حليفك أم هناك شىء آخر ؟

= ماذا تَعْنِينَ بشىء آخر ..

- أعنى أنك لص ..

= ما هذا الهراء ..

- لا عليك ..

= والآن هيا بنا إلى العمل ..

- لحظة واحدة .. ما هى شروط اليوم

= ماذا تَعْنِينَ بشروط اليوم ..

- أعنى ما نصيبى فى الربح .

فهززت كتفى وقلت كمثل الأمس ..

فقالت : لايا صديقى .. سنقتسم الربح مناصفة ..

فقلت : هل جننت .. ما حاجتى إليك .. حتى تقاسمينى أرباحى ..

فنظرت إلى بثبات قائلة :

- أنت فى حاجة ماسة إلىّ .. لأنك تريد أن تسرق الكازينو دون أن تخلف وراءك أثراً .. فأنا التى تبدل الفيشات .. وأنا التى تصدر الشيكات باسمها .. وأنا التى تذهب إلى البنك لتصرف النقود .. وأنت قابع فى الظل لا يدرى أحد عنك شيئاً ..

فقلت : هل تصرّين على أنى لِصٌ ؟؟

- دون شك

وهل يضايقك أن ترافقى لصا

- بالعكس .. أنا أحب اللصوص .. ويمكننا أن نكون معا ثنائياً رائعاً..

- ثنائى ماذا ..

- ثنائى النهب .. مثل ثنائى التانجو

فقلت : أنا لا أريد أن أجادلك فى أوهامك .. ولْتَظُنِّىّ بى ما شئت .. كل مايهمنى الآن أن ننهض ونجرب حظنا ..

- هل قبلت الشرط ..

ففكرت قليلا ثم قلت

- ماذا لو خسرنا .. هل ستشاركينى الخسارة ..

فقالت بثبات : لن يكون هناك خسارة .. أقبل الشرط .. أو اذهب وحدك ..

ففكرت مرة أخرى ثم قالت

- لا بأس .. ولكن بشرط ألا تتجاوز أرباحك عشرين ألف دولار

- ماذا تعنى هذه العبارة الغبية ..

- تعنى لو أننا ربحنا خمسين أو ستين ألفا .. فإن نصيبك لا يتجاوز العشرين ألف دولار ..

فقالت : لقد كنتُ أظنك لصا عاديا ..

- قلت – هل توافقين
= فردت على الفور
- طبعا أوافق .. فإن هذا الرقم يفوق كل أحلامى .. والواقع أن قصتى معك فى مجملها هى أشبه بالحلم .. ولكنه حلم سريع الإيقاع .. فمنذ أقل من أربعة وعشرين ساعة كنت على حافة الضياع .. ومن أجل ماذا ؟
= من أجل مائة وخمسين دولار ..

وعندما قامرت بالخمسمائة وخمسين دولارا التى كانت تمثل رأس مالى فى الدنيا .. كنت أطمع فى أن أربح ألفى دولار .. أذهب بها إلى أوربا .. والآن يوجد فى جيبى ثمانية آلاف دولار .

أما ما هو أغرب من النقود فهى الألفاظ التى نتبادلها .. فأنا أكلمك كما لو كنت صديقاً .. وصديقاً قديماً .. والحقيقة أنى لا أكاد أعرفك ..

فما السر فى هذه الألفة .. هل هى شخصيتك القوية .. وهنا لم أتمالك نفسى فرفعت يدى لأمنعها من الاسترسال

وقلت : إن شخصيتى هى من أتفه الشخصيات التى سوف تصادفك فى حياتك ..
فقالت : إن تواضعك هذا هو دليل ..
فقاطعتها : أرجوكى .. اصمتى .. دليل أو غير دليل .. أرجو ألاّ تتسرعى فى إبداء رأيك فىّ .. فهو كلام سابق لأوانه .. ولنتكلم الآن فى العمل ..
فصمتت هنيهه .. ثم نظرت إلى وقالت بمرح
- لا بأس ..
قلت : عندى شرط آخر
قالت : ما هو
- هو أنك تربحين اليوم
= كيف ؟ ؟
- كلانا سيجلس على مائدة الروليت .. أخسر أنا وتربحين أنت
= هل أنت لص أم مجرم .. يالله خبرنى .. إذا أودعونى السجن

.. هل تأتى لزيارتى .. أم تدعنى وتنسانى ..

- هل أتمم حديثى .. أم نضيع الليلة فى الشتائم ؟ ؟

فأراحت ذقنها على يدها ورفعت حاجبا ونظرت إلىّ كأىّ امرأة " بلدى " .

وقالت : ما هى الخطة أيها الرئيس ..

سألعب أنا على رقم واحد فقط .. وعليك أن تلعبى على الرقم الذى يليه بفاصل اثنين .. إذا كان أكثر من الرقم "١٠" والرقم الذى يأتى قبله بفاصل اثنين إذا كان أقل من رقم "١٠" .

- ماذا .. ماذا .. أنا لم أفهم أى شىء ..

قلت : سأجعل الرقم "١٠" هو مركز اللعبة .. فلو أنى راهنت مثلا على الرقم ١٢ وهو أكبر من الرقم ١٠ .. أليس كذلك .

- نعم . .

فتابعت : إذن عليك أن تتركي فاصل اثنين .. وهم الرقم ١٣و١٤ ثم تراهنى على الرقم ١٥ .. أما إذا لعبت أنا على الرقم ٩ وهو أقل من الرقم ١٠ فعليك أن تسبقينى بالرقمين ٨ و٧ ثم تراهنى على الرقم ٦ .

فقالت : تعنى بالمثال السابق أن الرقم الرابح هو ١٥ فى المرة الأولى و٦ فى المرة الثانية .

- تماما . .

ففكرت قليلا ثم قالت

- ماذا لو أن الرقم الرابح هو صفر

= فى هذه الحالة سنهب الكازينو بعض المال .. كما يجب أن تفهمى أنك لن تربحين في جميع الأدوار .. وإلا كانت كارثة .. ولسوف نلعب أدوارا كثيرة خاطئة .. حتى يبدو المال لو كان يذهب ويجىء ..

- وهل ألعب كل دور بمائتى دولار

= إطلاقا .. ستلعبين بألف دولار باستمرار .. وستلعبين على الألوان الأحمر والأسود والزوجي والفردى وأركان المربعات .. وكل ما يخطر لك على بال .. بل يجب أن تنثرى

النقود على المائدة

بحيث يكون علي كل رقم مائتا دولاراً ..

- وهل سنجلس إلى جوار بعضنا البعض

= طبعا .. لأنهم رأونا بالأمس . .

فاعتدلت فى جلستها وقالت :

- لا تؤاخذنى .. هذه خطة غاية فى الغباء .. لأنهم رأونا بالأمس .. كما تقول .. فما الفرق بين أن أربح أنا أو تربح أنت .. بالعكس أن وضعنا بالأمس كان أفضل .. فجلوسك إلى المائدة .. ووقوفى خلفك.. وحملى للنقود كما لو كنت أعمل عندك .. أضعف الشك فى أن تكون لصا .. أما أن تتساوى اليوم .. ونجلس معا .. ونزيد الطين بله بأن أربح أنا وتخسر أنت .. سيؤكد بصورة قاطعة أن هناك لعبة قذرة نتبادلها ..أما الطريقة الوحيدة التى يجب أن نتبعها .. هى أن أظهر وحدى فى الكازينو .. ولا يكون لك أثر .. بمعنى أن تكون موجوداً وغير موجود ..

موجود لترشدنى إلى اللعب .. وغير موجود حتى لا يراك أحد

- كيف ؟ ؟

= بالتخفى .. بالتنكر .. بأن تغير شكلك بحيث لا يعرفك أحد .. وبأن تقف على الجانب الآخر من المائدة .

فنظرت إليها بأعجاب .. وقلت :

- تماما .. يا لى من غبىّ . .

فقالت : أما الوقت الآن .. فأضيق من أن نرتّب عملية التنكر .. اذن فالأفضل أن نؤجل ذلك للغد .. ودعنا نلهو اليوم ..

- ومن أين لنا المال . .

= ألم يكن معك خمسة آلاف دولار هذا الصباح ..

- لقد أنفقنا ثلث هذا المبلغ فى الملابس التى اشتريناها .

= هذا يعنى أن معك الآن نحوا من ثلاثة آلاف دولار ..

- وماذا تفعل ثلاثة آلاف دولار ..

فنظرتْ إليّ بتمعّن وقالت :

- هل تتوقع منى أن أحترمك إذا دار الحوار على هذا النمط ..

فقلت : وأنا أنهض .. يا جين .. إنك تضايقينى بكثرة الجدل .. وسوف أذهب وحدى إن لم يكن لك رغبة فى ذلك ..

فأمسكتنى من سترتى وقالت

- نلعب نصف ساعة فقط ..
- لا بأس .
- ونمثل تمثيلية الأمس .. تربح أنت .. واستدبل لك الفيش ..

فأومأت برأسى علامة الموافقة

فقالت : وبعد ذلك تدعونى للعشاء فى أى مكان خارج الكازينو ..

فوافقت .. وقالت ونقتسم الربح مناصفة ..

فوافقت أيضا ..

* * *

الفصل التاسع عشر

ذهبنا إلى الكازينو ..

ولست أدرى أىّ إحساس هذا الذى ينتابنى حين أدخل هذا المكان ..

إن قلبى يستريح .. وتداخلنى نشوة غامضة .. وأشعر أنى بين جدران منزلى .. هؤلاء هم أهلى وأحبابى .. والهواء الذى استنشقه يتخلخل داخل كيانى .. فيبعث فيه الدفء والحياة .

توجهت نحو الصالة اليسرى .. وطلبت إليها أن تنتظرنى على البار فى الصالة اليمنى ..

فقالت : " بدهشة " ألم نتفق أن نكون سوياً ..

فقلت : إنّ نصف ساعة .. وقت قصير .. وسوف أدخرك للعب باكر

فقالت : على رسلك ..

ولم يكن لدى وقت أضيعه .. فلعبت سبعة أدوار نثرت على المائدة فيها ستة آلاف دولار .. وربحت واحد وعشرين ألف دولار فى ثلاثة أدوار منها ..

وخرجت من الصالة ، ومعى خمسة عشر ألف .. أعطيتها للفتاة التى استبدلتها بنقود حقيقية ، بالإضافة للثلاثة آلاف التى كانت معى عند دخولى الصالة .

وعند هبوطها السلم الرخام .. كانت منتشيه إلى حد ما فأمسكتها من ذراعها وقلت :

- ماذا فعلت أيتها المرأة أثناء غيابى ..

فقالت : لقد دعانى شاب مكسيكى إلى ثلاثة كئوس من الكونياك .. فشعرت بإحساس مقيت يعتصر قلبى وقلت

- هل لك به سابق معرفة

فقالت باستخفاف لا ...

فقلت : وهل تسمحين لنفسك بالسكر على نفقة الأغراب .

فقالت : لم يَعُدْ غريبا بعد الكأس الأولى

- ولماذا لم تدفعى ثمن مشروبك .. أم أنك بلا نقود ..

فتقصعت وضحكت وقالت :

- هل أنت غيور

- طبعا لا ...

= إذن ماذا ...

- كل ما هناك أنى أكره أن تتخلعى فى وقت العمل

- أى عمل هذا ..

- ألم أكن أكدح أنا فى الصالة الأخرى لنكسب رزقنا ..

فأشارت بأصابعها إلى قائلة

- ها قد وقعت بلسانك .. فالمسألة ليست حظ .. وأنت لص .. وكنت فى وقت العمل .

* * *

وأتى مروان ونايف بالسيارة .. فقطعا علينا الحديث .. وما ركبنا حتى قالت

- فيم كنا نتكلم ..

= لاشىء مهم .. أخبرينى .. ماذا تريدين أن نفعل ..

- كم الساعة الآن

- منتصف الليل

- ليست بى رغبة فى الذهاب إلى مكان مزدحم .. دعنا نذهب إلى مطعم بسيط حيث نتناول عشاءنا ثم نعود للفندق ..

فقلت : لا بأس

قالت : أعرف مطعماً صغيراً تمتلكه أسرة يونانية على شاطئ البحر قرب فينسيا .

ومن ثم طلبت إلى مروان أن يذهب بنا إلى حيث قالت ..وأخلدت إلى الصمت .

فقالت : هل انتهى الحديث عند هذا الحد ؟؟

فقلت : ماذا تريدين أن أقول ..

قالت : ياإلهى .. ألا تتحدث عن شىء سوى النقود .. كلمنى عن نفسك ..

خبرنى من أنت .. ماذا تفعل .. كلمنى عن حياتك ..

فقلت : ابدئى بنفسك أولا .. ثم ننتقل إلى

فنظرت إلى هنيهة ثم قالت :

- كيفما شئت ..

وبدأت تثرثر .. وتحكى قصة حياتها التى تتلخص فى أنها كانت بطلة أوهايو فى سباحة الفراشة .. وأنها حصلت على شهادة فى الدراما .. ولكنها لم تقتنع بها.. فحصلت على شهادة فى الاختزال والآله الكاتبة .. ثم عملت كسكرتيرة لعامين .. ثم استقالت وانتقلت إلى المكتبة .. وأنها وقعت فى الحب مرتين .. وأنها أخت لستة آخرين .. أربعة أولاد وبنتين..

وأرتنى صورهم .. فإذا الصغار غاية فى الجمال .. والكبار غاية فى القبح والغباء .

* * *

وبلغنا المطعم

وتناولنا أطباق البيض بالبسطرمة .. وهى لازالت تثرثر .. وأخيرا ..

قالت : انتهى ما عندى من كلام .. وجاء دورك ..

فقلت : ماذا تريدين أن تعرفى ..

فقالت : لا أريد أن أعرف شيئا الآن .. ولكن عندما أعود إلى الفندق ستصعد معى إلى غرفتى حيث تجلس إلى جوار فراشى .. وتظل تقص على قصة حياتك .. إلى أن يغلبنى النوم .. ومن ثم تذهب ..

* * *

صعدنا إلى غرفتها .. ولم تكن بمثل الفخامة التى يبدو بها الفندق من الخارج . ولكنها على أى أحالٍ أحسن من غرفتى ..

ودخلت الحمام حيث استبدلت ملابسها .. وعادت إلى بقميص نوم يكشف عن أفخاذها القوية .

وقد آخذت من منظر ساقيها .. وبدأت تعترينى حالة الرعب المعهودة .

ولم تعيرنى انتباها .. بل دخلت تحت الأغطية وقالت :

- تكلم ..

- ماذا تريدين أن تعرفى

فجلستْ فى الفراش ونظرت إلىّ بجدية قائلة

- يجب أن أعلم من أنت .. أنت كتلة من المتناقضات

فبينما أجدك ناجحاً جدا كلص .. لص من الطبقة الراقية .. أجدك خائباً جداً فى كل آداب السلوك الخاصة بنفس هذه الطبقة .

- ماذا تعنين بذلك ..

- أعنى أنك لا تعرف سكين السمك .. من سكين اللحم .. ولا تعرف أنك يجب أن تتذوق النبيذ قبل أن يقدم إلى ضيوفك .. ولاتعرف أن المرأة حين ترغب فى التدخين تضع اللفافة فى فمها فقط .. وعليك أن تشعلها لها .. وأشياء أخرى لا حصر لها .. خبرنى بالله عليك .. هل كنت تعمل لص دجاج قبل ذلك ؟

فقلت : أولا أنا لست لصاً .. كل ما فى الأمر أنى ورثت عن أبى منزلاً يدر على دخلا بسيطا يسمح لى بالحياة دون عمل .

جميل .. إذن فأنت عاطل ..

نعم .. ولما لم أجد شيئا أفعله .. فقد ضيعت عمرى فى القراءة .. وكان من بين الكتب التى قرأتها كتاب عن الأرقام .. وآخر عن علم الاحتمالات .. وثالث عن نوع من الإحصاء .. وقد خرجت من الثلاثة بدراسة معينة عن إمكانية الأرقام المحتملة فى ألعاب القمار..

ونظرتُ إليها .. لأرى إن كانت صدقت كلامى الفارغ .. ولكنى وجدتها تقول:

- إذن فأنت تعلم الأرقام المحتملة فى ألعاب القمار ..

قلت : بنسبة ثلاثين فى المائة ..

- هذه نسبة هائلة لم تتوفر لأحد من قبل .. لكن هل أنت واثق من إنك تقول الحقيقة .. أم أنك لص وتخدعنى بطريقة أو أخرى .

= ماذا تظنين ؟؟

- جهلك بأمـــور الحيـاة يجعلنـى أصدقك .. ومـن الأصـوب أن أصدقك.. لأنه لو كان هناك تفسير آخر .. فلا بد وأنه سيكون غاية فى التعقيد .. وعلى كل ماذا عن المرأة ..

= ماذا عنها ..

- ماهى قصصك مع النساء .. أم أن ولعك ينصب على الكتاب والنقود فقط ..

= قصص مع النساء عادية ..

- ماذا تعنى بعادية .. هل توجد امرأة تشغل قلبك ..

= لا ...

- هل كانت توجد امرأة هكذا فى الماضى

= لا

- ماذا ترى فىّ

= إن الطبيعة وهبتك جمالا خارقا ..

- إذن لماذا ارتجفت حين لمستك فى المغارة ؟ ؟

فنظرت إلى الأرض وقلت بأسى ..

- لا أعلم ..

= انظر إلىّ وأجبنى .. هل تجاربك مع النساء محدودة ..

- جداً ..

= هل الفتيات فى مصر على شاكلتى ...

فقلت : آه بالمناسبة .. هل أنت فتاة ؟

= هل سمعتنى أقول إنى تزوجت حين كنت أسرد عليك قصة حياتى ..

- لا ...

= إذن لماذا هذا السؤال الغبى ؟ ؟

فقلت بتلعثم :

- هل أنت عذراء ..

فصمتت هنيهه .. ثم لم تلبث أن ضجّت بالضحك من أعماق قلبها ..وقالت

= من يسمعك بالأمس حين كنت تقول أني بضاعة من الدرجة الثانية .. وأني يجب أن آخذ حماماً بالماء الساخن .. لا يسمعك اليوم .. أنت ياصديقى حمار .. حمار من الدرجة الأولى .. تعال أجلس إلى جوارى..

فنهضت على الفور .. وجلست على الفراش ..

فقالت : لا تكن أهوجا .. اجلس بهدوء ..

ثم أمسكتنى من وجهى .. وقبلتنى على خدى قبلة طويلة .. ثم لم تلبث أن قطعتها فجأة وقالت ..

- أين المائة دولار ؟.

* * *

الفصل العشرون

أصرمنا الصباح فى شراء أدوات التنكر .. .. من ذقون وأشناب ونظّارات نظر ونظارات سوداء .. وقطع من المطاط والأسفنج لوضعها داخل فمى لتغير من استدارة وجهى ..

وأخذنا هذه الأشياء وذهبنا إلى غرفتى بالفندق المتواضع .. وأجرينا تجارب لا حصر لها .. خرجنا منها بنتيجة .. أن شكلى لن يتغير أبدا ..

وأن العيون الفاحصة لن أخدعها بهذه الألعاب الصبيانية طالما كنت أقامر على نفس المائدة مع جين .

ومن ثم جلسنا على الفراش .. وقد وضع كل منا رأسه على راحة يده .

وفجأة قالت :

- هل تعرف الرقم الرابح من السابق ؟؟

= ماذا تعنين ..

- أعنى هل تحدد الرقم الذى سيربح بناء علـى معرفتك لـلرقم الرابح فى الدور السابق ؟؟

= ما أهمية ذلك ..

- لو أن القاعدة كانت كذلك لأمكنك أن تلعب من بعيد ..

= أوضـحـى ...

- إن موظف الكازينو يعلن بعد نهاية الدور عن الرقم الرابح بصـوت عال.. فلو أنك كنت تعتمد على الرقـم السـابق لأمكنـك أن ترشـدنى إلى اللعب دون أن تلعب إطلاقا .. والطريقة الوحيده لإبعاد الأنظار عنك هو ألا تلعب .. أما وجودك أمام المائدة حتـى لـو تنكـرت فـى زى قـرد أو سـمكة .. سـيجعل موظـف الكـازينو يفطـن إليـك ويتذكرك .. ففكرت قليلاِ .. ووجدت أننـى يمكننـى أن أعـرف مـن على البعد . بدليـل أنـى كنـت أعـرف الأرقـام الرابحـة فـى الموائـد المجاورة .. هذا بالإضافة إلى أنى أسمع الرقم الرابح من الموظـف قبل أن ينطق به بدقيقة ..

ومن ثم قلت إلى حد ما .. يمكننى أن أرشـدك إلـى اللعـب دون الاقتـراب من المائدة ..

- ما هى أقصى مسافة يمكنك أن تبتعد بها عنى ..

= عشرة أمتار ..

- هائل .. إذن نشترى جهازا لاسيليكيا ..

= ما هذا ..

- نعم .. كذلك الذى رأيناه فى فيلم " جولدفنجر " لجيمــس بونـد منـذ خمســة عشر عاما ..

وتبعت ذلك بأن قفزت من أعلى الفراش قائلة :

= هيا بنا .. إنى أعرف محلا لبيع الالكترونيات .

* * *

وفى الطريق سألتنى ..

- لماذا أنت مصر على ألا يعرفك أحد ؟؟

- لأنى لا أعرف ما يخبؤه لى القدر .. فلربما تصادفنى أحداث هامة فى حياتى .. وإذ ذاك لا أريد أن يقال عنى : إنى كنت مقامرا ..
- إذا كان الأمر كذلك .. ألا يمكنك أن تعلمنى الطريقة .. وتتركنى ألعب وحدى ..
- كنت أتمنى ذلك .. لكنها غاية فى التعقيد .. وربما تستلزم أعواما لتتعلميها ..

* * *

بلغنا المحل .. فإذا هو يتعامل فى أشكال لا حصر لها من أدوات الكهرباء .. فمن أجهزة تسجيل .. إلى أجهزة الموسيقى الالكترونية .. إلى الآلات الحاسبة .. إلى أنواع شتى من أجهزة الراديو ..

والواقع أنى لست فى حِلّ من ذكر اسم المحل .. لأنّى غير واثق مما إذا كان الجهاز الذى ابتعناه منه هو جهاز مسموح بتداوله أم لا ..

والواقع أيضا أنى لم أشترك فى عملية البيع والشراء .. بل قامت جين بالمهمة وحدها .. بينما جعلت أتسكع فى المكان .

كما أن كيفية التشغيل تلقنتها الفتاة من صاحب المحل دون حضورى .

* * *

أخذنا كنزنا الصغير .. وذهبنا إلى فندقى حيث أخرجته جين من اللفافة .. فإذا هو عبارة عن جهاز إرسال على شكل قداحة سجائر .. وجهاز استقبال على شكل سماعة صغيرة .. تثبت فى الأذن بطريقة الكبس .. لا تختلف اطلاقا عن سماعة الأذن التى تباع مع راديو الترانزستور .. اللهم ألاّ أنها بدون سلك ..

ويوجد بكل جهاز بطارية دقيقة لتشغيله ..

واختبرنا الجهاز من على البعد والقرب .. وخرجت إلى الردهة .. وكلمت جين من مسافة عشرين مترا .. بعد أن أغلقت باب الغرفة .. فوجدنا الجهاز صالحاً تماما ..

ومن ثم تركتنى ..وأخذت منى بعض النقود لتشترى فستانا للسهرة .. على أن نلتقى فى العاشرة بفندقها ..

* * *

بعد أن غادرتنى ، تذكرت شيئا كنت أود أن أقوله لها .. فقررت أن أحتفظ به فى ذاكرتى إلى أن نلتقى لأقوله .. ولم يكن شيئا هاما .. بدليل أنى لا أتذكره الآن.

وقد قررت أن أقوله على نحوما .. ولكنى لما أعدت الجملة على نفسى وجدت إيقاعها لا يلفت الانتباه .. فعدلت من ألفاظها لتكون على نحو أفضل .

ولما كنت على بينه من طريقة تفكيرها إلى حد ما .. فقد توقعت أنها ستجيبنى بكلام ما .. ومن ثم سأعالجها بكلام ما .. فتندهش .. وقبل أن تلتقط أنفاسها أكون قد قلت لها شيئا ما .. فتضج بالضحك .. ثم تقول لى شيئاً ما .. ولن نلبث أن نتذكر سوياً ليلة الأمس .. ونسترجع أحداثها .

وإذ ذاك سحبت نفسى من الحوار .. وجعلت استرجع ما حدث بالأمس .

ولشدة عجبى وجدت أن الرغبة الجسدية لا أثر لها فى تفكيرى .. ولكن المتعة الحقيقية كانت فى عاطفة الحنان ونشوة الالتصاق .. فبالرغم من أننا كنا نائمين معظم الوقت إلا أن أحداً منا لم يترك الآخر ..بل ظللنا متشبثين ببعضنا البعض كما لو كنا نخشى أن نتوه وسط الزحام .

وبينما أنا سارح فى ذكريات الأمس إذا بى أتذكر شيئاً جديداً وددت أن أقوله لها حين نلتقى .. وتوقعت أن يكون ردُّها على نحو ما .. ومن ثم قلت لها شيئا آخر .. وظل الحوار دائر بينى وبينها لعدة ساعات إلى أن تبينت آخر الأمر أنى أكلم نفسى .

ومن ثم قفزت من الفراش .. وطلبتها بالتليفون فى فندقها فوجدتها قد عادت لتوها من السوق بعد أن اشترت فستان السهرة .. فقلت لها بأعلى صوتى :

- احضرى فوراً أو أحضر إليك ..

فقالت بخوف ماذا دهاك ..

- ماذا دهانى ؟ .. إن الحياة معك لا تطاق .. إنى فى حوار دائم معك .
- هل تظن أنى أفهم شيئا مما تقول .
- يا جين .. أرجوكى .. إنى لم أنقطع عن الحديث إليك منذ أن غادرتنى..
- يا صديقى لقد غادرتك منذ أربع ساعات .. فلربما كنت تحادث الدولاب أو الحائط .. أما أنا فلم أكن معك ..

- نعم أعلم ذلك .. ولكن ما الذى حدث لى ..

= حدث لك ما حدث لى ..

- ما هو ..

= سأخبرك حين أراك ..

- هل كنت تحادثينى فى غيابى أنت أيضا ؟؟

= لا .. فأنا لا زلت عاقلة ..

- وهل أصابنى الجنون ..

= لا ..

- إذن خبرينى .. أرجوكى ..

= قلت سأخبرك حين أراك ..

- هل السيارة معك أم معى ..

= معى

- إذن احضرى فوراً يا جين ..

= اسمع يا شريف ..خذ حماما .. وارتدى ملابسك واشغل نفسك قدر استطاعتك .. إلى أن أرتدى ملابسى وأحضر ..

- بل احضرى ملابسك .. وأفعلى ما شئت هنا ..

فهمست - يا حبيبى ..

وأقفلت التليفون فى وجهى ..

وظلّت الهمسة ترن فى أذنى .. وتتخبط أصداؤها فى أرجاء نفسى .. حتى خلت أنى إنسان مصنوع من الصاج الأجوف .. وبداخله كره بنج بنج .. لا يقر لها قرار .. بل تتخبط بجنون .. وفى كل مرة تخبط الصاج ترن كلمة واحدة فى مخى لا تتغير أبداً ..

يا حبيبى ..

ومن ثم فتحت المذياع عن آخره على موسيقى عنيفة ودخلت الحمام .. وملأت البانيو بالماء الساخن .. وتشاغلت بالليفة والصابونة وما إلى ذلك .. وضيَّعت من الوقت ما استطعت .

ثم خرجت من الماء وجففت نفسى .. وارتديت شيئا ما .. وخرجت إلى الموسيقى العنيفة .. وأنا لا أدرى كيف سأتخلص من الوقت حتى تحضر جين .

ولكن ما كدت أخطو خارجاً حتى وجدت الفتاة تتوسط الغرفة .. صامتة .. خالية اليدين .. وملابس السهرة ملقاة على الفراش ..

فوقفت انظر إليها غير مصدق ..

ووقفت تَنْظُرُ إليّ مقطبة ..

وظللنا على هذا النحو لا نتحرك .. كأنما نستعذب الآلام المحملة فوق الهواء الذى يفصل بيننا ..

وبعد فترة من الوقت .. ارتمينا فى أحضان بعضنا البعض فىعناق صامت .. ولم تلبث أن سألتنى هامسة .

= هل عرفت ما حدث لك ..

فهززت رأسى علامة الإيجاب .. دون أن أتفوه بحرف ..

وبعد هنيهة سألتها :

– وهل حدث لك نفس الشىء

ففعلت مثلما فعلت .

وأخذتُ أفكر قليلا .. ثم دفعتُها عنى بهدوء .. ونظرت فى عينيها ..

وقلت إذن لماذا لم يحدث لك ما حدث لى .. لماذا لم تكلمينى فى غيابى

– ربما سيحدث هذا قريبا ..

= إذن فأنت لا تحبينى بمثل العنف الذى أحبك به ..

– لا تكن أبلها .. إنى أحبك ..

فجلست على الفراش وقلت

– ولكن هل هذا ممكن .. هل من الممكن أن تقع فى الحب فى يومين ..

= إنى أشد منك حيرة ..

– أنت على دراية بالحب يا جين .. فلقد أحببت فيما مضى .. هل هو نفس الإحساس ..

فقالت : " بهدوء " أنا لا أكاد أذكر شيئا .. ولا أكاد أفهم شيئا .. فلو أن ما يجمعنا اليوم هو الحب .. أو شىء آخر .. فأيا كان هذا الشىء .. فهو شىء رائع ..

– شىء رائع ..أو شىء تافه لا تتركينى ثانية واحدة بعد ذلك يا جين ..

* * *

الفصل الحادى والعشرون

وضعت جين السمّاعة فى أذنها .. وغطتها بشعرها الأشقر ثم رحلت إلى الكازينو وحدها مع مروان ونايف .

وبعد ربع ساعة لحقت بها بسيارة أجرة .. وولجت الصالة اليمنى فلمحتها من بعيد تجلس إلى البار تحتسى كأسا .. فأخرجت لفافة وتظاهرت بأنى أشعلها بجهاز الإرسال .. وقلت لها :إنى سأسبقها إلى الصالة اليسرى .

فأومأت برأسها إيمائة خفيفة دون أن تلتفت إلى ..

وذهبت إلى الصالة اليسرى .. وجلست إلى مائدة بالمطعم فى مكان قريب من مائدة الروليت .

وبدأت أتابع اللعب فوجدت أنى قادر على معرفة النتائج مسبقًا من مكانى .

وما هى إلا دقائق حتى حضرت جين .. وتوجهت إلى مائدة الروليت .. ووقفت صامتة تنتظر تعليماتى .

ودارت العجلة

وومض الرقم الرابح فى ذهنى ..

فتلفتت يمنة ويسرة لاستوثق من أن أحدا لا يرانى .. ومن ثم همست لها به .. ولعبت .. وربحت ..

ومن ثم لففت الجهاز فى منديلى اللينو .. وأعدتهما إلى جيبى .. وتركتها تتصرف على هواها لثلاث أدوار تخسر فيها كما تشاء ..

وفى الدور الرابع وضعت المنديل على أنفى ولقنتها الرقم الرابح .. ثم نهضت عن المائدة إذ لمحت الساقى بسبيله إلى .. ولم أكن براغب فى أن أرتبط بمكان وّاحد .. وصرت أتجول بالصالة وأنا ألقنها الأرقام تباعا .... ولا أحد يعيرنى أى التفات .. فالمتسكعون بصالات اللعب ما أكثرهم ولا أحد يأبه لهم .

وبعد فترة شعرت برغبة فى أن أرى كيف تتصرف فاقتربت من المائدة .. وإذا بى أجدها تلعب بطريقة إجرامية فالرقم الذى أرسله إليها لا تكتفى باللعب عليه وحده بل تحيطه بالفيشات من كل جانب .

فهى تلعب على الأركان والأعمدة والألوان . وتربح فى الدور مالا يقل عن سبعين ضعفا .

ونظرت إلىٰ الفيش الموجودة أمامها .. فوجدت جبلاً من النقود ..

فابتعدت عن المائدة .. ونهرتها قائلا .. إنّ اللعب لا يكون بهذه الطريقة الجنونية .. بل يجب أن نخسر عدة أدوار متتالية .. وإني وان كنت ألقنها الأرقام تباعاً فإن هذا لا يعني أنها يجب أن تربح على طول الخط ونظرت إليها لأرى أثر كلامي فيها .. ولكنها لم تحرك ساكنا ..

فقلت إذا كنت استوعبت كلامي فأومئي برأسك .. فلم تأبه لي ..

ومن ثم قلتُ إذن سأغادر الكازينو فورا ..

وهنا أومأت برأسها دون أن تنظر حولها ..

* * *

واستمر اللعب نحو ساعتين .. وأنا في حالة من الذعر الدائم .. لا أكف عن التنقل من مكان لآخر .. وغامرت ببعض المبالغ البسيطة على مائدةٍ أخرى خسرتها كلها.

وأخيراً وقفت في مكان منعزل يسمح لي برؤياها .. وسألتها إن كان موقفها المالي مناسباً .. فأومأت برأسها .. فقلت إذن سأرحل الآن وأنتظرك في فندقك .. وانصرفت من فوري

* * *

جلست أنتظر ببهو الفندق .

ومرت الدقائق بطيئة مملة .. وأنا لا أفتأ أنظر إلى ساعتي .. وانصرفت نصف ساعة مليئة بالقلق تتقاذفني الأفكار .. فخلت أنها لا قت بعض المتاعب في الكازينو.. ثم خلت مروان ونايف وقد اعتدياعليها .. وأخذا منها المبالغ التي ربحتها من الكازينو ..

وأخيراً أتت ..

فسألتهابلهفة وحنق .. أين كنت طيلة هذا الوقت ..

فأخرجت من حافظتها ورقة صغيرة وقالت :

- كنت أنتظر إلى أن يحرروا لي هذا الشيك ..

فسألتها دون أن أنظر إليه

- كم ربحنا اليوم

فنظرت إليَّ بثبات دون أن تجيبيني .. فأمسكتها من ذراعها وقلت

- ردى على ..

فتلاعب على وجهها شبح ابتسامة ثم قالت :

- نحن لم نربح شيئا .. لقد سرقنا من الكازينو نحواً من مائة وعشرين ألف دولار ..

فقلت : هل جننت أيتها المرأة .. إننا لن نتمكن من العودة إلى هذا المكان بعد ذلك ..

فقالت : هذا أحسن خبر سمعته .. فكفانا سرقة ولنرحل قبل أن تتحول هذه القصة ، إلى قصة محزنة .

* * *

جلسنا فى صبيحة اليوم التالى بمقهى بشارع الحمراء .. وجعلنا نحصى أرباحنا. فوجدنا أن جملة ما حصلنا عليه هو مائة وسبعة وخمسون ألف دولار.. فسألتها كيف نقتسم هذا المبلغ ..

فتريثت قليلا ثم قالت :

- تأخذ أنت مائة ألف وآخذ أنا الباقى ..

فقلت : لا بأس ..

قالت : وماذا بعد ..

- بعد ماذا ..

= أين سنذهب ..

- إلى القاهرة

= القاهرة لماذا ؟ ؟

- لأنى أريد أن أذهب إلى القاهرة .. هل لديك مانع ..

= يا صديقى ليس لدى اعتراض على أى شىء القاهرة أو المكسيك .. كلاهما سواء .. إن المستقبل أصبح معك ..

* * *

ما وطأت أقدامنا أرض مطار القاهرة حتى توجهنا إلى الجمارك حيث أعلنت جين عن حيازتها لمبلغ المائة سبعة وخمسين ألف دولار ..

ثم غادرنا المطار وتوجهنا رأسا إلى الفندق " النيل هيلتون " حيث نزلنا بجناح فاخر يطل على النيل .

ووقفت جين مبهورة تطل علـى النهـر العظيـم وتتـأمل حركـة المـرور الرهيـب فوق كوبرى قصر النيل .

وقالت : ياإلهى .. لم أكن أتخيل أن بلدكم بمثل هذه العظمة ..

فقلت : تريثى إلى أن تشاهدى الشرابية والحلمية الجديدة ..

فقالت : الشرابية وماذا ..

قلت : لاعليك

قالت : ولكن خبرنى لماذا لم ننزل بمنزلك ..

قـلـت : لأنى لا أريد أن أرى مصيلحى وأنكل إبراهيم ..

قالت : مـاذا ؟ ؟

قـلـت : لا عـليك

قـالت : هل لاعليك .. هى مفردات اللغة الوحيدة التى تعرفها هنا

قـلت : ارفعى سماعة التليفون وأطلبى بعضاً من الفاكهة والمرطبات ..

فنظرت إلى على مضض .. ثم فعلتْ ..

* * *

كانت الساعة تناهز الثانية عشرة ظهر اليوم التالى حين دخلنا النادى

وقد أخذت جين برونق الزهـور وجمـال الأشـجار المشـذية .. ثم بلـغ إعجابهـا أقصاه حين وقع نظرها على حمام السباحة الكبير بمائه الأزرق الرقراق .

فقالت : هل نحن الآن فى الشرابية ..

قلت : لا تتعجلى الأمور سترى الشرابية فى الوقت المناسب .

فقالت : أريد أن أسبح ..

قلـت : وأنا كذلك ..

وما هى إلا فترة وجيزة حتى كنا نسير إلى جوار بعضنا بملابس الاسـتحمام .. هى بجسمها الوردى .. وأنا بجسمى الترابى ..

وتطلعت إلينا العيون بوقاحة .. تماما مثلما تطلعـت إلينـا حيـن كنـت أسـير مـع فخرى فى نفس هذا المكان منذ عدة أشهر خلت .

واستلقينا علـى النجيـل معرضيـن أجسـامنا لأشـعة الشـمس .. ومضـت نصـف سـاعة لم نكد نتبادل فيها شيئا من الحديث .. بل أخلد كل منا لأحلامه الوردية .. وكانت السعادة تملأ قلبى وتفيض عن حاجتى .. فإلى جانبى كانت ترقد المرأة التى

أحببتها حباً عنيفاً أبدياً .. وكنت أمتلك مالاً كثيراً وكنت أسبق الزمن بدقيقة غالية . وأنا حين أقول : إن حبى لجين حب أبدى .. فأنا لا أتشدق بألفاظ جوفاء .. ولكن أعنى ما أقول .. وسوف أحبها طول الحياة وسوف أحبها حتى لو كرهتنى أو تركتنى .. وارتعبت لفكرة أن تتركنى .. ولكنها قالت إن المستقبل أصبح معى وهذا يعنى أننا سنرتبط إلى الأبد .

ووددت لو ألمسها .. ففتحت عينى لأعّبر لها عن عواطفى الجياشة .. فإذا بى أجد شويكار .

وكانت صدمة عنيفة أفقدتنى توازنى .. فلو أنى كنت واقفاً لسقطت من فورى .

ولم تكن شويكار تجلس مكان جين .. ولكنّها كانت على مقعدها المفضل على بعد نحو عشرين مترا .. أما جين فكانت راقدة على منشفة على النجيل مغمضة العينين .

فحمدت الله أنها لم تر ما اعترانى .. والا لفطنت فوراً إلى أن هناك سرًّا يجمع بينى وبين شويكار .. سرًّا من جانب واحد كما هو الحال دائما .

وبغاية الهدوء قمت من مكانى .. وجلست فى الجانب الآخر بحيث تكون شويكار ورائى .

ونهضت جين مبتسمة .. فنظرت إليها مستفهما ..

فقالت : كنت أفكر فيك ..

فقلت : أنا أفكر فيك بلا انقطاع ..

قالت : اطلب لنا بعض المرطبات والشطائر ..

ففعلت ..

وبقينا فى النادى نحواً من ساعة .. وأنا حريص كل الحرص أن يكون ظهرى متّجهاً دائما نحو شويكار .

ولكن هذا يعنى أن جين حين كانت تنظر إلّى فإنها ترانى وترى شويكار فى آن واحد .

وقد لاحظتُ أنها تطيل النظر خلفى ..

ولكنى لم أعلق .. فهذا ليس من شأنى ..

وأتت المشروبات والشطائر .. وانتهينا منها وظهرى متّجه دائما نحو شويكار .

وحتى حين سرنا لننصرف .. فإن نظرى لم يقـع عليهـا إطلاقـا .. وطبيعـى أن جيـن رأت شـويكار بغايـة الوضـوح .. وحدّقت فيهـا جيـداً.. ولا أدرى إن كـانت شويكار قد حدقت فيها هى الأخرى .. أم لا ..

وخيل إلى أن هناك بعض علامات من عدم الارتياح على وجه جين إلا أنـه لَمْ يمكنْ الجزم بذلك .. فربما أكون مخطئا .

* * *

عندما عدنا إلى الفندق .. أبدتْ إعجابها بالنادى .. ورغبتها فـى أن نذهـب إلـى حمام السباحة يوميا .. طالما كنا بالقاهرة .. حتى يكتسـب جسـمها لونـا مـن أشـعة الشمس ..

فقلت : على رسلك .

* * *

وفى اليوم التالى ذهبنا .. وجلسنا فى نفس المكـان .. ورقـدت علـى ظهـرى.. واضعا منشفة فوق وجهى .. وأنا أمنى النفس بالا تحضر شويكار إلى النادى اليوم فقد أمضيت ليلة لا يعلم بها إلا الله .. فقد ظل الفكر يقفز من جين إلى شـويكار .. ومن شويكار إلى جين .. كقرد واقف على لوح من الثلج ..

ولم يكن فكراً واضحا .. فلم أكن أدرى فيما أفكر ..

ولكنه كان عبارة عن صور متلاحقة كإعلانات التليفزيون المزعجة ..

وبينما أنا كذلك إذا جين تقول

- ارفع هذه المنشفة من على وجهك ..

ففعلت ..

ونظرت إليها .. فاذا هى متكئة على ذراعها وتنظر إلى الماء ..

فقلت : مستفهما ماذا..

قالت : لاتتحرك الآن .. هناك فتاة لم ترفع نظرها عنّا منذ فترة .. تريث قليلاً ثم أجلس بهدوء .. ثم تلفت حولك بلا تعجل .. إنها إلى أقصى اليمين ..

- كيف تبدو

- إنها غاية فى الجمـال .. أغلب الظـن أنهـا صديقتـك .. لأن نظراتهـا إلـىّ لا تبعـث علـى الارتيـاح .. وقـد كـانت هنـا بالأمس..

فتريثت قليلا ثم اعتدلت .. فإذا شويكار ترنو إلينا ..

وإذا رجفة تعتريني .. فقد كانت المرّةَ الأولى التى تلتقى فيها عينى بعينى شويكار ..

ولحظتْ جين رجفتي .. فقالت : : بسخرية ..

- ماذا .. هل لازلت تحبها ..

فقلت : إنى لا أعرفها .. وهى لا تعرفنى ..

فقالت : وهل من عادتك أن تنتفض من تلقاء نفسك .

فنظرت إليها فإذا وجهها قد تغير لونه وبدت عليها ملامح الشراسة ثم قالت :

- . ألم تقل فى لبنان .. إنك لم تكن على علاقة بأى امرأه فى أى وقت من الأوقات .

فقلت : صدقينى ياجين أنى لا أعرفها ..

فقالت : اصمت إنى ذاهبة

وتبعت كلامها بأن نهضت .. فقفزت وأمسكتُها من ذراعها وأجلستُها عُنْوَة قائلا

- ذاهبة إلى أين ..

- إلى المكان الذى يروقنى ..

قلت : هدئى من روعك .. وانصتى إلى .. إن هذه الفتاة كنت أراها فى النادى .. وكانت تروقنى فيما مضى .. دون أن أتبادل معها كلمة .. ولكن ظهورك على مسرح حياتى طمس صورتها إلى الأبد ..

قالت : إذا كان كلامك صحيحا .. فأرجو أن تعلم أنى لا أحب أن أستنشق الهواء الذى تستنشقه هذه العاهرة .

فقلت: إنها ليست عاهرة ..

فقالت : بتمروكيف عرفت

قلت : جين .. لاداعى أن تكونى بمثل هذا العنف .. وليس من المعقول أن نفسد حياتنا بأيدينا لمجرد نظرة من فتاة لا علاقة لنا بها .

فقالت : " بهدوء مفاجئ " هل يضايقك أن نرحل ؟؟

قلت : وأنا أهم بالنهوض - إطلاقا ..

فقالت : صبراً .. أنا لم أقصد أن نرحل من النادى .. إن سؤالى هو هل يضايقك أن نرحل من مصر ..

فعدت للجلوس وسألت بذهول

- من مصر ؟

= نعم من مصر .. هل لديك مانع .؟

قلت : ولكننا لم نكد نصل مصر ..

قالت : هل نرحل سويًا أو أرحل وحدى ..

قالت : ولم كل هذا ..

قالت : سأخبرك فى الطائرة .

- الطائرة إلى أين

- هذا لايهم الآن .. هل ستأتى أم أرحل وحدى ..

فقلت : مغلوباً على أمرى ..

- بل سنرحل سويا ..

وحانت منى نظرة خاطفة نحو شويكار .. فوجدتها تنظر إلينا بصفاقة .. وعلى وجهها ما يشبه الابتسامة .. كأنما تدرك ماحدث وتطرب له .

* * *

أصرمنا صباح اليوم التالى فى استخراج تأشيرة دخولى إلى الولايات المتحدة .. وشراء تذاكر السفر ..

ولما عرضت عليها أن أريها معالم القاهرة ..

قالت : بل سنبقى هنا فى الفندق .. ولن نغادره إلا إلى المطار بعد باكر .

فلما سألتها عن السبب قالت : سأشرح لك فى الطائرة .. فصمتُّ على مضض ثم سألت ..

- وماذا عن مصيلحى وعم إبراهيم ..

فقالت : من هنا ..

- أصدقائى ..

= نمرّ عليهما فى الطريق إلى المطار .

* * *

أمضينا المدة المتبقية لنا فى القاهرة ونحن على غير ما يرام .. فقد كنا نجلس فى الشرفة وكأنما على رءوسنا الطير ..

وقد حاولت أن استدرجها إلى الحديث مرة أو مرتين .. ولكنّها كانت دائما تقول فى الطائرة ستعرف كل شىء .. فأصْمُتُ على مضض .. وقد كنت أحاول أن أتناسى الأمر وأتصرف بطريقة طبيعية .. ولكن كان هناك دائما سر مؤجل لا أعرف عنه شىء .

وفى صبيحة يوم السفر أخذنا حاجاتنا .. واستقللنا .. سيارة أجرة .. وتوجهنا إلى دكان الطرابيش .. حيث وجدت عم إبراهيم جالساً على الرصيف وبيده منشه ..

وما أن رآنى حتى أخذ يبربش غير مصدق لما يرى ثم تهللت أساريره على غير عادته .. ثم نهض واحتوانى بذراعيه قائلاً

- أنت كنت فين يابنى .. بقالى خمستاشر عشرين يوم ما شفتكش .. ومصيلحى قال لى إنك فى بلاد برة ..

قلت : أيوه يا عم إبراهيم .. أنا كنت مسافر .. ومسافر تانى دلوقت ..

قال : يا حلاوه .. أيه الفتاكه دى .. كنت مسافر وحسافر تانى ... والله عشنا وشفنا .. ومين القمُوره دى .. مش برضه بنت خالتك بتاعة هولانده ..ما تقول لها تجيب لنا علبتين سمنة ..

ولم أضع وقتا فى الكلام .. بل وضعت يدى فى جيبى وأخرجت رزمة ضخمة من الأوراق المالية ...

وقلت : له ياعم إبراهيم .. أنا مش عارف حارجع امتى ..

ودول قرشين خذ نصهم وأعطى النص التانى لمصيلحى ..

وإذا آخر علامات التبلد تنطبع على وجه الرجل فغادرته قبل أن يفيق مما هو فيه ..

وبعد أن تحركت السيارة .. نظرت من زجاجها الخلفى فوجدته كما هو ممسكا برزمة الأوراق المالية يحملق فيها كأنما لا يدرى من أين أتت ..

* * *

ما أن جلست على مقعد الدرجة الأولى الفاخر .. حتى استدرت نحو جين وسألتها :

- ما الأمر ؟

فقال : وابتسامة النصر تتلاعب على شفتيها وعينيها :

- انتظر .. فإن الطائرة لم تقلع بعد

فاستدرت بحنق .. وجعلت أحدق من النافذة ..

وبعد نحو عشر دقائق أقلعت الطائرة .. فنظرت إليها

وقلت : والآن ..

قال : والآن .. انصت إلى جيداً ..

إن هذه الفتاة التى رأيناها فى النادى أقوى منى .. بل هى أقوى فتاة رأيتها حتى اليوم .. وحقيقة أنها لم تكن تعرفك .. وربما لم تقع عيناها عليك من قبل .. ولكنّك معجب بها .. أو كما تقول كنت مُعجَباً بها .. وموقفك اليوم أصبح غاية فى الخطورة .. فأنت يمكنك أن تبهرها بعشرين أو ثلاثين ألف دولار .. كما يمكنك أن تمتلكها بمثل هذا المبلغ.

والمال موجود تحت يدك .. وهو مال سهل .. وسوف يأتيك مال جديد.. وإذْ ذاك سوف تصبح شخصاًخطراً .. وأنا لا أرغب فى الدخول فى منافسة من أى نوع ..

وطبيعى أن أى امراه أخرى غيرى .. لن تتكلم مثلما تكلمت .. ولن تقبل أن تعترف حتى فى دخيلتها بأن هناك أمرأة أحسن منها .. لاسيما وأنى لست عرجاء أو عوراء ..

ولكن الحقيقة هى أن عندى الشجاعة الكافية لأن أعترف بأن هذه الفتاة أقوى منى .. وأن المنافسة معها ليست مأمونة العاقبة .. كما أنى أريد أن أستمتع بك .. لا أن أدخل فى حرب .. و ..

فقاطعتها قائلا ولكنى أحبك يا جين ..

فقالت : أعلم ذلك .. كما أعلم أن هذه الفتاة لم تلحظك من قبل .. ولكن وجودى معك أثار انتباهها اليك .. ولربما استملحت أن تخطفك منى..

فهممت بأن أفتح فمى معترضا .. ولكنها أشارت إلى بأصبعها قائلة :

اصمت .. هل تعرف ما هو أخطر شيء .. أن أخطر شيء هو الذى أفعله الآن .. لقد فجرت فيك مكامن الرغبة فى هذه الفتاة ان لم تكن موجودة أصلا .. وجعلت وجهتك التلقائية إليها إذا تشاجرنا .. أو حدث أى شيء .. ولكنى مازلت أقول : عندى الشجاعة الكافية لأن أعترف بكل ذلك لأنى خطفتك وانتهى الأمر .

قلت : ولكن مصر وطنى .. وسوف أعود إليها يوما .

قالت : أنت مقامر محترف .. والمقامر لا وطن له ..

قلت : فليكن .. ولكنك بالغت فى تقدير البضاعة ..

قالت : تقصد الفتاة ..

قلت : بل أقصد نفسى .. فأنا لست وسيما أو رشيقا .. بل أنا واحد من الذين يذرعون الأرض دون أن يلحظهم أحد ..

فقالت : ربما كان هذا فى الماضى .. أما اليوم فأنت شيء آخر وسوف ترى .

* * *

الفصل الثانى والعشرون

هبطت الطائرة مطار شارل ديجول بباريس .. حيث استبدلناها بطائرة الجامبو الضخمة ..

وما أن احتضننى مقعد الدرجة الأولى الفاخر أيضا .. حتى نهضت لألقى نظرة على التعساء الذين يعبرون المحيط على مقاعد الدرجة الثانية البسيطة .. وترحمت على نفسى حين كنت أركب الديزل من القاهرة إلى الإسكندرية بالدرجة الثانية .. وكيف أنى لم أجرؤ يوماً على أن أرحل بالدرجة الأولى .

ويوما سألنى – فيما بعد – سائح أمريكى يرغب فى زيارة مصر .. ما هى أنسب الوسائل للسفر من القاهرة إلى الإسكندرية ..

فقلت له بالقطار .. أو الديزل ..

فأبدى دهشته وقال : : هل تركبون الديزل فى مصر .

فقلت : وماذا فى ذلك ...

فقال : الديزل سائل من مشتقات الجاز .. فهل تسافرون على سفينة .. تسير على بحر من الجاز ..

فقلت : بخجل حين قلت : الديزل كنت أقصد قطار يسير بالديزل .

فقال : فهمت الآن .. فأنت تقصد بالديزل أى القطار الذى يسير بالديزل .. والقطار .. هو القطار الذى يسير بالكهرباء .. أليس هذا ما أردت أن تقول..

ففكرتُ قليلا وسرح فكرى فى القطار الذى يعج بالقفف والسلال و" البقج" و" الزنابيل " وشنط الكرتون .. ودورات المياه التى ليس بها مياه ..

ثم قلت : هو كذلك قطار بالكهرباء .. وآخر بالديزل .

* * *

بعد أن قطعنا من الرحلة نحو ثلاث ساعات سألت جين متى تصل نيويورك..

فقالت : نيويورك .. من قال : أننا سنذهب إلى نيويورك ..

قلت : " بتعجب " ألا تهبط جميع الطائرات فى نيويورك ..

قالت : بعضها فقط .. ولكن هذه الطائرة ستهبط فى لوس أنجيلوس ..

فقلت : يا إلهى .. إن لوس أنجيليوس تقع على الجانب الغربى من أمريكا .. فهل سنقطع المحيط الأطلسى ثم قارة أمريكا بالكامل فى رحلة واحدة .

قالت : نعم ..

قلت : وكم سنمكث فى هذه الطائرة اللعينة ..

قالت : عشر ساعات ..

فقلت : يا للهول ...

قالت : لا داعى للهول .. ألا فلتعلم أننا حين نصل لاس انجيلوس سوف نمكث ساعتين فى المطار ثم نأخذ طائرة إلى لاس فيجاس .

قلت : ماهذا التخريف .. وما لاس فيجاس هذه ..

قالت : إنها مدينة القمار .

قلت : ألا توجد أندية للقمار فى أمريكا .

قالت : القمار محرم فى أمريكا ما عدا ثلاث مدن .. ولاس فيجاس أحدها

قلت : وهل سنقطع نصف الكرة الأرضية من أجل القمار ..

قالت : طبعا .. فان هناك ثروة تنتظرنا

قلت : ألا تكفينا الثروة التى نحتكم عليها الآن ..

قالت : انس الموضوع .. وانتظر حتى ترى بعينيك ..

* * *

وصلنا مدينة لاس فيجاس ..

وكنت قبل ذلك قد أعلنت للجوازات فى مطار لوس أنجيلوس الدولى حيازتى لمبلغ مائة وخمسون ألف دولار .. لسببين .. الأول لأن هذا هو القانون الأمريكى .. فأنت يمكنك أن تدخل أمريكا ومعك أى مبلغ من المال بشرط أن تعلن عنه لو كان وصل خمسة ألاف دولار .. وقد رفعوا هذا الحد إلى عشرة آلاف دولار فيما بعد

والثانى .. لأن أصحاب نوادى القمار سوف يستعلمون عنى لو أنى ربحت .. فهم يكرهوا المتسولين والصيادين فى الماء العكر .

كنت أقول أننا وصلنا لاس فيجاس .. وقبل أن نخرج من المطار توجهنا إلى أحد مكاتب استئجار السيارات حيث أخذنا سيارة كاديلاك خضراء تحمل لوحات معدنية باسم " نيفادا " نسبة لأسم الولاية التى تقع بها المدينة ..

وكانت الساعة تناهز الثامنة مساء .. وأنا فى النزع الأخير من شدة الإرهاق..وجين على عجلة القيادة بكامل صحتها ..

وانسابت بنا السيارة ضمن رتل السيارات الخارجة من المطار .. وانحرفنا عدة مرات الى اليسار الى أن بلغنا الطريق العام .. وهنا اتسع الشارع ليستوعب ثمانى سيارات عرضا .. أربعة ذهاباً وأخرى ايابا ..

والطريق مضاء بمصابيح قوية .. ولكنها إضاءة عادية حتى بلغنا تقاطعا .. عليه لافتة وسهم تشير إلى طريق تروبيكانا .. فانحرفنا يسارا وسرنا فى هذا الطريق إلى أن فاجأتنى نافورة هائلة من الأضواء تخطف البصر بألوانها الزاهية..

فقلت : مبهوراً ما هذا

قالت : هذا كازينو تروبيكانا ..

وسرنا الهوينا إلى أن بلغنا نافورة الضوء .. ثم انحرفنا يمينا فإذا نحن فى الشارع الرئيسى .. وإذا الليل ينقلب إلى النهار ساطع الضياء .. وما هذه النافورة

إلا واحدة من نهر الأضواء الملونة المتقافزة المجنونة التي ترتفع من الأرض حتى عنان السماء .

وطار النوم .. وطار التعب .. وأنا أرى هذه الدنيا الجديدة التى تضيئها ملايين اللمبات .. وما من بينها لمبة واحدة محروقة .

وهذه الأضواء المبهرة تعلن عن وجود كازينو فهذا علاء الدين .. وذاك قيصر وميراج وفلامجو كابرى وستار دست وسادندز ومترو جولدن ماير والليدو والطائر الفضى ... وبربرى كوست والهيلتون ولاند مارك وعشرات من دور اللهو ..

وذهبنا إلى الجراند هوتيل أو م . ج . م .. وهالنى ما رأيت من اتساع مكان انتظار السيارات .. فهو يماثل فى الاتساع المسافة ما بين ميدان الأوبرا وسينما مترو بالقاهرة .

فقلت (مشدوها) ما هذا

فقالت : مكان السيارات ..

فقلت : إنى أتكلم عن الحجم ...

فقالت : جميع الفنادق والملاهى تحيطها أمكنة لانتظار السيارات فى مثل هذا الحجم .. وانفض عن ذهنك كل ما رأيت من قبل .. فنحن هنا فى أمريكا وكل شيء كبير حتى البنى آدمين..

وترجلنا .. وتوجهنا إلى بهو الفندق فإذا هذا البهو فى حجم ملعب كرة القدم.. ولكنه ملعب مغطى بسجادة تغطس فيها الأقدام كما كان الحال فى لبنان.

ولم يكن ملعبا مهجورا .. ولكنْ به آلاف من ماكينات اللعب الشيطانية وعشرات من موائد القمار المتباينة .. وخلق من البشر لا أول لها ولا آخر..

وكيما تذهب إلى منطقة المصاعد التى تأخذك إلى غرفتك يجب أن تمر وسط هذه المظاهر الرهيبة من الإغراء للعب .. ولكن دون ما عناء أو مزاحمة .. فالمكان به آلاف الأشياء والأشخاص ولكنك تمر فى سهولة ويسر..

كيف.. لست أدرى

أما صوت الموسيقى الهادئة الذى يصلك من كل فج .. فيعلو عليه صوت النقود التى تتساقط من الماكينات كالشلالات ..

وهى الأصوات التى تدعوك أن تذهب إليها كى تضاعف ثروتك ..

ولم أتمالك نفسي .. فوقفت لألقى بعملة فى إحدى الماكينات ولكن جين جذبتني من ذراعى وقالت :

- صبراً .. ليس الآن .. إن مدخل الفندق مصمم على هذا النحو .. فأنت مجبر فى دخولك وخروجك أن تمر على هذه الصالة .. حتى تهب الفندق فى كل غدوة وروحه عدة دولارات ..

وكثير من النزلاء يكون قاصداً الشارع فلا يبلغه أبداً .. لأنه يظل يتنقل بين صنوف اللهو إلى أن يبلغ منه التعب فيعود إلى غرفته .

وكثير من النزلاء يكون عائداً إلى غرفته فلا يصلها إلا بعد ساعتين أوثلاث.

* * *

ذهبنا إلى مكتب الاستقبال .. وأخذنا جناحا حيث لم يكن هناك غرف خالية .. وقالت : لى موظفة الفندق وهى تبتسم وتغمز بعينيها .. إنه جناح شهر العسل .. وقد اكتشفت بعد ذلك إنه جناح مزعج جداً لسببين :

أولها : لأن به فراش مستدير .. وأنا أكره الفراش المستديرٓ لأن ليس له حافة ..

والسبب الثانى أنه توجد به مرآة فى السقف .. ومعنى ذلك أننى عندما أنام أجد صورتى تتطلع إلى .. فيخيل إلى أن هناك عفريتاً فى الغرفة .

وقد استبدلناه فى اليوم التالى بجناح عادى .. قصارى القول .. ما أن بلغنا غرفتنا حتى خلعت ملابسى .. وأخذت حماما .. وخرجت لأجد جين قد راحت فى سبات عميق .. فتريثت قليلا ثم دسست نفسى تحت الغطاء وأغلقت عينى .. وبدأ الفكر ينساب كيفما اتفق كفراشة تتهادى فى حقل ساكن .. ورويداً رويداً بدأت انتقل من عالم الواقع لاستقر أخيرا فى قاع الندم ...

وهذه العبارة لا تعنى أكثر من أنى قد أخلدت إلى النعاس .. وهذه الجملة من شدة ولعى بها كتبتها فى الصفحة الأولى من هذا الكتاب يوم أن ضاعت ساعتى التى لا أعرف حتى اليوم أين ذهبت .

يا إلهى .. أين ذهبت هذه الساعة .. لقد قلبت عليها الدنيا .. وفتشت منزلى شبراً شبراً .. دون أن أعثر عليها .

والذى تضيع ساعته يصبح غير خاضع لقانون الزمن .. ولقد سبقت الزمن بدقيقة .. ولقد سألت الأستاذ مندور إذا كان هناك شخص يسبق الزمن بدقيقة ماذا

يفعل بها .. فقال : " يبلها ويشـــرب ميتهـا " .. وقـد قلت : حين ذلك صدقت يا أستاذ ..

وقد كنت أظن أنى سـأبلها وأشـرب ميتها .. ولكـن الأيـام مـرت فـاذا الدقيقـة كنز .. والإنسان الـذى يسبق الزمن بدقيقـة هـو إنسـان خـارق .. لقد تبـدل حـالى فأصبحت خارقا .. بعد أن كنت غلبانا مفككا .. متلعثما ..

لقد حزنت حين ضاعت ساعتى .. أمـا اليـوم فإنهـا لكارثـة لـو أنـى وجدتهـا .. ترى .. هل تضيع الدقيقة منى لو أنى وجدتها ...

لقد سبقت الزمن حين ضاعت الساعة .. فهل أعود لحـالى لـو أنـى وجدتهـا.. ربما ...

إن هذه الساعة اللعينة يجب أن تظل مختفيةً إلى الأبد ..

والمكان الذى ضاعت فيه يجب ألا تطأه قدمى بعد ذلك ..

وإذا عدت إلى القاهرة يوماً .. فلا بدّ وأن أبيع منزلى حتى لا يكون هناك أدنـى احتمال لأن تجمعنى الأيام بهذه الساعة مرة أخرى ..

صحونا بعد ظهر اليوم التالى .. وتناولنا إفطارنا مـن البيـض والزبـد والمربـى والخبز المقدد والشاى والقهوة .. وارتدينا ملابسنا وهبطنا صالة القمار ...

وسألت جين عن أية روليت تختار ..

فقالت : .. بل سنخرج لنتنزه قليـلا .. ومـن ثـمّ أخذنـا السيارة .. وانطلقنـا فـى شوارع المدينة .. وحركة المرور تمر فـى يسـر وهـدوء .. فالعـالم فـى حالـة مـن الاسترخاء .. وليس هناك من هو فى عجلة من أمره ..

ولاس فيجاس هى أعجب مدينة فى العالم .. فقد كنـت أسـمع عـن أمريكـا أنهـا الدوله التى لا يمكنك أن تسير فى شـوارعها ومعـك أكـثر مـن عشـرة دولارات .. لأن اللصوص وقطاع الطرق بها أكثر من الهم على القلب ..

ولكن لاس فيجاس – وهذا ما رأيته بعينى رأسى .. هى مدينة السـلام والمتعـة والأمان ..

لماذا ؟

لأن هذه المدينة لا تحكمها الحكومة .. ولكن يحكمها عصابات المافيا ..

ولا يمكن لحرامى .. أن يمارس نشاطه فى مدينة يحكمها الحرامية ولقد رأيـت فتيات يسرن فى الشوارع فى الهزيع الأخير من الليل دون أن يتعرض لهن أحد ..

ورأيت أناسا يخرجون من جيوبهم رزماً من أوراق النقد تصل إلى عشرات الألوف ليدفعوا حسابا .. أو يشتروا شيئا .. دون أن يفكر أحد فى الاعتداء عليهم أو سرقتهم ..

وإذا كنت تسمع صفارة البوليس والإسعاف مرة كل ٣ ثوان فى نيويورك .. فأنت لاتكاد تسمعها فى لاس فيجاس ..

أما الأعجب من ذلك .. فهو أن أحداً لا يعمل فى هذه المدينة .. اللهم إلا موظفى الفنادق ودور اللهو .. بمعنى أنك لا تجد فى أى وقت من الأوقات شخصا تسأله عن وجهته .. فيقول لك إنه ذاهب إلى عمله .

ولكن هذه الأفواج المتلاطمة من البشر تغدو وتروح بحثاً عن التسلية والمرح .

ولما كانت المدينة مستعدة استعدادا تاما للترفيه عن الزوار خلال الأربع وعشرين ساعة .. فقد انتهت علاقة الأيام بتتابع الليل والنهار ..

بمعنى أنه ليس من الضرورى أن تذهب إلى فراشك فى الليل حتى تصحو نشيطا فى الصباح .. ولكنك تذهب إلى الفراش حين تصبح فى أشد الحاجة إليه .

فقد تبدأ نومك فى العاشرة صباحا .. وتستغرق فيه ست ساعات .. ثم تبدأ حياتك بعد الظهر بتناول طعام الإفطار وإذا أصابك الأرق يوماً فى الخامسة صباحا .. فما عليك إلا أن ترتدى ملابسك وتدخل أى مكان لتجد الخلق غاية فى الأناقة والانتعاش كما لو كنا فى منتصف النهار ..

ومن المناظر المألوفة أن تدخل المطعم الواحد فتجد فيه من يتناول إفطاره ومن يتناول عشائه على المائدة المجاورة كلّ يحيا فى الزمن الخاص به .. وكل يحيا طبقا للساعة التى بدأ بها يومه ..

وأنت حر فى أن تبدأ يومك فى الوقت الذى يتراءى لك .. وحر فى أن توصل الأيام ببعضها .. ولكنك لست حراً فى أن تنظر إلى الشمس .. فالشمس لا علاقة لها بالأيام فى هذه المدينة وضوء الليل مثل ضوء النهار .

ولاس فيجاس ليست مدينة قمار فقط .. ولكنها مدينة لهو .. واللهو يعنى الاستعراضات الفنية المبهرة ..

ولما كانتْ فرنسا من أعظم دول العالم فى فن الاستعراض .. ولما كانت أمريكا هى أغنى دول العالم .. فقد أنفقت أموالا طائلة حتى تتفوق على فرنسا .. وقد تفوقت فعلا .. حتى أصبحت فرنسا غلبانة إلى جوار أمريكا .. كمثل غلبى إلى جوار شويكار فيما مضى ..

أما مسارح نيويورك ولندن فهى لاتقارن إطلاقا ..

وخير لها أن تغلق ..

أما الطعام داخل صالات القمار .. فهو أرخص طعام فى العالم .. فالبوفيه المفتوح المؤلف من لحوم وطيور وأسماك وجنبرى وسلاطات وفواكه وحلويات بثلاث دولارات .. وقد غيرتْ إدارات الفنادق رأيها فيما بعد فجعلتــه بثلاثة إلا ربع .

* * *

انطلقنا فى شوارع المدينة إلى أن بلغنا صالة قيصر بالاس وجعلنا نتسكع فى المكان البالغ حد الاتساع .. ونتأمل الثريات الفخمة المتدلّية من السقف .. إلى أن بلغنا البار حيث طلبنا قدحين من الصودا .. ثم قالت : جين :

- حقيقة أن المكان يعّج بالخلق .. ولكن يجب أن تعلم أن العين تظل غافلة عنك طالما كنت تفقد نقودك أو تربح مبالغ بسيطة .. ولكن ما أن تبدأ فى الربح الحقيقى حتى تصبح صورتك على شاشات التليفزيون فى غرفة مغلقة .. ويجلس أمامها محللون متخصصون ليرصدوا كل حركة تقوم بها وليكشفوا ألعابك إن لم تكن مقامرة بحته .

وضحكت ثم قالت : وبهذه المناسبة .. كن أنيقا فى حركاتك .. فلا تضع أصابعك فى أذنك أو أنفك .. ولا تهرش تحت أبطك.. فعشرات العيون سوف تنظر إليك طوال الوقت ..

قلت : إذا كان الأمر كذلك .. إذن دعينا نربح مبالغ قليلة من نوادى كثيرة .

قالت : إطلاقا .. إن معى فى هذه الحقيبة المائة وخمسين ألف دولار .. وسوف نبرزها بالكامل .. حتى يعلم الكازينو أننا لسنا شحاذين أو صيادين فى الماء العكر .. وسوف نلعب ألعابا كلها كبيرة .. حتى تكون الخسائر والأرباح كبيرة ..

ثم تريثت هنيهة ثم قالت :

- المهم الآن .. أنا أعلم أننا سنربح .. ولكن المهم الآن .. هل أنت واثق من أن المراقبين لن يتوصلوا إلى معرفة الطريقة التى تعرف بها الأرقام الرابحة .. حقيقة أننى لم أتوصل إليها .. ولكن هؤلاء القوم أشد منىّ حذقا ..

فكر قبل أن تجيبنى .. لأنهم لو عرفوا الطريقة .. فسوف تكون نهايتنا مهنية للغاية .. فأنت ستقف حينئذٍ ضد المافيا ..

ففكرت قليلا ثم قلت : أنت تعلمين أننى أعرف النتائج بنسبة ٣٠٪

فقاطعتنى كفاك كذبا .. أنت تعرف بنسبة ١٠٠٪ .. والآن أجب سؤالى ..

فأجبت بتأن لا يا جين .. إن أحداً لن يعرف الطريقة .. وأعتقد .. أعتقد أنه قد آن الآوان لأطلعك على السر .. أذ أنه ليس من اللائق .

فقاطعتنى إياك أن تطلعنى على السر .. لأنى سأعترف تحت ضغط التعذيب إذا وصلت الأمور من السوء إلى هذا الحد .. ولكن إذا ظللت جاهلة .. فلن يكون لدى ما أعترف به .

قلت : إذن ما هى الخطة .؟

قالت : سنربح كثيراً اليوم .. ربّما مائة وخمسون ألف دولار .. ونخسر نصفها باكر .. ثم نربح بعد باكر .. وهكذا .. نخسر يوم ونربح يوم إلى أن تصل حصيلتنا نصف مليون دولار .. ثم نغادر المدينة ونقودنا على الملأ .. وسوف ترى علامات الترحيب والاحترام والإعجاب على كل الوجوه .. لماذا .. لأنّ المافيا تحبّ الشخص الرابح .. لأنه دائما يعود إلى لاس فيجاس ليعيد إليهم أموالهم .. وفوقها مال جديد ..

هل تعرف أوّل شيء سوف تفعله إدارة فندق الجراند أوتيل ..

- ماذا ..

- سوف ترفض أن تقاضينا ثمن الإقامة والطعام والشراب .. وسوف تعطينا استضافة مجانية مدى الحياة فى فندقهم ..

* * *

أمضينا فى لاس فيجاس عشرة أيام .. وخرجنا منها ومعنا شيك مصرفى بأكثر مما توقعت جين .. ثم رحلنا إلى سان فرنسسكو حيث أودعنا نقودنا فى بنك أوف أمريكا فى حساب مشترك يسمح لأى منا بالسحب دون توقيع الآخر ..

وسان فرانسسكو مدينة جميلة حقاً وأمريكا تعتز بها وتقول عنها أجمل مدينة فى العالم .. وبالرغم من شهرتها .. فأنا أسمع عنها كما أسمع عن نيويورك .. إلا أنى وجدت شوارعها خالية اللهم إلا فى ساعات الذهاب والعودة من العمل .. فلما سألت عن السبب عرفت أن تعدادها هو ستمائة ألف نسمة .. أى ثلاث شوارع فى شبرا ..

ووددت لو أخذت معى واحداً من سكان هذه المدينة وتركته فى شارع الجلاء حتى يرى جميع وسائل المواصلات التى عرفها العالم .. ماعدا البواخر .

* * *

بعد أن أمضينا ثلاثة أيام بفندق هايات ريجنسي .. وهو ربما يكون أغرب فندق فى فن العماره فى العالم .. إذا بجين تقول :

- يجب أن نرحل

قلت : الى أين ..

قالت : إلى لاس فيجاس ..

فقلت : هل جننت .. لقد نفدنا بجلدنا من هذه المدينة اللعينة ..

قالت : بل يجب أن تذهب لنضرب ضربةً أخرى فى ليلتين .. ثم نرحل عنها إلى الأبد ..

فحاولت أن أثنيها عن عزمها بشتى الطرق .. ولكنى لم أفلح .. ومن ثم ذهبنا.. ونزلنا بنفس الفندق ..

ولما كان المساء قلت : لها :

- لقد وافقتك على الحضور .. ولكنى سأخرج وحدى ..

فقالت : بتنمّر لماذا ..

قلت : لأنى خائفة .. وهذه مغامرتنا الأخيرة .. ولا أودّ أن يراك أحد .. حتى لا تتعرضى فى المستقبل لأىّ خطر .. فأخذت " تبرطم " كالخدامين .. ثم قالت : .. وماذا أفعل ..

قلت : خذى بعض النقود لتتسلى بها .. أو أبقى فى الغرفة أمام التليفزيون .. فلن أتأخر كثيراً ..

فوافقت على مضضٍ ..

ثم نزلت وتوجهت إلى الهيلتون حيث مكثت به عدة ساعات .. وبينما كنت مستغرقا فى اللعب .. إذا بى أسمع شخصا يقول لأخر :

والأمريكان دائما يتكلمون بصوت عال ..

- هل سمعت بالحريق ..

= أى حريق

- إن فندق متروجولدن ماير يحترق ..

فوقف شعر رأسى وسألت الرجل ..

- ماذا تقول ..

قال : لقد شب الحريق منذ دقائق بفندق م. ج. م.

فقفزت من على مقعدى وعدوت خارجا .. وأخذت السيارة وطرت إلى الفندق .. وما أن اقتربت منه حتى وجدت سيارات البوليس تسد الطريق ..

فقفزت من السيارة تاركا إياها في وسط الشارع ..

وعدوت بأقصى سرعتى قاصداً الفندق .. ولكن إذا بكردون من رجال البوليس تسد الطريق .. وسيارات الإطفاء بالعشرات .. تسلط خراطيم المياه على صالة الفندق .. والجو به غمامة كثيفة .. لم أدرِ إن كان من الدخان أو من رذاذ الماء وحاولت إن أخترق نطاق رجال البوليس .. صارخا فى أحدهم إن زوجتى بالداخل.

ولكنه صدنى بحزم .. دون أن يتفوه بحرف ..

وكان سيل البشر يخرجون من الفندق كالنهر .. وهم يصرخون ويدوسون بعضهم بعضا ..

أما خارج نطاق البوليس فقد خرجت المدينة عن بكرة أبيها .. واختلط الحابل بالنابل ..

ولم أكن أدرى إن كانت جين بالداخل أم بالخارج .. فطفت أتدافع بمنكبى وسط الخلق باحثا عنها .. ولكنها كانت محاولة عديمة الجدوى ..

فجلست على الأرض أنظر إلى ألسنة النيران وألسنة المياه وهى تتصارع وقررت أن أبقى فى مكان واحد علّ جين تعثر علىّ ..

وظللت على هذا النحو إلى أن أنصرم الليل .. وأتى الفجر .. ومع أولى نسمات الصباح أنطفأت النار .. وبدأ رجال الإسعاف والمطافى يدخلون ويخرجون حاملين نقال :ات عليها مصابين وموتى ..

وطفت أتنقل بين هؤلاء كالمجنون .. دون أن أعثر لجين على أثر .. وقد كنت أعلل النفس دائما بأنها تبحث عنى هى الأخرى .. ولكن الزحام كان يحول دون إيجاد أحدنا الآخر ..

ولما كانت الساعة العاشرة صباحا بلغ منى اليأس أقصاه فذهبت إلى المستشفى أبحث عنها ..

ولكن أحد لم يسعفنى .. فقد كان الكل فى حالة انشغال تام .. وفى الظهر أُعلنتْ أسماءُ المَوتى .. وكانت جين من بينهم .

* * *

الفصل الثالث والعشرون

ذهبت إلى فندق صغير فى أطراف المدينة .. ودخلت غرفتى وارتميت على الفراش بملابسى .. وأنا أحوج ما أن أبقى فى عزلة عن العالم .. وأخذت أسترجع بذاكرتى يوم رأيت جين لأول مرة .. حين كانت ترتدى ردائها الأسود البسيط .. وشعرها المشعث الملتصق برأسها كأنما كانت قد خرجت لتوها من حمام للبخار وأعدت الحوار الذى دار بيننا حرفا حرفا ..

لقد تولدت بيننا صداقة صامته فى دقائق .. ربما تستلزم دهراً لتنشأ فى ظروف أخرى .. ولكن لم أسعد بها .. فالصداقة التى تنشأ فجأة تنتهى فجأة ..

ولكن الصداقة لم تنته .. بل حلّ محلها حب عنيف والحب لم ينتهِ .. ولكن جين هى التى أنتهت فجأة .. وتركتنى وحيداً وحدة قاتلة .. وسط عالم مزدحم زحمة قاتلة .. وأنت ما اسمك .. مكدرموت - مكدرموت ماذا .. ماذا تعنى بمكدرموت ماذا ..

أعنى ماذا بعد مكدر موت .. لاشىء .. أنه أسم عائلتى .. مكدرموت أسم رجل .. هل كنت تتخيل أن هناك فتاة بهذا الاسم .. وتغرق فى الضحك حتى تدمع عيناها ..

وأنا أتمنى أن تدمع عيناى .. ولكنها لا تدمع .. وأتمنى أن أبكى .. ولكنى لا أبكى .

وأتمنى أن أموت ولكنى لا أموت .. ترى هل تعذبت جين وهى تموت .. هل تعذبت والنار تأكل شعرها .. ثم جسدها .. هل تذكرتنى .. هل نادت على ..

إن الكارثة ليست فى فقدى لها .. ولكن الكارثة الحقيقية فى بقائى حيا .. لماذا رضيت أن تبقى فى الفندق وحدها .. لو أنى بقيت لمت معها .. ولوأنى أخذتها معى لكنا الآن نمرح سويا فى الدنيا .

سنذهب إلى جعيتها .. ما هى جعيتها .. أنها ثقب فى التل .. أن التلال مليئة بالثقوب .. فهل تريد أن ترينى ثقبا معينا .. نعم .. هل هو من صنع النمل .. لا .. إنه أكبر من ثقوب النمل .. إذن هو من صنع الذئب ..

ليت عندى الآن ثقب فى القلب حتى ألحق بك يا جين .. هل يضايقك أن ترافقى لصا .. بالعكـــس .. أنا أحب اللصــوص .. ويمكننا أن نكون ثنائى رائع .. ثنـائى ماذا .. ثنائى النهب والسرقة .. مش ثنائى التانجو ..

ولكن لم يعد هناك ثنائى .. لقد أصبح الرقم واحد .. واحـد فـى الأرض وآخـر فى السماء .

هل أنت فتـاة .. هل أنـــت عذراء .. وتضـج جين بالضحـــــك مـن أعمـاق قلبها .. وتقول – أنت ياصديقى حمار .. حمار من الدرجة الأولى ..

نعم حمار لأنى خرجت من الفندق وحدى .. وتركتك لتموتى وحدك وهمست يا حبيبى وظلت الهمسة ترن فى أذنى وتتخبط أصداؤها فى أرجـاء نفسـى .. حتـى خلت أنى إنســان مصنوع من الصــاج .. وبداخلـه كـرة تنــس طـاولـة لا يقـر لهـا قرار .. بل تتخبط بجنون .. وفى كل مرة تخبـط الصـاج .. تـرن كلمـة واحـدة لا تتغير أبداً يا حبيبى ..

إن جين كانت أكبر من قصة حب .. لقد انتشـلتنى مـن وحـدة الضيـاع والتعلثـم والخجل والانطواء .. وحولتنى إلى إنســان طبيعـى .. ولكـن .. هـل سـأظل إنسـانا طبيعيا .. أم أن شخصيتى الجديدة هى رهن بوجود جين إلى جانبى ..؟

أغلب الظن أننى سأعود لسابق حالى ..

ونحن لا نحزن على فراق من نحب .. ولكننا نحزن على أنفسـنا ونحـزن علـى الأشياء التى تضيع منا .

ولـم أنقطـع عـن التفكير فـى الفتـاة .. حتـى بـدأت أشـعر بأوجـاع فـى صـدرى وظهرى وأذرعى وكل جسمى .. لقد انتقل الحزن من أوجاع فى القلب إلى أوجـاع حقيقية فى الجســد .. ولكن ماذا تقاس هذه الأوجاع بأوجـاع الحـريق والاختناق .. ليت هذه الأوجاع تزيد وتزيد حتى ترحل بى من هذه الحياة ، التى لا أعرف كيـف سأواجهها بعد اليوم ..

لقد كانت جين قبسة أمل فى ظـلام حيـاة مدلهمـة السـواد .. ولكنهـا أنطفـأت .. وعادت الحياى لسابق عهدها من الظلام .

* * *

رحلت عن لاس فيجاس .. وذهبت إلى نيويورك .. وتمكنت من الحصول على غرفة فى فندق الهيلتون .. ومكثت بها شهراً كاملا ..

ولا أدرى لماذا مكثت كل هذه الفترة فى نيويورك .. ولكنى لم أكن أدرى ماذا يمكننى أن أفعل .. ولاأين أذهب .. وكنت أخرج فى الصباح لأ تريض قليلا فى الشارع الخامس . ثم أعود فى الظهيرة إلى غرفتى حيث أتناول غذائى ثم أنام .. أو أذهب إلى حديقة سنترال بارك حيث أجلس على مقعد خشبى لعدة ساعات .. لاأنظر إلى شيء .. ولا أفكر فى شيء ..

ويوما جلس إلى جوارى رجل مسن .. وقال : لى ..

- هل تتأمل البط .. أم الحمام ..

فنظرت إليه بغاية التبلد .. ولم أقل شيئا ..

وكانت أمامنا بحيرة صناعية والبط يسبح فيها ..

فتابع الرجل - إنى أتأمل البط .. ولكنى فى حيرة من أمرى .. فأين يذهب البط حين تتجمد البحيرة فى فصل الشتاء ..

فقلت : له : هذه مشكلة البط ..

وتركته وأنصرفت ..

وكنت غالبا ما أتناول طعامى فى غرفتى حتى لا أتبادل الحديث مع أحد .. ولكن فى بعض الأحيان كنت أنزل إلى مطعم اسمه " سيبلس " فى نفس الفندق وآخر أسمه " ميراج " وقد أتناول مشروبا فى صالة إلى جوار المصاعد اسمها " تحتمس " .

وفى المساء كنت غالبا ما أذهب إلى شارع برودواى حيث أذرع الأرض مع باقى خلق الله .

ومرة واحدة ذهبت إلى " الامبايرستيت " .. وقد كانت إلى عهد قريب تعتبر أعلى مبنى فى العالم .. ولكن بعد ذلك ظهرت مبان أكثر علوا ..

وصعدت إلى السطوح .. ووقفت فى الهواء أتأمل المدينة من أعلى ..

وبينما أنا كذلك إذا بى أرى غرابا .. كذلك الذى رأيته .. يوم أن كنت فوق برج القاهرة .. فسألته :

- أين زملاؤك الثلاثة

ولكن لم يكن هناك غيره ..

لقد أمضيت فى نيويورك فترة لايمكن أن توصف بالضياع .. فأنا لم أكن ضائعا .. كل ما هناك .. أنى كنت أحس برغبة فى أن أحيا فى وحدة كاملة ..

وأن أخلد إلى نفسي .. فبرحيل جين أصبحت الدنيا خاوية خواء عنيفا .. ولم تكن بي رغبة في الكلام مع مصيلحي وعم إبراهيم أو فخري أو رواد المقهى أو النادي بالقاهرة ..

وهذه المدينة بالرغم من أن بها ثمانية ملايين شخص .. إلا أن أحداً لا يعيرك اهتمامًا .. ولا يريد أن يتكلم معك .. وفي بعض الأحيان كنت التقي بساقطة في الطريق تحاول أن تستدرجني للحديث معها .. فأعطيها بعض المال وأرجوها أن تتركني لحالي .. فتفعل ..

ويوما دخلت مسرحية بشارع برودواي .. ودفعت تذكرة بمائة دولار .. فتذكرت المسرحية الاستعراضية التي دخلتها مع جين .. في لاس فيجاس .. وكانت التذكرة بثلاثة وعشرين دولارا شاملة العشاء ..

وهي مسرحية لايمكن مقارنة مسرحية نيويورك بها .. فقد كانت " أي تلك التي كانت في "لاس فيجاس" تحكي قصة غرق الباخرة " تايتانيك " في المحيط الأطلسي ..

وقد كان إخراج هذه القصة في السينما غاية في الصعوبة فمابالك بالمسرحية .. لقد رأينا على المسرح أمواج المحيط وهي تهجم على الباخرة المتصدعة .. ورأينا النار وهي تأكل المراين والأبواب والأثاث .. وكيف أن هذه الأشياء تقع محترقة . وركاب الباخرة وهم يقعون بملابسهم الممزقة وسط النار .. ثم تبتلعهم أمواج المحيط ..

أصرمت هذا الشهر وأنا أفكر في جين دون انقطاع ومما زاد الطين بلة أن جميع جرائد أمريكا كانت تتكلم عن حريق الجراند أوتيل كأنما لم يكن ما يشغل بال المجتمع الأمريكي سوى هذا الخبر .. ولكني لم أجد جريدة واحده تتكلم عن موت جين .

* * *

رجعت إلى القاهرة .. ونزلت بفندق الميريديان بعد أن أودعت نقودي ونقود جين في أحد المصارف بالقاهرة .. إذ لم يكن لدي أدنى فكرة عن مكان أهلها حتى أعطيهم نصيبها .. كما كلفت أحد الفنانين برسم صورتها (وهي صورة الغلاف)

وقد كنت أظن أني سأنسى جين في مصر .. ولكن ذكراها ظلت لا تفارقني .. حتى خلت أن الأحزان ستلازمني إلى الأبد .. وأصبح من الطبيعي أن

أبحث عمن يخـرجنى مما أنا فيه .. كما أصبح من البديهى أن يتجه بى الفكر إلـى شـويكار .

ومن ثم طلبت فخرى بـالتليفون .. فـإذا علـى لسـانه ألـف سـؤال فقلـت : لـه أن يحضر إلى الفندق وسوف أخبره بكل شيء .. ولما حضر سألنى .

- إيه يابنى إنت كنت فى أنهى داهـية .. وأيه الهدوم اللى أنـت لابسـها دى .. وإيه الفلوس دى .. وليه مش قاعد فى بيتكم ..

فقلت : له كـلام كثير مـالوش لازمـة .. أنـا ورثـت فلـوس كتـير أوى .. و .. فقاطعنى ورثت واللاسرقت ..

قلت : ديـه والاديـه .. الخلاصـة أنـى بقيـت غنـى .. بـس خليـك معايـا وماتقاطعنيش .. أنا حبيت واحدة حب مـا أعرفـش أوصفـه .. وبعديـن ماتت فى حادثة .. ومن ساعتها وأنا باتكلم معاها ..

- بتكلم واحدة ميته ..

= أيوه

- لا ياأخ .. دانت بتكلم نفسك .. يعنى مخك ضرب ..

= بالظبط كده ..

- طب وعاوز منى أيه ..

= عاوزك تساعدنى أنى أنساها ..

- ومالقيتش غـيرى ينسـيك همـك .. دانـا عنـدى هـم يكفينـا إحنـا الاثنيـن ويفيض منه شويا

= لا يابنى .. أنا مش عاوز منك حاجة .. أنا عاوز شويكار ..

- فأخذته المفاجأة فى مبدأ الأمر .. ثم ابتسم وقال :

شويكار كده حتة واحدة ؟؟

فلما لم أجبه .. قال :

- ماتشوفلك واحده بتاعة فجل .. والامدرسة إلزامى .. حاجة كـده من مقاسك

فقلت : بهدوء : يافخرى أنا عاوز شويكار ..

فقال : بحده : وأنا اللى حاجيب لك شويكار ..

= لا مش قصدى .. أنا عاوزك تفكر فى طريقة أتعرف بيها عليها ..

وتكون طـريقة مبهـرة .. بحيث أني أثير انتباهها .. وأخليها تهتم بى .. لدرجة إن مايبقاش فيه حاجة فى دماغها غيرى ..

- يعنى انت عاوز تملا دماغها لوحدك ..
= أيوه
- جـاك أوى يمـزا ضلوعـك .. دا النــادى بالأعضــاء بالسـفرجيه .. مايملوش دماغ شويكار .. قول عاوز تتعرف عليها وبس ..

فتململت ثم قلت : طيب ..

قال : حلو كده .. نبتـدى من هنا .. نفـرض أنـك اتعـرفت عليها نيجـى للمهم .. هل أنت قد شويكار ..

قلت : آهو ده اللى خايف منه ..

قال : طب ماتخليك فى حالك .. واستسلم لأحزانك .. وماتحاولش تهرب منها ..

- لا .. أنا عاوز شويكار
= مـاتقول كـده مـن الأول .. ومـاتقعدش تدخلنـى فـى قصـص مـوت وأحزان وكلام فاضى من ده ..
- صدقنى يافخرى الحكاية اللى حكيتهالك حقيقى .
= حقيقـى والامــش حقيقـى أنـت اللـى طــالع فـى مخـك أنـك عـاوز شـــويكار .. صح ؟
- صح
= ومعاك قرشين عاوز تفرتكهم عشان توصل للنتيجة دى .. صح
- صــح
= وماله أهى برضــه حاجة نتسـلى بيها .. بس ده كلام كبير أوى .. عاوز تفكير سـليم .. أنـت تفكـر .. وأنـا أفكـر .. ونتقـابل بكـره .. ودلوقت هات لنا شوية سمك على جنبرى على رز بالكارى ..

تقابلنا فى مساء اليوم التالى بالفندق ∴ وجلسنا نتشاور لعدة ساعات .. وقد بـدأ فخـرى يقتنـع بـأنى أفكـر جديـا فـى التعـرف عليهــا .. وخرجنــا بنتيجــة أن نقسـم الموضوع قسمين :

القسم الأول .. هو الابهار ..

القسم الثانى .. طريقة التعرف على شويكار ..

وكان قسم الإبهار هو السهل .. فقد استقر الرأى على أن أشترى سيارة مرسيدس .. وأن أقلب دكان الطرابيشى إلى بوتيك لنعين شويكار مديرة له ..

أما القسم الثانى فقد كان هو الصعب .. إذ كان يعتمد على الصدفة ... ويجب أن تكون صدفة محكومة للغاية ومؤثرة .. ولا تنسى ..

وعرض فخرى عدة اقتراحات .. أولها أن نؤجر أربعة من لاعبى الكارتيه ليهجموا على شويكار بالسلاح .. ثم تقودنى الصدفة لنجدتها ..

وعرض فكرة أن تقوم شركة بعمل جائزة .. عبارة عن رحلة إلى مونت كارلو .. أو اليونان لمدة سبعة أيام .. وطبعا نجعل شويكار تكسب الجائزة .. ثم تقودنى الصدفة إلى المكان الذى ستكون فيه .. ويستحسن أن يكون جزيرة صغيرة باليونان .. حتى لا تزوغ عينيها كده والا كده ..

ثم اقترح أن نذهب إلى إحدى السيدات اللاتى يتجارن فى الهوى .. ونؤجر فتاة بالغة الجمال والرشاقة لمدة شهر .. وليس من الضرورى أن تكون مثقفة أو ذكية وتنحصر مهمتها في جذب شويكار نحوى .. كما فعلت الخواجاية (على حد قوله) فيما مضى

ثم فكر فى أن أذهب إلى والدها لاخطبها .. ولكنه استبعد الفكرة على اعتبار أن شكلى (مش أوى) وأن من الطبيعى أن يكون قد تقدم لها عيال "يِسِحلّوا " من على المشنقة .

ثم استعرضنا فكرة أن نفتعل حادث تصادم بين سيارتى المرسيدس .. وسيارتها المتواضعة .. ولما تنزل لتتشاجر معى .. آخذها من يدها إلى محل بيع السيارات واشترى لها سيارة هوندا أو جولف ثم أستدير وأتركها دون كلمة أخرى ..

واستعرضنا أفكار أخرى .. وخرجنا بنتيجتين ..

الأولى أن نكون فى منتهى الحذر .. والتأنى .. وأن تكون الخطة لا تسمح بتسرب الماء أو الهواء ..

والثانية .. أن نؤجر شخصا ليتبعها فى كل مكان ..حتى نعرف كل شىء عنها .. لأنه بدون معلومات لن تكون هناك خطة ..

وطبيعى أنه لايوجد نظام المخبر السرى فى مصر ..

ولكن بالنقود يمكن أن نجد من يقتفى أثرها ..

ولكن قبل كل شيء يجب أن نعرف أين تسكن .. ومن ثم اتفقنا أن نذهب إلى النادى غداً .. ونخرج وراءها حتى نعرف منزلها .

* * *

ذهبنا إلى النادى فى اليوم التالى .. ولكن شويكار لم تحضر ..

وذهبنا فى اليوم الذى يليه .. ولم تحضر ..

فأخذنا نتردد على النادى شهراً كاملا .. دون أن يظهر لها أثر ..

لقد اختفت فجأة .. وهى التى كانت من معالم النادى .. ولم يكن يكاد يمر يوم دون أن تذهب إليه ..

وطبيعى أنى فى خلال هذا الشهر كنت قد رجعت إلى منزلى ...

واشتريت السيارة المرسيدس .. ولم أقبل أن أعطى فخرى سيارتى القديمة لأنها كانت ستشقيه .. بدلا من أن تسعده .. واشتريت له سيارة فيات صغيرة.. ولم أفعل شيئا فى دكان الطرابيشى .. لأنه من غير المعقول أن أحوله إلى بوتيك تحت إدارة عم إبراهيم .

* * *

لما يئسنا من العثور على الفتاة .. بدأنا نقلل من ذهابنا إلى النادى .. وكنت لازلت أذكر جين .. ولكن كل هذه الخطط والأحابيل شغلت بالى بعض الوقت.. فأخرجتنى من حالة الاكتئاب التى كانت تسيطر على ..

ويوما إذا بفخرى يطلبنى بالتليفون فى نحو العاشرة صباحا ليصرخ فى أذنى .

- وجدتها ..

= مين شويكار

- طبعا .. أمال أم على ..

= فين ؟ ؟

- بتشتغل فى شركة دعاية ..

= بتشتغل إيه

- سكرتيرة ومديرة ومسيطرة على الشركة والمدير وكل حاجة .. وشعلة نشاط

= واسم الشركة إيه ؟ ؟

فأعطانى الاسم والعنوان ورقم التليفون .. فقلت :

- طب اقفل بقى .. مش فاضي لك ..

= حاتعمل ايه ؟ ؟

- مالكش دعوة .. اقفل بقى مش فاضيلك ...

وما أن وضع السماعة .. حتى طلبت الرقم .. ويا ليتني ما فعلت .. إذ إنها ردت على .. فتلعثمت ولم أجد ما أقوله ..

فقالت : ألو .. أى خدمة ..

قلت : : المدير موجود ؟؟

- موجود بس عنده اجتماع .. أي خدمة ؟ ؟

= أيوه يافندم .. أنا عاوز أعمل إعلان فى التليفزيون

- عن إيه

= عن بضاعة ..

- ممكن أتعرف بسيادتك ونمرة تليفونك ..

= شريف وجدى ونمرة تليفوني ..

- طيب يا أستاذ شريف .. وإيه البضاعة ..

= آه .. البضاعة .. البضاعة .. بالصراحة لسه مش عارف ..

- مش عارف يعنى إيه ؟؟ عاوزني أطلع لك عيال فى التليفزيون يقولوا ريّان يافجل ؟

= لا .. لوبيا .. يافجل .. لوبيا ..

- آه .. يعنى أنت بتاع لوبيا ..

= متأسف

- متأسف ده إيه .. أنت بتعاكس يا أستاذ شريف ؟؟ والاأنت ما سمكش شريف ؟؟

= معلهش يافندم .. أنا حابقى أطلب حضرتك مرة ثانية ..

وأنهيت المكالمة .. وخلعت حذائى .. وضربت به رأسى .. لقد أفسدت كل شيء .. وكل الأيام التى ضيعناها فى رسم الخطط ذهبت هباء .. فلا إبهار بعد ذلك ...

ولا مصادفات .. حتى لو تعرفت عليها .. فسوف أدخل إليها من أحقر الأبواب .. كما أنى أوقعت نفسى فى مأزق .. فلو أنى أردت أن أحذف هذه

المكالمة التليفونية من القصة .... وأبدأ من جديد .. على اعتبار أنه لا دخل لى بما حدث .. فإن هذا أيضا أفسدته بغبائى حين أعطيتها اسمى ورقم تليفونى .. ومن ثم طلبت فخرى وقلت : له :

- نيلتها بستين نيلة ..
= ليه حصل إيه

فقصصت عليه ما حدث .. فانهال على لوما وتقريعا وانتهى بأن قال :

- الله يخرب بيتك وجعت دماغى شهرين .. وبعدين تيجى تهد كل حاجة فى دقيقتين ...
= طب أعمل إيه دلوقت ..
- غور بقى بلى هوسه ..
= اعمل معروف ما تسبنيش .. أعمل إيه ..
- مافيش .. تروح بكرة الشركة وتصلح غلطتك ..
= أضرب تليفون آخذ ميعاد ..
- ولا تضرب .. ولانيلة بقى .. تروح على طول ..
= وأقول إيه ..
- قول إنك عاوز تعمل دعاية للحاجة اللى بيطللعها مصنعك .. واللى لسه مجهزتش .. يعنى دعاية قبل نزول البضاعة ..
= طب والبضاعة إيه ؟؟
- إيش عرفنى .. قول ورنيش أحذية .. قول مشابك غسيل .. قول زيت حار..
= لا .. ورنيش أحذية أحسن ..
- قول اللى تقوله .. بس أوعى تكلمنى إلا بعد ما تصلح الحكاية أو تبوظها خالص .. يعنى مش عاوز أسمع سيرة شويكار دى .. إلا يا إما تقول لى إنها صاحبتك .. أو أن الموضوع انتهى إلى الأبد .. يعنى باختصار كده .. أنت من دلوقت بطولك .. ماليش دعوى بيك .. لا نصايح ولا أفكار .. جاتك داهية فى اللى مشغلينك ..

* * *

ذهبت فى صباح اليوم التالى إلى مكتب شركة الدعاية .. فإذا هو عبارة عن صالة فسيحة .. بها مكتب كبير تجلس إليه شويكار .. وإلى جوارها عدة

تليفونات .. وأمامها مقعدان صغيران .. ويتناثر فى الصالة أرائك ومقاعد مريحة ومن الداخل توجد طرقة تؤدى إلى الأوفيس والحمام وأما الصالة فبها بابان مغلقان .. يؤديان إلى غرفتين عليهما لافتتان .. مكتوب على واحدة : المدير .. والأخرى : الصالون .

ويجلس على أحد الأرائك أربع فتيات رائعات الجمال يتحادثن بصوت منخفض .. أغلب الظن أنهن من فتيات الإعلان ..

أما شويكار فقد كانت تتحدث بالتليفون .. وكانت خارقة الجمال كعادتها ... فأخذ قلبى يدقّ بعنف .. ولكنى تحاملت على نفسى وسرت حتى بلغت مكتبها ووقفت أمامها أنتظر ..

وما انتهت المكالمة حتى نظرت إلى وقالت

- أفندم ..

= أنا شريف وجدى ..

فقالت بصوت عال : بتاع اللوبيا ..

فكفت الفتيات عن الكلام .. وأفلتت ضحكة من أحداهن .. ولم تتمالك نفسها من أن تشترك فى الحديث قائلة :

- أنا كفاية علىّ الشاى واللبن .. مش حاطلع أغنى وأرقص عالوبيا .

قالت : فلما رأت شويكار ربكتى وإحراجى

- اقعد يا شريف (بدون أستاذ)

فجلست وقلت : المدير موجود ؟؟

- المدير فى إسكندرية .. لكن أنا برضه ممكن أشوف طلبك ..

فقلت : " وكنت قد أعددت هذا الحديث مسبقًا " .

- أنا فى طريقى أنى أنتج ورنيش سائل للأحذية .. وعاوز أعمل عنه إعلان فى التليفزيون ..

= والبضاعة دى مش جاهزة ؟؟

- لا .. حاتجهز بعد شهرين ..

= تفكير كويس .. لأن عمل الإعلان بياخذ وقت .. واحنا نعمل إعلانين .. واحد مشوّق وغامض ينزل قبل ما تنزل البضاعة السوق بأسبوعين .. نقول فيه ترقبوا .. ترقبوا .. إنت ما قلت : ليش اسم الورنيش إيه ؟؟

قلت : لسه مش عارف ...

فقالت : إحدى الفتيات بلاش كيوى .. سميه ليوى وإذا بالفتاة التى ضحكت تقول

- أمال فين اللوبيا يا شوشو ..

ووجدت نفسى وسط مجموعة من الصبية يتلقّفننى ويتسلّون بى .. فنظرت إلى الأرض وأنا لا أدرى ماذا أفعل ..

فقد كنت رتبت كلامى لأتبادل الحديث مع المدير وليس مع مجموعة من العفاريث ..

وبدأت فتاة أخرى تتكلم ولكن شويكار قاطعتها قائلة لى :

- أنا شفتك فين قبل كده

فقلت : ما أظنش يا فندم تكونى شفتينى ..

قالت : لا أنا عارفة أنى شفتك بس مش فاكرة فين .. ما علينا .. أنت طبعا عاوز تعرف تكاليف الإعلانين .. وتكاليف الإذاعة بالتليفزيون .. أولاً أنت عاوز ثلاثين ثانية والا دقيقة ..

قلت : لسه مش عارف ..

قالت : لك حق .. لازم تعرف الأسعارالأول وبعد كده تقرر .. وانبرت نشرح بإسهاب عن أسعار الإعلانات فى الأوقات المختلفة .. قبل المسلسل .. وبين ما تعلن المذيعة عن اسم المسلسل والتتر .. ثم بين التتر والبدء فى التمثيل .. " وفى الهاف تايم " لمباريات كرة القدم ..

وقد حمدت الله أنها ظلّتْ ؟؟ وحدها تتكلم دون أن تشركنى فى الحديث .. أوتسألنى أسئلة .. لأنها لو سألتنى لتبينت أنى غير واع تماما لما تقول .. بقدر ما أنا منتبه لحركات حاجبيها وشفائفها .. وبريق عينيها .. ونعومة بشرتها ..

وكنت قد يئست نهائيا من أن تنشأ أى علاقة بينى وبينها .. فقد بدوت أمامها ضعيفا مهزوما .. حتى الفتيات لاحظنَ خجلى .. فأخذننى مادة للضحك.. ثم زهدن حتى فى ذلك ..

ولما أصبحت واثقا من أن هذه هى المرة الأخيرة التى أراها فيها عن قرب .. فقد أخذت أمتّع نفسى بمرآها وسماع صوتها ..

وبينما هى منهمكة فى الشرح إذا جرس أحد التليفونات يدق .. وهى لاتعيره التفاتا .. فأشرت بإصبعى إلى التليفون منبها إياها .. فأشاحت بيدها علامة نفاد الصبر

فقلت : لها ماما ..

= مالها ماما ؟؟

قلت : ماما على التليفون

فخطفت السماعة قائلة : ألو ..

ثم صمتت فترة أخذت تستمع فيها .. وهى تنظر إلىّ

ثم قالت : دقيقة واحدة ياماما ..

ثم أبعدت السماعة وقالت :

- أنت كنت فى بيتنا قبل ما تيجى هنا ..

قلت : وأنا أعرف بيتكو منين ..

قالت : رد على السؤال

قلت : لا طبعا ..

فأمسكت السماعة من جديد ووجهت الكلام إلى والدتها

- فيه حد جه عندك البيت انهارده ..

فلما ردت بالنفى .. قالت :

- طيب يا ماما .. أنا حابقى أطلبك بعد شوية ..

ثم أقفلت السماعة وقالت : لى :

- تسمح ترد علىّ .. عرفت منين أن ماما على التليفون ..

قلت : صدفة .. قالت : على الفور لا مش صدفة .. قول لى حالا .. عرفت إزاى ..

وكنت قد أوقعت نفسى بغبائى وتسرعى فى هذا المأزق .. فأنا بطبعى أعرف ماسيحدث فى الدقيقة التالية .. ولكنى دائما حريص على ألا أكشف لأحد ذلك

ولما وجدتها تنتظر ردى بإصرار قلت :

- أصل أنا حاوى .. أو ساحر .. حاجة زى كدة ..

قالت : حاوى .. يعنى إيه ؟

قلت : إنت مش بتشوفى على المسرح حواه .. وبتوع تنويم بيعملوا حاجات قد دى عشر مرات ...

= دكها كتشينة .. وخداع نظر .. وحاجات كده ..

- أهو أنا بتاع كتشينة ..

= يعنى تعرف ورقة الكتشينة وهى مقلوبة

قلت : إذا كنت حاتوريهانى بعد كده .. يعنى بعد ما أقول لك عليها . أشوفها .. يبقى أيوه ممكن ..

- أشمعنى

= هوه ده الشرط ..

فضغطت جرسا .. وأتى ساعى وقالت : له :

- انزل يا دسوقى هات لنا كتشينة من عند بتاع السجاير اللى تحت

فنزل الساعى .. وجلسنا صامتين كأنما على رءوسنا الطير ..

وكانت الفتيات قد انتبهن إلى ما يدور .. فسكتن ثم انضممن ألينا .

وبعد دقائق طويلة مملة .. أتى الساعى ومعه ورق اللعب فمددت يدى .

فقالت : ما تلمسهاش .. هات الكتشينة هنا يا دسوقى .

فذهب الساعى إليها .. وأخذت منه العلبة .. وفتحتها .. وأخذت أوراق اللعب و " فنطتها " ثم وضعتها مقلوبة على المكتب .. وأشارت إلى الورقة العليا وقالت :

- إيه دى ..

= سبعة هارت ..

فرفعت الورقة .. ونظرت إليها .. ومعها الفتيات اللاتى شهقن .. ثم أرتنى إياها .. فكانت طبعاً كما أسلفت ..

ثم رفعت الورقة التالية .. ثم التى بعدها .. وتكرر نفس ما حدث .. وبعد ذلك أخذت الأوراق و " فنطها " من جديد .. وأخرجت ورقة ورقة من وسطها .. وخبأتها فى يدها وقالت :

- أيه دى ..

فقلت لها عنها .. بين استعجابهن .. وشهقاتهن ..

ثم خطفت إحدى الفتيات أوراق اللعب وقالت :

- أنا دورين ..

وظلّتْ الأوراق تنتقل من يد فتاة إلى أخرى ونحن نلعب هذه اللعبة وسط صراخهن وضحكهن .. وأخيراً أخذت شويكار أوراق اللعب .. وأخرجت ورقة من وسطها وقالت :

- إيه دى ..
= مش عارف ..
- ليه ..
= لأنك مش حاتوريهانى
ثم لانت ملامحها .. وابتسمت قائلة :
- ياشريف أنا عاوزاك تعلمنى اللعبة دى .. دا أنا لو عرفت ألعبها .. أخشّ أى حفلة أوقفها على رجل ..
فقلت : هوه فيه حاوى بيعلم ألعابه لحد ؟؟
قالت : معلش خليك ظريف .. وأنا أحلف لك أنى مش حقول لحد ..
فنظرت حولى بحثا عن مخرج من هذا المأزق الجديد .. فظننت أنى أنبهها إلى وجود الفتيات .. وكيف يكون هناك سرّ مع كل هذا العدد .. فقالت : على الفور .
- طبعا مش دلوقت .. ومش هنا .. أنت بتروح نادى والاحاجة زى كده ؟؟
ثم إذا بها تصرخ فجأة ..
- بس افتكرتك .. إنت اللى كنت مع البنت الإنجليزية فى النادى جنب حمام السباحة .. من كام شهر
فقلت : ما أخدش بالى ..
قالت : والنبى إيه ؟؟ .. طب روح أنت وأنا حابقى أكلمك فى التليفون .. وانصرفت ...

* * *

مرت ثلاثة أيام دون أن يتصل بى أى من شويكار أو فخرى .. وفخرى لم يكلمنى ، لأنه لم يكن يطيق أن يسمع صوتى .. أما شويكار فربما تكون قد نسيت الموضوع برمته .. وهذا أحسن الفروض .. لأنى أصبحت لا أدرى كيف أخرج من المآزق التى وضعت نفسى فيها ..

كما أنى لم أكلم فخرى .. لأنى لم أعرف ماذا أقول له .. فلو قصصت عليه ما حدث .. لسألنى وكيف كنت تعرف أوراق اللعب وهى مقلوبة .. كما أنه لو سألنى إن كانت شويكار راضية عنى أو غير راضية .. لما عرفت أيضا ماذا أقول ..

ومن ثمّ ذهبت إلى الأستاذ مندور .. فوجدته راقدا مريضا ...

فقلت : له :

- مالك يا أستاذ مندور ..

قال : أنا على فراش الموت ..

فقلت : بعد الشر عليك .. ما تقولش كده ..

قال : وأنت تطول يا حمار .. إنك تموت في سريرك .. ده حلم كل واحد .. مش بدل ما تموت في الشارع ..

قلت : عندي موضوع عاوز أحكيهولك .. عندك صحة تسمعه ؟؟

فسعل قليلا .. ثم قال : من بين أنفاسه المتقطعة ..

- صحة زى الحديد .. قول عايز إيه ؟؟

فقلت : بتردد فاكر مرة قابلتك على القهوة .. وقلت : لك إللىّ يسبق الزمن بدقيقة يعمل إيه ؟؟

قال : لا مش فاكر

قلت : طيب الموضوع باختصار كده .. أن لسبب ما .. وبطريقة ما .. أنا سبقت الزمن بدقيقة ..

فقاطعنى أنت بتخرف يا واد ..

- افترض أن ده صحيح ...

- افترض إزاى .. أتكلم عدل .. وأقعد معووج ...

- يا أستاذ مندور .. لا أنت فيك صحة .. ولا أنا فىّ صحة .. اسمعنى للآخر وبعدين أبقى قول اللى يعجبك .. أنا سبقت الزمن بدقيقة ..

فقاطعنى وهذه الدقيقة تشمل العالم .. والا تشملك أنت ..

فقلت : أول سؤال وجيه .. تشملنى أنا فقط .. وتشمل الجو المحيط بى .. يعنى الأشياء اللى أراها أو أسمعها .. المهم .. أنا فى مبدأ الأمر كنت فاكر إن الدقيقة زى قلت :هنا .. ولكنى اكتشفت بعد كده أن ليها قيمة فى ألعاب القمار .. فاستغليتها أحسن استغلال .. وسافرت بره ... وكسبت

كتير أوى .. وبقيت غنى .. والفايدة على الدولار عاليه .. وجايب لك عشر تلاف جنيه هدية ..

فاتسعت مقلت :اه ... ثم تهللت أساريره .. وحاول النهوض من الفراش من شدة الفرح .. ولكنى رجوته أن يبقى كما هو .

فقال : ابتديت أصدقك .. لأن عهدى بيك شحّات ومش لاقى تاكل .. ودلوقت عاوز إيه ..

قلت : عاوز أعرف فلوس القمار دى حرام واللا حلال ..

فصمت فترة طويلة ثم قال :

- أولا ده مش مال قمار .. المقامرة هيه إنك تراهن على حاجة إنت ما تعرفهاش .. ومادام أنت عارف النتيجة مسبقا .. إذن ده مش مال قمار .. ده مال مسروق .. ولما كان عكس العكس إثبات فسرقة المال الحرام حلال

فصفقت بيدى وقلت :

- حلاوتك يا حاج كفته .. جبت الفتوى ديه منين ..

فنـهـرنـى

= إيه يا واد كلام السوقه ده .. جاتك داهية فى ملافظك ..

فناولته النقود وقبلت يده وانصرفت ..

* * *

فى اليوم الخامس اتصلت بى شويكار .. فارتجفتُ وتلجلجتُ كما هى العادة.. وقد شعرت هى بذلك وربما طربت له .. وقد استنتجت أن سبب تأخرها فى الكلام معى راجع إلى أنها تعلم أن جمالها الخارق يؤثر على الرجال دون استثناء .. ومحاولة التظاهر بأنها لم تلفت نظرك .. هى محاولة من إنسان ساذج .

ولما كانت تعلم أن جمالها لايمكن تجاهله .. ولما كانت تعلم أنى لابد وأن أكون مبهورًا بها .. ولما كنت أحتفظ بسر ما .. وهى تريد أن تنتزعه منى .. فقد تركتنى هذه الأيام الخمسة حتى أستوى على نار هادئة .. وحتى لا أتعبها فى الحصول على ما ترغب فيه ..

وقد سألتها يوما فيما بعد .. هل تعلمين أنك جميلة جدا .. وقد أجابت ببساطة أعلم .. ولكن هذا ليس لى فضل فيه .. وعلى العموم الجمال مش دائم..

والحلو انهارده بكرة ما يبقاش حلو ..

قلت :   ولكن الوردة لما تدبل ..

فأكملت :   تبقى ريحتها زفت ..

كنت أقول إنها اتصلت بى .. وحددت لى موعداً للقاءها بعد ساعتين فى النادى .. دون أن تسألنى إن كان هذا يناسبنى أم لا ودون أن تخبرنى أين أنتظرها .

* * *

حضرت شويكار إلى النادى بعد ثلاث ساعات .. وكنت قد استويت تماما .. وأصبحت جاهزاً للأكل والشرب والرمى .. وظللت طيلة الساعات الثلاث أكلّم نفسى .. دون أن أصل إلى حلّ ينقذنى من مشكلتنى .. فكيف أعلمها لعبة الورقة المقلوبة وحتى لو كان فى طاقتى أن أنقل إليها قدراتى التى أتتنى من حيث لا أعلم.. فهل أنا براغب فى أن يشاركنى أحد هذه القدرات ..

إن جين التى كنت أثق فيها ثقة عمياء .. والتى شكلت شخصيتى الجديدة والتى لم أحب غيرها .. ماتت دون أن تعرف السر .. ولما عرضت عليها أن أطلعها عليه رفضت أن تعرفه .

* * *

ذهبت إلى شويكار وكانت تجلس وحدها إلى مائدة فى الحديقة تستمتع بشمس الخريف .. وكانت ترتدى سروالا جينز ضيق جداً .. وبلوفر أنجوراه أصفر ..

وقبل أن أجلس سألتها :

- البنطلون ده معمول من إيه ؟ ؟

قالت :   من ورق العنب ..

وتذكرت حين سألت جين عن سروالها فيما مضى وقالت : لى ألا أتدخل فى مالا يعنينى ..

فقلت : دون أن أعاتبها على التأخير :

- تحبى تشربى إيه ؟؟

فقالت :   اقعد بس عاوزة أتكلم معاك ..

فجلست .. وبدأت تتكلم عن فكرة إعلان ورنيش الأحذية .. فقلت : لنفسى لابد وأنها سوف تؤجل الموضوع الآخر حتى نهاية الجلسة .. لسببين .. الأول أن

تجعل الموضوع يبدو كما لو كان عديم الأهمية .. والثانى حتى استرخى وأفقد الحذر .. ومن ثم تأخذنى على غرة .

وكان الكلام عن الإعلان .. مملاً ومحرجاً .. لأنه كيف يمكن عمل اعلان عن شيء غير موجود .. وكيف يمكن التراجع بعد أن ذهبت إلى مكتب شركتها لهذا الغرض .. وماذا يمكن أن أقول عن سبب الزيارة .. هل أقول أنى كنت أحب فتاة ولما ماتت حضرت إليك لكى تنسينى إياها .. فيكون رد الفعل الطبيعى أن تخلع حذاءها وتقذفنى به ..

ولما كنت أود لو تكف قليلا عن الكلام فقد قاطعتها :

- فكرتك عن الإعلان هايله ..
= دى مش فكرتى .. دى فكرة المدير..
- كمان ؟؟
= إيه ؟؟
- لا ولاحاجة .. هوة حضرتك كنت قلت : لى الشركة بتاعتكم حاتاخد كام فى الإعلان ؟؟
= بلاش حضرتك .. أنا قلت :لك الإعلان التمهيدى حايتكلف .. فقاطعتها
- لا بلاش التمهيدى .. خلينا فى الأصلى .. أنا مش ناوى أعمل غير إعلان واحد ..

قالت : إنت مش قلت إن البضاعة لسه ما جهزتش ..

قلت : وقد كان هذا منفذى الوحيد للهرب " إحنا ندفع نص التمن دلوقت بصفة عربون .. ولما البضاعة تجهز أديلك خبر علشان تنفذى الإعلان .. أصل بالصراحة يا آنسة شويكار أنا اكتشفت شوية مشاكل فى اليومين اللى فاتوا دول خاصة باستيراد بعض المواد الخام .. وربما المشروع يتأخر شوية .. لكن بكره الصبح حابعت لك الفلوس على مكتبك ..

فقالت : إذن ده يبقى كلام سابق لأوانه .. وما فيش داعى أقلب دماغك بتفاصيل أكثر من كده ..

ثم ابتسمت قائلة :

- على العموم دى فرصة سعيدة يا شريف .. وأنا متأسفة أنى أتأخرت عليك شوية .. ومش عاوز أعطلك أكثر من كده ..

وتبعت ذلك بأن مدت لى يدها لمصافحتى .. فنظرت إليها بغاية البلاهة .. وقد ألجمتنى المفاجأة .. ولم أدر إن كنت أفرح لنهاية مشاكلى فجأة بهذه البساطة .. أو أحزن لأنه بانتهاء هذه المقابلة سوف ينتهى آخر أمل لى فى لقائى بشويكار فيما بعد .

لأننى لو رأيتها بعد ذلك .. فهى لن تزيد على أن تومئ لى برأسها .. لأن شخصيتى بوضعها الراهن لم تخلف فيها أثر يذكر .. ويكفى أنها قالت : لى من أول مقابلة يا شريف " بدون أستاذ " .. ومن يدرى بعد ذلك فربما تقول لى " ياواد " ..

وانتبهت إلى يدها الممدودة .. فخطفتها وصافحتها .. ثم تركتها .. ولكننى لم أنهض ..

فنظرت إلىّ .. وأمالت رأسها قليلا إلى الجنب .. كأنما تسأل هل هناك شىء آخر ؟؟

ووجدتنى أقول وأنا مسلوب الإرادة ..

- مش عاوزة تعرفى لعبة الكتشينة ..

قالت : لا مش عاوزة ..

- يعنى أقوم بقى ..

فتريثت قليلا .. وهى لازالت تنظر إلى بثبات .. ثم قالت : ..

- أنا مش عاوزه أتعلمها .. لأنك ما تقدرش تعلمهالى .. دى مش لعبة حاوى.. ولا ساحر .. أنت ما لمستش الكتشينة .. وما جبتهاش معاك علشان أقول تكون " متعلمة " .. والأهم من كده أنك عرفت أن ماما على التليفون قبل ما أرفع السماعة .. واللى أهم وأهم من كده إن الورقة الأخيرة .. ما قلتش هيه إيه .. لأنك عرفت إنى مش هاوريهالك ..

إذن أنت عرفت حاجة حاتحصل وأنا ما قلت :هاش .. عرفت فكرة ساكنة فى عقلى .. فكرة مالهاش صوت .. إذن فيه حاجة غلط .. وأنا مش واثقة إذا كنت أحب أعرف الحاجة دى ..

فأومأت برأسى وبقيت صامتا فقالت :

- ايه .. موافق على كلامى ده ؟ ؟

فقلت : أنا لا أوافق ولا مش موافق .. أنا ما اعترفتش بحاجة وكلامك ده مجرد تخمين ..

قالت : طيب فرصة سعيدة كمان مرة ..

فسألتها : وقد خطرت ببالى فكرة

- أنت عندك فلوس ؟؟

قالت : ليه عاوز تستلف ؟؟

قلت : لا باسألك عندك فلوس كفاية تحقق كل آمالك ..

قالت : الفلوس مش مشكلة .. عندى اللى يكفينى دلوقتى .. ولوعاوزة أقدر أجيب فلوس مالهاش حد ..

قلت : بمقابل ..

- مقابل أو مش مقابل .. وأنت مالك ...

= أنا أقدر أخللى يبقى عندك فلوس بدون مقابل

- فلوس قد ايه ؟

= فلوس مبدئيا تجيب لك عربية " بى أم دابليو " صغيرة وشوية فساتين على شوية ذهب .. وبعدين يحلّها الكريم ..

فأنزلت ساقها من على الأخرى .. وجلست على حافة المقعد .. واقتربت بوجهها منى قائلة :

- طب إزاى ..

قلت : نفترض أن أنا حاوى ..

- ما انتش حاوى ..

= نفرض .. والفرض ما يزعلش .. وخدينى على قد عقلى .. نفرض أن أنا حاوى ..

- طيب ...

= والحاوى مش دايما معاه واحدة تساعده ؟؟

- وأنت عاوزنى بقى أسيب شغلى .. وألف معاك القهاوى .. أطلع أرانب ويمام من جلابيتك ..

= يا هانم إحنا مش بتوع كده .. السحر بتاعنا من نوع تانى ..

وأنت ولا حاتسيبى شغلك ولا حاجة .. كل اللى حاطلبه منك إننا نشتغل فى فترات متقطعة ولمدة بسيطة ..

- نشتغل إيه .. نصابين ؟؟
= يا هانم عيب الكلام ده ..
- طب دلوقتى حاتفهمنى سر المهنة ؟؟
= مش لسه قايلة إنك مش عاوزة تعرفيه ..
- ده لما كان كل واحد فى حالة .. لكن دلوقت لو كنا حانبقى زملا .. يبقى مفروض إنى أفهم راسى من رجليه ...
= معلهش يا آنسة شويكار .. أنا عندى رجاء واحد .. أنك ما تسألنيش أى سؤال لمدة شهر .
- طيب والأوتومبيل .. والحاجات دى .. حاتقعد برضه شهر ؟
= لا .. دى حانجيبها دلوقت .. ياللابينا .. بس حاتقولى إيه لاهلك لما يلاقوكى راكبة عربية جديدة وحاجات كده ؟

فقالت : هوه أنت خلصت جميع المشاكل إللى عندك ؟؟

قلت : لا ...

قالت : طيب لما تخلصها أبقى دور على مشاكل الناس التانية ..

ثم تريثت قليلا وبعدها أضافت

- والفلوس دى حاتحاسبنى عليها إزاى ..
= حابقى أخصمها من أرباحك ..
- وانا أرباحي بالآلافات كده ..
= يوه ..
- يوه ..؟

ونهضنا .. وفى طريق الخروج وجدنا بعض الشباب يشاهدون مباراة كرة قدم فى التليفزيون ..

فتوقفت عن السير .. فقالت :

- وقفتُ ليه ؟؟

فهمست : لأن الإسماعيلى حايجيب جون دلوقت ..

فنظرت إلى وهى غير متيقنة مما تفعل .. هل تسخر منى .. ولكنها فضّلتْ الانتظار .. ونظرت إلى الشاشة .. فإذا ثلاث تمريرات متتالية ثم رفعةٌ فى الهواء لتستقر على قدم لاعب الاسماعيلى .. ومنها إلى الشبكة .. فهلل الصبية .. ونظرت إلىّ ثم إلى أحد المشاهدين وسألته .

- الماتش ده تسجيل ؟؟

فأجاب تسجيل إيه .. أنتوا ما بتقروش جرايد .. الماتش شغال دلوقت فى بور سعيد .

فنظرتْ إلىّ .. فقلت :

- ممكن نؤجل السؤال زى ما اتفقنا ..

قالت : زى بعضه

وخرجنا .. وما أن رأت السيارة المرسيدس .. حتى قالت :

- يخرب بيتك .. ما يبانش عليك .

* * *

الفصل الرابع والعشرون

تركت شويكار عدة أيام متتالية .. وقد أوهمت نفسى .. بأنى أفعل ذلك حتى تتأقلم على الرفاهية الجديدة وتعتاد عليها .. حتى تصبح من ضروريات الحياة ... وليست كمالياتها .. ومن ثمّ تتنمر لمن يحاول أن يسلبها إياها .. وتتلطف مع من بيده أن يهبها لها .

ولكنى فى واقع الأمر لم أحاول الاتصال بها .. لأنى لم يكن عندى أدنى فكرة عما سأفعله بعد ذلك ..

وفى اليوم الخامس طلبتنى بالتليفون وإذا بها تقول :

- إيه يا بنى .. هوه إحنا ما عندناش شغل والايه ..

وقد اغتظت من كلمة " يابنى " فقد كنت أرجو أن تحترمنى بعد ما أغدقت عليها من مالى ..

ويبدو أن هذا الأمر كان لازال بعيد المنال .. ولكنى لم أتمالك نفسى من أن أسألها .

- وأنت عندك كام سنة على كده ..
= عشرين .. ومعايا بطاقة ..
- طب إزاى أبقى ابنك ..
= بطل هوسة ورد على السؤال ..
- إدينى فرصة لحد بكره .. وحاطلبك وأحدد معاد للشغل ..
= طب وفين فلوس العربون ..
- عربون إيه ؟؟
= عربون الإعلان بتاع الورنيش ..
خبطت رأسى بيدى .. أنا آسف حابعتهالك فوراً ..
وأرسلت مصيلحى بالنقود .. وطلبت فخرى بالتليفون .. وما أن سمع صوتى حتى قال : دون مقدمات
- سبع والاضبع ..
قلت : كلب ..
قال : كلب يعنى إيه .. يعنى زى اللى رقصت على السلم ..
- حاجة زى كده ..
فأقفل التليفون دون أن يزيد على ذلك كلمة ..

* * *

أخذت أقدح زناد فكرى عن أى نوع من العمل .. نقوم به شويكار وأنا .. دون فائدة .. وأخيراً قررت أن أخبرها أن عملنا بالخارج .. حتى أعطى نفسى فرصة للتفكير .. كما أن عملنا بالخارج سوف يترتب عليه أن تفقد عملها بمصر ..
فلربما ترفض فكرة السفر .. لاسيما وأنها تتمتع بمركز مرموق فى شركة الدعاية والمستقبل أمامها .. ويمكنها أن تصبح نجمة إعلانات .. أو نجمة سينما ..
وفى اليوم التالى طلبتها بالتليفون وقلت :
- تقدرى تسافرى ..
= أسافر على فين .. إسكندرية ؟؟
- لأ لأمريكا ..
فصرخت بتتكلم جد ؟ طبعا أقدر ..
- وشغلك ..

= إنت مالك ومال شغلي .. دانا يبنى عمرى ماطلعت بره مصر .. وشغلي يقدر يستناني .. وإن مستنانيش أقدر ألاقى شغل فى أى وقت .. بس فرحني قل لى حانسافر أمتى ..

فوجدت نفسى أقول بعد أسبوعين

قالت : موافقة .. وتعالى لى المكتب بكره الصبح عشان نتكلم فى التفاصيل ..

وهكذا أخذتنى على غرة كما هو الحال دائما .. ووجدت أنى قد فرضت على نفسى أمراً لا رغبة لى فيه .. فسفرى إلى أمريكا لا يخرج عن أخذى لشويكار إلى نوادى اللعب كما حدث مع جين ..

ولكن جين شيء آخر .. فقد كانت صديقتى وحبيبتى وموضع ثقتى .. أما شويكار فأنا لا أكاد أعرفها .. وهى صغيرة السن .. وعديمة التربية .. وتقول لى يابني .. وإذا أشركتها معى .. فسوف تعرف مصدر ثرائى .. بل سأكشف لها سرى .. ومعنى ذلك أننا يجب أن نرتبط ببعض إلى الأبد .. وكيف أرتبط بفتاة لا تحمل لى عاطفة من أى نوع .. ولا يبدو أن هناك أدنى أمل فى أن تشعر نحوى بأى شيء لا فى المستقبل القريب أو البعيد .. لأن طريقة دخولى حياتها كانت مائعة ضعيفة .. حتي النقود التى أعطيتها إياها لم تبهرها .. وهى ترى أنها سلفة سوف ترد من أرباحها ..

وماذا يحدث لو انفضت شركتنا فى يوم من الأيام .. فإنه من الخطورة بمكان أن يكون هناك شخص ما يمرح فى الدنيا كيفما يحلو له .. حاملا معه سرى الخطير ..

كما أننى لا يمكننى الذهاب إلى لاس فيجاس .. فهذه المدينة تنتظرنى .. تنتظرنى لكى أترك فيها ربع مليون دولار على أقل تقدير ..

وبالإضافة إلى كل ذلك فأنا لست راغباً فى السفر لا إلى أمريكا ولا حتى طنطا ..

ومن ثمّ بلغ منى الحنق أقصاه .. فألقيت اللوم على جين .. وجعلت أكلمها كما كنت أفعل فيما مضى ..

- لماذا تركتيني .. لقد كانت الحياة معك رائعة .. أما الحياة من بعدك فكلها مطبات ومفاجآت ووجع قلب ..

* * *

ذهبت إلى شويكار بمكتبها .. وكان يعج بخلق لا أول لها ولا آخر .. فأخذتنى للحال فى الصالون .. وأغلقت الباب ثم قالت :

- إمتى ناخد تأشيرة الدخول لأمركيا ..
= بعد بكره ..
- هل هيه صعبة ؟؟
= لا مادمت أنت معايا .. فعندى تأشيرة سارية .. وعندى مايثبت أنى قادر أتحمل مسئوليتك ومسئوليتى ..
- رائع .. وهل ممكن تأخذ ماما معانا ..
= و بابا حاتسيبيه لوحده .. مايجى معانا بالمرة ..
- لا بابا ميت .
= يا آنسة أنت بتهزرى .. ماما ده إيه .. أنت طالعة تتفسحى .. والا طالعة تشتغلى ..
- أصل ماما مش حاتسيبنى أسافر لوحدى ..

فقلت : لنفسى " جالك الفرج " وقلت : لها :

- خلاص .. يبقى نفض الشركة ..
= والفلوس اللى خدتها منك ؟؟
- مش عاوزها ..
= ليه هوه أنت حاتبقشش على .. بصفتك ايه ؟
- من غير صفة مش عاوزها وخلاص ..
- طب بس على مهلك على .. مش بس تفهمنى طبيعة العمل بتاعنا .. عشان أقوله لماما .. تبقى مطمئنة على .. ويمكن توافق ..
- عاوزانى أفهمك طبيعة العمل بتاعنا ونص مصر قاعدلك بره .. وثانيا .. أنا مش مستعد أن أى حد يعرف حاجة عن شغلنا ..
= حتى ماما ؟؟
- ولا بابا الميت .. يا إما أنك تكونى قادرة إنك تتخذى قرار .. ياإما تخليكى فى شغلك ..
= طب تيجى تزورنا .. ويمكن لما ماما تشوفك تطمئن و ..

فقلت : وأنا أتشبث بأهداب الأمل فى فض هذه الشركة ..

- يا آنسة حلى مشاكلك بنفسك .. أنا مش ..

فقاطعتنى طب بس بس .. قابلنى بكره بالليل فى النادى ..

* * *

انتظرتها فى مساء اليوم التالى بالنادى .. وإذا بها تأتى إلى متهللة الوجه قائلة .. خلاص حليت مشاكلى .. وماما وافقت على السفر ..

- إزاى ..
- ماتشغلش بالك بقى .. حاتقابلنى بكره الساعة كام عشان نروح السفارة الأمريكية ..
- مافيش داعى للاستعجال .. السفر اتأجل ..

فقالت بحده : اتأجل يعنى إيه ؟؟

- يعنى أنا عندى مشاكل فظيعة فى المصنع .. ومش حاقدر أسافر قبل ماأحللها ..
- ودى حاتاخد وقت أد أيه ؟؟
- تاخد كام شهر كده ..
- ياسلام .. يبقى أنا أموت نفسى عشان أنفذ طلباتك وأنت ببساطة كده تهد كل حاجة ؟؟
- حاعمل إيه مش بكيفى ..

قالت : طب وتأشيرة الدخول دى تفضل سارية قد أيه ؟

- سنة
- خلاص .. يبقى برضه نروح بكره السفارة .. وتبقى التأشيره معانا نسافر وقت مانسافر ..

فقلت : مغلوبا على أمرى حاضر

قالت : والكام شهر دول مش حاشوفك فيهم ..

فإذا سعادة غامرة تجتاحنى .. ولكنى حاولت مداراتها قدر استطاعتى ..

وقلت : وأنت يهمك تشوفينى ..

- طبعا ..أنت راجل طيب .. وممكن تكون صديق كويس ..

* * *

ذهبنا فى اليوم التالى إلى السفارة الأمريكية .. وفى اليوم الذى يليه إلى شارع قصر النيل لاستخراج رخص قيادة دولية .. وكانت تثرثر بلا انقطاع .

* * *

قابلتها بعد ذلك عدة مرات بالنادى .. وكانت تكلمنى عن نفسها .. أما أنا فلا أجد ما أقوله .

وكنت أطربها فى بعض الأحيان بأن أقول لها أشياء قبل وقوعها .. كأن أقول:

- الراجل ده حايتشنكل ..

وما أن يقع .. حتى تضج بالضحك ..

فأقول لها .. يخرب بيتك حاتودينا فى داهية ..

ويوما طلبتنى بالتليفون قائلة :

- عاوزه أشوفك النهارده ..

فتصنعت التقل قائلا :

- معلهش مش فاضى النهارده ..

- يعنى إيه مش فاضى .. إنهارده انتهت مهلة الشهر بتاعك ..

= أى مهلة

- إنت مش وعدتنى تعرفنى السر بعد شهر ؟؟

فتذكرت .. وقلت : متلعثما

- معلهش يا آنسة شويكار .. ممكن نؤجل الموضوع ده شويه ..

- وحاقولهولك .. قبل الشغل مباشرة ..

= على العموم مش مهم .. أنا تقريبا عرفته ..

- عرفتى إيه

= حابقى أقول لك .. قبل ماتقول لى

* * *

وكانت فى بعض الأحيان تطلب منى أن آخذها إلى السينما .. أو لتناول طعام العشاء فى أحد المطاعم أو الفنادق ..

ورويدا رويدا نشأت بيننا صداقة بسيطة .. ولكنّى كنت حريصاً أشد حرص .. على ألا ألمسها إطلاقا .. لأنى لم ألمح منها أىّ انجذاب عاطفى نحوى ..

وطبيعى أنى كنت أقاسى من هذا الأمر .. فالصداقة البريئة بين الرجل والمرأة هى من أصعب الأمور ... فمابالك بشويكار التى كنا ننظم فيها الشعر .. فخرى وأنا ..

وكانت لا تفتأ تسألنى عن مشاكل المصنع .. وموعد السفر .. فلا أدرى ماذا أقول .. فتقول لى يا شريف أنا متضايقة من الدين اللى علىّ ..

* * *

ويوما طلبتنى بالتليفون وسألتنى نفس السؤال فرددت قائلا :

- خلاص .. انتهت مشاكلى ..
- إزاى .
- بعت نصيبى فى المصنع ..
- ليه هوه مش بتاعك ..
- نصه بس .. وبعته لشريكى ..

فقالت : متهلله يعنى نقدر نسافر ..

قلت : أيوه ..

اتصلت بى بعد يومين وأخبرتنى أنها تريد أن ألحق بها فى مكتبها .. فلما حاولت أن أستفهم ممكن نتقابل فى النادى لأن المكتب بيكون مزدحم أجابت بأن المكتب رائق لأن المدير بالإسكندرية .

ذهبت .. ولم يكن عندها سوى فتاتين وأحد العملاء .. وما رأتنى حتى أخذتنى من يدى إلى الصالون كما تفعل دائما وأغلقت الباب .

وجلست على مقعد .. وأشارت إلى مقعد أمامها لأجلس ففعلت وقالت :

- عاوزه منك حاجة ..

فنظرت إليها مستفهما .

قالت : عاوزاك تيجى عندى البيت بعد بكره الساعة سبعة بالليل .. وتقعد معايا أنا وماما على أنك ابن عم أبويا .. وما تكترش فى الأسئلة .. اقعد ساكت شوية وأنا حافهمك كل حاجة .. دلوقت أنا أبويا ميت من زمان .. وفيه واحد جاى يخطبنى .. وأنا عاوزاك تكون حاضر المقابلة دى ..

فقلت : وأنا أحاول أن أكتم غيظى وحنقى ..

- وأنا مالى .. ماتجيبى واحد قريبك بجد يحضر المقابلة

قالت : أهمد بس .. أصل الجوازة دى مش حاتحصل .. العريس صاحب شركة توظيف أموال .. بدقن وزبيبه وكان بيعمل عندنا إعلان .. وشافني وعاوز يتجوزني .. ومزهقني .. وما بيبطلش مطاردة .. والكلام مش نافع معاه .. فعاوزه أجيبه في البيت عشان أفهمه بطريقة نهائية .. ويخلص الموضوع على كده ..

فقلت : برضه .. أنا لزومي إيه .. ماتجيبى حد قريبك .

قالت : لزومك .. أنك حاتقول لى باشارات حانتفق عليها بعض أرقام الراجل ده حايقولها ..

- أرقام يعني إيه ؟؟

= يعني يا أبو مخ تخين .. قبل الراجل مايفتح بقه ..

- تكون أنت قايل لى على الرقم اللى حايقوله ..

فقلت : يا نور النبى .. ودى حاعرفها إزاى بقى

- زى ماعرفت يا أمّور الجون بتاع الاسماعينى ..

= الاسماعيني بالنون .. هيه اسمها الاسماعينية .

- معلهش .. أنا حطول بالى عليك .. أنت بردو زى إبني .. افهم اللى حاقوله لك .. إحنا حانقعد على ترابيزة السفرة .. وأنت أيديك على الترابيزة .. الصباع بعشرة آلاف .. وقبضة اليد يعنى خمسين ألف .. ليه ؟ لأن فيها خمس صوابع .. ونص الصباع يعني خمس تلاف..

= إذن أنت حاتعمل حركات بسيطة خالص .. وأنا عيني مش حاتيجى فى عينيك أبداً .. ولما يكون فيه ميت عفريت أزرق .. مش حايفهموا إيه اللى بيحصل ..

- طب وأنا مالي .. ومال المشاكل دى ..

= لأن .. إحنا بنشتغل سوا .. وعندنا شغل فى أمريكا .. وبس عاوزين نشطب الشغل اللى فى مصر قبل مانسافر ..

- وإيه طبيعة الحديث إللى حايدور بينكم ..

= ماتلخمش نفسك بالموضوع ده .. وفضّى نفسك أنت علشان تقول الأرقام وبس ..

- مالخمش نفسى إيه وبتاع إيه .. ما أنت عارفة يا آنسة شويكار أنك تورينى الحاجة بعد ما أقولها .. ما أنت فاكرة أن كل ورقة كتشينة كنت بتوريهانى ..

قالت : ماتخافش .. أنا مش ناسية .. وحاوريك كل حاجة بعد ماتقولها ..

قال : وإيه لزوم اللف والدوران ده .. هوه الجواز بالعافية .. ماتجبيه هنا فى المكتب .. وتقولى له إللى أنت عاوزاه .. بقى دى أسهل .. والاتشحططيه لحد بيتكم وبعدين تقولى له مش عاوزه أتجوز ..

قالت : معلهش أنا عارفة أنا بعمل إيه ؟

- أنت عارفة .. لكن أنا مش عارف .. وأرجوكى ماتورطنيش فى حاجة أنا مش فاهمها ..

- أسمعنى أنت حاتورطنى فى حاجة أنا مش فاهماها .. هوه أنت فاكر أن أنا فاهمة .. أنت بتهبب إيه ؟؟

أنا مش فاهمة ولا حاجة .. ومع ذلك وافقت أنى أشتغل معاك على العميانى ..

فقلت مغيرا مجرى الحديث .. يا آنسة شويكار .. الناس دول معاهم فلوس كتير .. واتصالات خطيرة .. وكل ما يقل الكلام معاهم يكون أحسن ..

قالت : عارفة

قلت : مش برضه أحسن تدينى فكرة عن الحوار اللى حايتم عشان أبقى متجاوب معاكى فى سرعة الحركة ..

- ما أنت سألت السؤال ده قبل كده وقلت : لك أن دورك محدود جداً وفضى نفسك علشان تقول لى الأرقام وبس ..

- وهوه إن شاء الله جاى ومعاه حد

- لا أنا أشترطت أنه ييجى لوحده ..

فتنهدت بيأس وقلت : طب عنوانكم إيه ؟؟

قالت : ياخويا ما أنت عرفت الجون اللى دخل فى بورسعيد .. يعنى بتعرف حاجات على بعد ميتين كيلو .. وإحنا بيتنا على بعد نص ..

- نص كيلو ..

- لا نص رطل .

* * *

ذهبت إلى منزل شويكار فى الموعد المحدد .. وهو عبارة عن شقة صغيرة مهندمة ونظيفة .. ومليئة بمفارش الكانافاه والبرودريه .. والطنافس الصغيرة .. أما أمها فهى امرأة فى نحو السابعة والأربعين .. ذات ملامح متناسقة ووجه مريح جميل .. ولكنها لا تشبه شويكار .. والواقع أنه لا يوجد من يشبه شويكار .

وفى الساعة السابعة والربع حضر العريس .. فإذا هو فى مثل سني وطولى .. ولكنه ضخم الجثة تبدو عليه علامات النعمة الزائدة .. ويرتدى جلبابا أبيض وله لحية وبيده سبحة ..

وبعد أن تعارفنا جلسنا نتجاذب أطراف حديث سطحى تولى هو معظمه .. وهو لا يفتأ يقحم الآيات القرآنية والحديث فى أغلب ما يقول ..

وبعد أن شرب القهوة قالت : شويكار ..

- نخش بقى فى الموضوع يا باشمهندس ..

ولاحظت .. كما لاحظ هو .. أنها لم تضفى عليه أيا من الألقاب الدينية التى يسمى بها نفسه .. ولكنه قال : :

- ونعم الكلام ..

قالت : أنت متجوز ؟؟

- أيوه .

- كام واحدة ..

- واحدة ..

- والكلمة التانية ..

- اثنين

- والبيع والشرا ..

فضج الرجل بالضحك .. ونظر إلى قائلا

- ظريفة أوى بنت أخوك ..

فقالت : خللى الكلام معايا .. ده تافه زى أبويا .. وأمى سمعها تقيل .. فرد على سؤالى ..

قال : ثلاثة ..

قالت : وعاوزنى تعمل بى أيه .. عاوز تتعايق بى .. وتأخذنى فى الخروجات والسهرات بتاعتك ؟؟

قال : لا .. لا.. أنتى فهمانى غلط خالص .. إحنا ماعندناش ستات تخرج.. أنت حاتقعدى معززة مكرمة فى بيتك .. عندك خدامينك وسواقك وعربيتك ..

فقاطعته ماانا عندى عربيتى ..

قال : ولزومها إيه .. أنت حاتيجى بالهدوم اللى عليكى بس .. وبعد كده الباقى ماتشغليش بالك بيه ..

قالت : وحاتسيبنى أشتغل ..

- لا طبعا ..

= طب والفلوس اللى بقبضها من شغلى ..

حايكون عندك قدها عشر المرات ..

= طب والمهر ..

- اللى تقولى عليه ..

= أنا ماأعرفش امكانياتك .. قول أنت ..

وقبل أن يفتح فمه قالت :

- ماينفعوش .. إعلا ..

فقال : إيه همه إللى ماينفعوش ..

- اللى كنت حاتقولهم ..

= وأنت عارفة أنا كنت حاقول إيه ..

- أيوه

= وعرفت منين

- ده شغلى .. قول بقى .. بس ماتقولش نفس الرقم ..

- وقبل أن يفتح فمه قالت :

- ماينفعوش .. اعلا

فبدا الضيق على وجه الرجل وقال :

- إيه بقى .. هيه دى لعبه والا إيه

= مش لعبة ولا حاجة .. أنا عارفة أنت كنت حاتقول إيه

- يعنى بيبان على وشى ..

= جايز

- يعنى على كده بقى أنت بتعرفى كل حاجة ..
= تقريبا ..
- طب إيه الرقم اللى بافكر فيه دلوقت
= ما اعرفوش ..
- إشمعنى ده
= لأن مافيش .. أنت دلوقت مافيش أى رقم فى مخك ..
- طب وإيه الأرقام اللى فاتت ..
= بص لمّا أقول لك حاجة .. لو أنا قلت لك الأرقام وكانت صحيحة .. أنت تقدر تنكر .. لأن مافيش مايثبت .. ولكن لو عاوز تدخل معايا فى مباراة .. طلع ورقة وقلم من معاك .. واكتب وأنا حاقولك أنت كتبت إيه ..
- ولو طلع غلط .. حايحصل إيه
= حأقول لك قبل ما نلعب .. حأقول لك شروط الجواز .. مايـة وخمسون ألف جنيه مهر .. وربع مليون جنيه مؤخر ..

فقال على الفور : موافق ..

فقالت : ماتوافقش كده على طول .. استنى لما تلعب يمكن أكسب منك من غير جواز ..

فقال : هوه أنت مش عاوزة تتجوزينى ..

فقالت : وهوه أنت لسه ما تعرفش لحد دلوقت .. ما أنا قلت : قبل كده .. ولكن بالفلوس تقدر تشترى أى حاجة .. فنلعب بقى والأرقام اللى تكتبها تكون عشر تلاف ومضاعفاتها أو نصها ..

- طب وإيه اللعبة ..
= أنت تكتب رقم على ورقة صغيرة .. أقوله لك .. تناولنى الورقة .. لو كان صحيح نقيد المبلغ عليك .. ولو كان غلط نقيد المبلغ على .. ونفضل نلعب كده لحد ما واحد فينا يكسب من التانى مايـة وخمسين ألف جنيه وبعدين نبطل لعب ..

قال : ولو أنا كسبت حاتجيبى الفلوس منين ..

قالت : يا إما أدفعهم لك .. يا إما ده يبقى مهرى وتأخذنى ببلاش ..

فابتدأت آثار الضيق تزول من على وجهه .. وبدا كما لو كانت اللعبة تستهويه ..

كما عرفت أنا .. أن دورى قد بدء ..

فأخرج من جيبه نوتة صغيره .. وقلما ذهبيا .. وكتب رقما ..

فقالت : له حط الورقة على الترابيزة مقلوبه وايديك فوقها ..

ففعل .. فقالت : عشر تلاف جنيه ..

فعدل الورقة .. دون أن تتغير ملامح وجهه .. وكان مكتوباً عليها الرقم المذكور .. ودون أن يهتم .. على اعتبار أنه مادام هذا الرقم هو أساس اللعبة .. فمن السهل أن يختاره اللاعب في أول مرة .. ومن السهل أن يعرفه الخصم كذلك ..

ولكنه على أى الأحوال تلفت وراءه وفوقه .. فقالت : له ..

- إن كنت خايف من أى مرايات أو كاميرات تليفزيون قوم اقعد فى أى مكان يعجبك ..

فقال : وقد خجل من نفسه : لا هنا كويس ..

ولكنه أصبح أشد حرصاً .. فقد دارى الورقة بيده الأخرى تماما .. وطبيعى أن شويكار قالت : الرقم الصحيح .. وتوالت اللعبة و .. وهى تعرف الرقم دائما .. من حركات أصابعى

إلى أن جاءت القشة التى قسمت ظهر البعير ..

حين كتب رقما .. فقالت : له

- إحنا ما اتفقناش على كده ياباشمهندس ..

- ليه ..

- إحنا اتفقنا أن مافيش فكه .. وأنت كاتب رقم مابين ٢٠و١٥ ألف يبقى ده غش .

وخطفت الوقة من تحت يده .. فإذا مكتوب بها ١٦ ألف ..

ومزقتها قائلة دى مش فى اللعبة

فزادت دهشته وأقلع عن اللعب ..

أما أم شويكار فقد كانت مذهولة مما يحدث فكانت تشهق .. وتتعجب وتصفق .. فحذوت حذوها .. وصرت أصفق معها ..

أما هو فقد قال :

– آدى احنا لعبنا وانبسطنا .. نفهم بقى اللعبة ..

قالت : مافيش لعبة ولا حاجة .. أنا عارفة كل حاجة حاتقولها .. وكل حاجة بتفكر فيها .. حتى الأرقام اللى هى مجردة من التفكير والعاطفة .. بأعرفها ..

قال : والكلام ده معايا أنا بس ؟؟

قالت : معاك ومع غيرك ..

قال : يعنى مخاوية بقى والا إيه

قالت : قول اللى انت عاوزه .. المهم دلوقت نشوف عليك كام

وبدأت تحصر الأوراق الموجودة أمامها .. ثم قالت :

– دولماية خمسة وخمسون ألف جنيه .. إحنا اتفقنا على ماية وخمسين .. اكتب لى شيك بمية وخمسين ألف جنيه ..

قال : يا آنسة شويكار .. طبعا الجواز مش بالعافية ..

لكنى إذا كان عندك الطاقات دى فعلا .. أنا أحب إنك تشتغلى معايا .. إنت تنفعينى قوى فى شغلى .. وطبعا لو الطاقات دي مش موجودة حاتتكشفى من أول يوم .. ولو موجودة يبقى أنت كنز ..

فقالت : إحنا لسه ماقفلناش موضوع الجواز .. ومش حانفتح فى موضوعات جديدة إلا لما نقفل القديمة .. اتفضل الورق ده وادينى شيك بفلوسى ..

فابتسم وقال : حاضر ياستى ..

وأخرج شيكا وقال : نكتبه باسم مين ؟؟

قالت : حامله ..

ففعل وناولها الشيك .

فطبقته بالطول ثم بالعرض ثم بالمائل وجلسنا نحن الثلاثة نرقبها ونحن لا نفهم ماذا تفعل .

فقال : لها : بتعملى إيه ؟

قالت : كنت بعمل مركب لكن دلوقتى مش فاضية خذ الشيك ده انت بقى واعمله مركب .. وابقى عومه فى البانيو فى بيتكو .

فبدت عليه علامات الضـــيق وقطب حاجبيه ونظـر إليهـا نظـرة ارتعـــبت أنـا لها .. وقال :

- ليه كده

قالت : أصل أنا ماباخدش مال غلابة ..

قال : : ليه هوه أنا غلبان ؟

فقالت : هوه أنت عندك فلوس خالص ؟ أنت ماعندكش ولا مليم والفلوس اللى عمال تبعزقها دى فلوس ناس تانيه .

فإذا به ينهض فجأة .. راكلا المقعد الذى كان يجلس عليه وقد احتقن وجهه وخطف الشيك المطبق .. وانصرف دون كلمة أخرى ودون أن يغلق الباب وراءه.

نظرت إلى شويكار وقلت :

- إيه اللى عملتيه ده ؟

أما أمها فقد قالت : إيه اللى بتهببيه ده ..

فقالت شويكار قفلت الموضوع ..

فقلت : لها إيه لعب العيال ده .. وإيه تضييع الوقت ده .. أنت عملت عداوة مالهاش لازمة .. وكشفت عن سر .. من غير أى مكسب

وقالت : أمها وأنت كنت بتعرفى اللى فى الورقة المقلوبة إزاى ..

فقلت : اتفضلى آدى مماتك بتقول كده .. أمال هوه حايقول إيه ..

* * *

الفصل الخامس والعشرون

اتصلت بى شويكار بعد يومين وقالت :

- فوت على فى المكتب .. أنا حجزت على أمريكا بعد عشرين يوم بالتليفون وعاوزه نروح نستلم التذاكر ..

قلت : أنا عربيتى فى مركز الخدمة .. وروحى إنت هاتى التذاكر حتى مش حاقدر أبعت لك فلوس .. لأن مصيلحى فى شبرا بيشترى زبدة بلدى علشان نسيّحها .. ومش جاى غير بالليل ..

قالت : خد تاكسى .. وتعالى وأنا حابقى أروحك ..

وأنهت المكالمة .. وقد كانت فى قمة العظمة .. والثقة بالنفس .. فلم تسألنى إن كان موعد السفر يناسبنى .. بل حددته وانتهى الأمر ..

وقد كان مبعث انفعالاتها وإحساساتها صادرا من الموقف المسيطر الذى تلذذت به حين وضعتنا نحن الاثنين الحاج محمد وأنا أمامها ولعبت بنا كعرائس الخشب .. ومما زاد من سعادتها .. أننا لم نكن تواقه .. بل كنا أقطاب .. فالحاج محمد قطب يتحكم فى مصائر آلاف البشر .. وأنا قطب فى معرفة أشياء خارقة للطبيعة .. وقد وجهت إليه صفعة مؤلمة .. أما أنا فقد استغلتنى أسوأ استغلال ووضعتنى فى موقف لا يمكن التراجع فيه .. فلو أنى تخليت عنها أثناء المباراة لخسرت مائة وخمسين ألف جنيه أو وهبت نفسها لذلك الحيوان الذى آكل مال النبى ..

أما أمها فقد أحضرتها .. لتشاهدنا ونحن نلعب على الشناكل ..

وحقيقة أن شويكار هى حلم حياتى .. ولكنىّ أصبحت أضيق بتصرفاتها المفاجأة .. والتى لم أتمكن من أن أتنبأ بها فى أى مرة التقيت بها ..

* * *

ركبت إلى جوارها فى سيارتها .. وكانت تسير بسرعة متوسطة فى شارع ذوى اتجاه واحد ..

وفجأة ومضت أمام نظرى صوره ما .. فقلت : لها بغاية الهدوء :

- خليكى ماشية زى مانت .. حايقابلك على شمالك تلات شوارع ..
  اعبرى شارعين وقبل الشارع الثالث اضربى فرملة مفاجئة..
  وأوعى تعبرى الشارع مهما كانت الظروف ..

فقالت : إشمعنى

فقلت : بغاية الحده أعملى اللى بقول هولك بالضبط ..

قالت : طيب طيب .. بس ماتزعقش ..

وقبل الشارع الثالث قلت : بنفس الحدة دلوقت ..

فضغطت دواسة الفرامل فجأة فوقفت السيارة فى مكانها .. وإذا سيارة من تلك التى تسير بسرعة كبيرة فى الصحارى والغابات ذات الإطارات العريضة تنطلق كالسهم من الشارع الثالث لتصطدم بسيارة شرطة كانت تسير عن يميننا .

وكان سائق سيارة الشرطة يضع ذراعه خارج النافذة فتهشم فـى الحـال .. كمـا أصيب إصابة بالغة في رأسه .. لأن السيارة الأخرى كانت عالية ..

وإذا ضابط شرطة كان يجلس عن يمين السائق .. يقفز من السيارة شاهرا مسدسه ..

وكان بالسيارة الأخرى ثلاثة رجال .. كانوا يزمعون الهرب .. ولكن الموقف الجديد جعلهم يعدلون عن ذلك .. ونزلوا من السيارة رافعي الأيدي ..

وكانت شويكار في حالة ذهول .. فقلت : لها

- سوقي بقى ..

قالت : مش قادرة .. أنا حاموت ..

قلت : موتي .. بس اعملي اللي بقول لك عليه ..

فتحركت بالسيارة .. ولكنها توقفت بعد نصف كيلو متر ..

وقالت : أنا مش قادره أسوق .. أنا رجلي بتترعش على البنزين والفرملة وإيدى بتترعش .. وسناني بتترعش .. وكلي باترعش ..

فتبادلنا أماكنا .. وقدت السياره .. ثم نظرت إليها .. فإذا هي تهتز بعنف بطريقة لا إرادية .. وقد غطت وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء ..

وفجأة رفعت يديها عن وجهها الملطخ بالدموع .. وقالت :

- أنت رايح على فين ..

- على شركة الطيران ..

فصرخت لا .. ماتودنيش شركة الطيران .. ولا بيتنا .. خدني على بيتكم ..

فنظرت إليها .. فصرخت في :

- خدني على بيتكم من فضلك ..

فذهبنا إلى منزلي .. وصعدنا السلم وهي على حالها .. وما فتحت الباب .. ودخلنا الشقة حتى قالت :

- أحضني يا شريف ..

ولما رأت ترددي .. صرخت

- أحضني يا شريف .. أنا خايفة .. وحاموت من الخوف ..

وما أن فعلت .. حتى وجدتها ترتج بعنف وبلا انقطاع ..

ولكن ما أنْ لمس جسمي جسمها .. حتى ارتجفت أنـا الآخـر .. لأنني لم أكن أتوقع هذا العناق .

فقالت : أنت برضه بترتعش

فقلت : أصل الرعاش معدى ..

وظللنا على هذا النحو فترة دون أن نكف عن الارتجاف .. وأن اختلف السبب وبعد هنيهة ابتعدت عنى وقالت :

- أنا عاوزة أنام .. مش قادره أقف .. حطني في سرير فسرت بها إلي غرفة نومي .. وأشرت إلي فراشي .. فارتمت عليه .. وجلست على مقعد قريب .. وبعد فترة نامت على ظهرها ومسحت عينيها بالملاءة .. ثم قالت : دون أن تنهض ..

= ماتسيبنيش ..

قلت : حاضر ..

قلت : لا أنت مش فاهم .. ماتسينيش ولا ثانية .. أنا خايفة جدا .. وما أقدرش أكون وحدى ويتعمل فى إللى اتعمل فيالعسكرى السواق .. أو يترمى فى وشى مية نار .. وماحدش يقدر يحمينى من الخطر اللى أنا فيه غيرك ..

فقلت : باستغراب : أنا ؟؟

قالت : المسألة مش مسألة عضلات .. المسألة مسألة مخ .. ولو حطيت حولى اثنين حراس مش حايقدروا يعملوا حاجة .. أنا شفت الموت بعينى .. وأنا فى خطر حقيقى يا شريف .. وحسيت دلوقت بس بغلطتى فى العملة اللى عملتها فى الراجل ده .. أنا أهنته .. ويظهر أنه مش واخد على كده ..

فقاطعتها حابقى آجى كل يوم الصبح آخدك على شغلك وأرجعك فصرخت من جديد وبالليل .. ماهم يقدروا ييجوا الشقة فى أى وقت ..

أنت حاتسيبنى بالليل ..

فقلت : طب وعاوزانى أعمل إيه ؟ ؟

قالت : تعالى اسكن عندنا .. أنا حانام جنب ماما .. وأنت تأخذ أودتى

فقلت :   يا صلاة النبى ..

قالت :   ما هو أنا ما أقدرش أنام عندك هنا ..

قلت :   ومين قال : لك تيجى تنامى عندنا ؟

فقفزت وجلست فى الفراش قائلة :

- بس حاقول لك نعمل إيه .. إحنا نروح ننزل فى لوكانده من اللى جنب المطار ونسافر بره فى أقرب فرصة ..

قلت :   إنت مش حاجزة بعد عشرين يوم ؟؟

قالت :   بلا عشرين يوم بلا زفت .. إحنا نخرج من مصر .. ونتدبر حانعمل إيه .. وبعدين نبقى نرجع ..

قلت :   ماخلاص اللى حصل حصل .. والراجل عمل محاولة وانتهت .. ويمكن مالوش دعوة بالموضوع خالص .. والناس دول مش تبعه ولا حاجة ..

فقالت :   ما تزهقنيش فى عيشتى .. الناس دول رجّالته والمحاولة ما انتهتش .. إنت ما تعرفوش .. إنت شفته مرة .. أنا شفته عشرين مرة .. الراجل ده عنيد .. ومش حايسبنى فى حالى .. وعنده فلوس تخليه يعمل اللى هوه عاوزه .. حاينتقم يعنى حاينتقم .. أنا إيه بس اللى لطشنى فى مخى وخلانى عملت كده..

ولما أصبح النقاش عديم الجدوى معها .. وافقتها على طلبها لا سيما وأنه لن يغير فى الأمر شيئا .. فبدلا من أن نسافر بعد عشرين يوما .. نسافر بعد ثلاثة أو أربعة أيام ..

ومن ثم ذهبنا إلى منزلها لأخذ بعض حاجياتها وأخبرت أمها أنها مسافرة فى التو واللحظة للعمل الذى ينتظرها فى الخارج .. والذى لا تعرف كم سيستغرق من الوقت .. ولكنها على أى الأحوال ستكلمها بالتليفون ..

* * *

أخذنا غرفتين بفندق الموفمبيك بالمطار مكثنا بهما يومين ..

وكنت أحاول تهدئتها قدر استطاعتى .. ولكنها كانت تقول :

- مش حاهدى غير لما أخرج من هنا .. تلاقيه عمال يدوّر على دلوقت

وقد أصرمنا معظم الوقت أمام التليفزيون .. وفى اليوم التالى طلبت إليها أن تتركنى أذهب إلى المصرف لعمل بعض الترتيبات المالية .

فقالت : خدنى معاك ..

قلت : أحسن تستنى هنا لحسن حد يشوفك فى الشارع ..

فوافقت على مضض وقالت :

- حاتربس الباب ومش حافتحه إلا على صوتك ..

* * *

فى اليوم الثالث ركبنا الطائرة الذاهبة إلى أمريكا .. وما أقلعت حتى تبدل حالها فجأة .. وعادت لطبيعتها المرحة كما لو أن شيئا لم يحدث ..

وما وطأنا أرض مطار نيويورك حتى أخذنا سيارة أُجْره إلى فندق والدورف أستوريا ..

وسجلت اسمى شريف وجدى وحرمه .. وأخذنا جناحا بالطابق الثالث والعشرين .. به غرفتين نوم وبينهما صالون ..

وما إن وضع الحمال الحقائب حتى طفقت شويكار تتفقد المكان .. ثم أتت إلى لاهثة .

- تصور إحنا عندنا خمس تليفزيونات ..

قلت : إزاى ..

قالت : اثنين فى أود النوم .. وواحد فى الصالون .. واثنين فى الحمامات ... تصور يا شريف الحمام فيه تليفزيون .. أنا مش عاوزة أخرج من هنا .. عاوزة أعيش هنا على طول ..

وأخذت تثرثر دون انقطاع .. إلى أن جاء المساء فتناولنا طعامنا فى المطعم اليابانى بنفس الفندق .

ثم عدنا إلى الجناح .. وذهب كل منا إلى مخدعه .. ولما استلقيت على الفراش أطفأت النور .. وأخذت أفكر .. ماذا أقول لها عندما تسألنى عن سر معرفتى للأشياء قبل وقوعها ..

إن شويكار طائشة .. وسريعة القرار .. ولا يجب أن تعلم أكثر مما تعلم الآن .

* * *

فى صباح اليوم التالى ، ذهبنا سيراً على الأقدام إلى بناية الأمبايرستيت .. وكان يوما قارس البرد .. وصعدنا إلى شرفة الدور الأخير .. فإذا الشمس ساطعة والسماء خالية من السحاب .. ولكن الهواء أشد برودة من هواء سيبريا .. فاحتضنتنى وقالت : ضاحكة :

- يخرب بيتك .. أنت جايبنى هنا تموتنى ؟؟

ولكنى أجفلت عندما التصقت بى ..

فقالت : هوه أنت ما بتبطلش رعش ..

فقلت : عايزانى ما أترعششش فى الهوا ده .. والا أنت عشان ما ربنا مديكى شوية صحة .. حاترمى بلاك علينا .. على العموم يالأبينا ننزل ..

قالت : " وهى لازالت تحتضنى " خلينا شوية بس فهمنى إزاى تبقى الشمس طالعة كده .. والدنيا تلج كده .. ولافيش ولا سحابة واحدة

قلت : أديكى قلت :يها .. لما السحابة بتسقع تقلب تلج .. تروح واقعة على الأرض حتت حتت ..

قالت : الله .. دانت متنور أهوه يابنى .. ولو أنى مش مصدقة ولا كلمة من التخريف ده ..

ولم نحتمل البقاء أكثر من ذلك .. فنزلنا ولو أنى حزنت لابتعادها عنى . وذهبنا إلى الكافتريا بأسفل العمارة .. ثم قلت : لها :

- أنا كنت وعدتك يوم ما اتقابلنا فى النادى أنى حابقى أفهمك كل حاجة ..

فقاطعتنى ..

- أنت لسه حاتفهمنى .. ما أنا فاهمة كل حاجة .. إنت ببساطة كده .. بتعرف كل حاجة وخلاص .. والتفسير للمعرفة دى سواء كان علمى أو خيالى .. أو روحانى .. فهوه ده اللى

مش حافهمه.. فخليني آخذك كده على عيبك .. وما تحاولش تشرح لي أي حاجة .. إلا في حالة واحدة .

قلت : إيه هيه ..

قالت : لو تقدر تنقل الطاقات اللي عندك دي ليه

قلت : يا ريت أقدر .. أنا نفسي ما أعرفش هية جاتني إزاي .. وتفسيرها إيه .. وهل هيه دايمة والا مؤقته .. وأنا قعدت أفكر فيها كتير لحد ما دماغي وجعتني .. ولكن ماطلعتش بنتيجة .

قالت : طب وانت عاوز توجع دماغي .. خلينا زي ما احنا .. أنت عارف كل حاجة .. ومنتش عارف ليه .. وأنا عارفة إنك عارف كل حاجة .. ومش عارفة أنت مش عارف ليه .. وسيبك بقى من الكلام ده .. وكلّمني عن الشغل ..

قلت : بعد يوم والا اتنين .. إحنا بس نأخذ إجازة شوية ..

قالت : إجازة .. دانا يابني عمري ما شفتك بتشتغل .. دانت واخذ إجازة على طول زي نجيب الريحاني .. وإزاي تبقى لا عندك شغلة ولا مشغلة .. وعندك الفلوس دي .. دانا ما شفتش .. ولا سمعتش عن حد بيصرف بالطريقة دي .. وإيه العربية المرسيدس اللي في مصر دي .. وإيه الشقة العِرّة اللي أنت ساكن فيها دي .. وإيه الجناح اللي واخدينه ده

فقلت : مبدئيا الجناح ده مش عياقة .. أنا ما أقدرش أنزلك في أوده لوحدك .. ليه ؟ لأنك حاتسجلي اسمك في اللوكانده .. وأنا مش عاوز يبقى لك أي أثر في أمريكا .. وما نقدرش ننزل في أوده واحده .. اذن ما فيش غير جناح .. ويكون باسمي

قالت : ليه مش عاوز لي أي أثر في أمريكا .. هوه إحنا حانعمل حاجة ضد القانون ؟؟

قلت : كده يبقى أنت بتسحبيني في الكلام عن الشغل .. وأنا ماليش مزاج أتكلم دلوقت ..

قالت :	إن شالله ما أتكلمت .. بس بعد الشاى عاوزاك تودينـى محـل نشترى شوية هدوم .

* * *

ذهبنا إلى محل اسمه " بلومنجيل " وابتعنـا بعـض الملابـس الثقيلـة .. وملابـس للسهرة .. وطلبنا من المحل أن يرسلها لنا إلى غرفتنا بالفندق ..

ثم خرجنا إلى الشارع فاذا بها تقول عاوزة أروح تمثال الحرية .

فقلت :	عشان نـروح تمثـال الحريـة حـانقف فـى طـابور ييجـى نـص ساعة عشان نركب المركب ..

فقالت :	" بفرح" هوه إحنا هنركب مركب عشان نروح هناك ..

قلت :	أمال حانروح عايمين .

قالت :	طابور نص ساعة .. وما لو .. هوه إحنا ورانا حاجة ..

فوافقتُ على مضض .. وأخذنا سيارة أجرة .. أنزلتنا عند الطـابور فوقفنـا فـى آخره .. ولكنه لم يلبث أن أتى آخرون ووقفوا خلفنا .. وبعد فترة :

قالت :	الدنيا برد ..

قلت :	تيجى نرّوح ؟؟

قالت :	لا .. بس حط إيدك فى وسطى يا أبو الرعيش ..

فأحطت خاصرتها بذراعى .. وأحاطت خاصرتى بذراعها .. وقالت :

-	إنت مال جسمك ناشف كده .. أنت ما بتاكلشى ؟

وددت لو أقول لها (وأنت مال جسمك طرى كده) ولكنى صمت وتمنيت لـو نقف فى الطابور ثلاث ساعات ..

ولكن أتى دورنا بعد ثلث ساعة .. وركبنـا العبـارة التـى أقلت :نـا إلـى تمثـال الحرية

والتمثال عبارة عن جزئين .. جزء سفلى .. وهو القاعدة .. وجزء علوىّ وهو جسم التمثال نفسه .. وهو جسم مجوف به سلم حلزونى يصل حتـى رأس التمثـال حيث توجد شرفة تطل منها على نهر الهدسن والمحيط الأطلنطى ..

وقد صعدنا سويا القاعدة .. وهى نحو خمس طوابق من أى عمارة .. ثم قالت:

-	عاوزة أطلع التمثال بقى ..

فقلت :	عاوزة تطلعى لوحدك .. أنا ماقدرش أطلع إتناشر دور ..

- ليه أنت مافيكش صحة ..
- مافياش صحة خالص .. وأكبر منك بسبعتاشر سنة ..

فضحكت وقالت – وماله برده تنفع

وتركتنى وصعدت مع الصاعدين .. والمرء حين يضع قدمه على الدرج الأول لا يمكنه التراجع بعد ذلك .. لأن جموع الخلق الصاعدة تدفعه أمامها حتى يصل إلى القمة ..

ووقفت أفكر .. أنفع فى ماذا .. هل أنفع لها .. وفى ماذا .. هل أروقها .. ولو قليلا ؟ إن شويكار تلقائية وعلى سجيتها .. وهى تلتصق بى فى لحظات البرد أو الخوف .. أما فيما عدا ذلك .. فلم ألمح منها أى انجذاب نحوى .. بأى صورة من الصور .. وحقيقى أنها حلم حياتى .. ولكننى حريص أشد الحرص ألا أكشف لها عن مشاعرى إطلاقا .

اللهم إلا الرجفة التى تعترينى حين تلتصق بى .. وهى رد فعل طبيعى .. لا حيلة لى فيه .

وجلست أنتظرها أسفل قاعدة التمثال .. ومضت أكثر من نصف ساعة دون أن تحضر .. فخلت أنها هبطت ولم تجدنى .. وقد كانت غلطة .. أننا لم نتفق على مكان أنتظرها فيه وسط هذا الزحام .

فنهضت وقررت العودة إلى الفندق .. وما خطوت خطوتين حتى إذا بها تأتى نحوى عدوا .. وما أن بلغتنى حتى قفزت على واحتضنتنى من شدة الانفعال قائلة :

- فاتك نص عمرك .. أمريكا أعظم بلد .. ونيويورك هيه أمريكا .. وعاوز تتفرج على نيو يورك اطلع فوق تمثال الحرية .. إنما حاتفضل عامل لى عجوز كده عمرك ما أنت شايف حاجة .. وياللا بينا ..

وأحاطت خاصرتى بذراعها .. وقالت :

- حط إيدك فى وسطى .. وبلاش لكاعة ..

فحذوت حذوها .. وسرنا .. ويبدو أن هذه أصبحت القاعده .. وهى ألا نتحرك إلا ونحن متلاصقين ..

وكان قلبى يرقص طربا .. وأنا لا أكاد أصدق أن هذا يحدث وتمنيت ألا تقلع عن هذه العادة الجديدة أو تزهد فيها .

* * *

عندما عدنا إلى الفندق ، ذهبنا إلى الموظف المختص بحجز تذاكر المسـرح .. وطلبت منه أن يحجز لنا تذكرتين فى المسرحية الغنائية الاستعراضية التى تعرض بمسرح " برود واى " .

فسألنى متى

قلت : الليلة

فابتسم وقال : ألم تشاهد الإعلانات فى التليفزيون ..

قلت : نعم

قال : إن الإعلان يقول أنها محجوزة لمدة سبعة شهور قادمة .. فشكرته واستدرت لأنصرف ..

ولكنه قال : إلا إذا كنت ترغب فى شـرائها مـن " البـروكر " (أى السمسار – أى السوق السوداء) .

فقلت : الليلة ..؟

قال : نعم ..

قلت : موافق ..

قال : ثمن التذكرة مائتين دولار بدلا من مائة

قلت : موافق ..

قالت : شويكار موافق إزاى .. ده أكل عيلة لمدة نص شهر ..

فجذبتها من ذراعها قائلا ما تضحكيش الناس علينا .

* * *

دخلنا المسرحية .. وكانت رائعة .. وعند خروجنا أخذنا سيارة أجـرة .. ولكن يبدو أنه حدث خطأ فالسائق لم يسمع اسم الفندق جيداً ..

ومن ثم أنزلنا فى مكان يبعد عنه نحو مائتى متر .. وانصرف للحال ..

فقالت شويكار دى مش اللوكاندة بتاعتنا

قلت : أيوه

قالت : شوف لنا تاكسى تانى ..

قلت : مش ممكن .. مافيش هنا تاكسيات

قالت : وبعدين

قلت : وبعدين نمشى .. المسافة مش بعيدة ..

وبدأنا السير .. وكانت أرض الشارع بارده جداً .. ولم نكن نرتدى أحذية مناسبة ..

وبعد أن سرنا قليلا .. وقفت شويكار وسط الشارع وبدأت تبكى فذهبت إليها .

- مالك ..

= أنا مش قادرة أمشى خطوة واحدة بعد كده ..

- طب حاعمل إيه ..

= شيلنى

فنظرت إليها .. وكانت دُموعها قد أسالت الكحل على خديها .. فترددت قليلاً ثم حملتها .. ووضعت ذراعها على كتفي وألصقت وجهها بوجهى ..

وسرت بها عدة خطوات .. وأنفاسها تلفحنى .. وأصبح الوضع لا يطاق .. فهى قريبة أكثر من اللازم .. وقوة إحتمالى ليست بلا حدود .. وخفت أن يفلت الزمان منى .. فأنزلتها ..

وقلت : خلاص مش قادر .. أنا عاوز إللى يشيلنى ..

فقالت : يا دمك يا بارد ياللى معندكش نخوة ولا شهامة ..

فقلت : قولى اللى تقوليه .. بس دلوقت مافيش طريقة غيرإننا نجرى ..

فقالت : أجرى بكعب عالى ..

قلت : ارميها .. وأجرى حافية ..

وتبعت كلامى بأن بدأت أعدو .. فما كان منها إلا أن شقت رداءها الضيق حتى تصبح سهلة الحركة .. وألقت حذاءها .. وبدأت العدو .. فاذا هى أسرع منى .. ووصلت الفندق قبلى ..

ودخلت وراءها .. فقالت : غاضبة

- عاجبك كده .. شايف الناس بتتفرج على إزاى ..

فقلت : الناس بتبص لك على طول .. هم ماشافوش حاجة بالجمال ده قبل كده ..

قالت : برضه دمك بارد .. كان لازم تشيلنى ..

ولما صعدنا إلى غرفنا ..

قالت: أنا عاوزة أشرب واحد ويسكى علشان يدفينى ..

- اتفضلى ..

= مافيش ثلج .. يا أخى أنا مش فاهمة حطين لنا تلاجتين فيهم جميع أنواع المشروبات والعصير .. وما فيش حتة ثلج ..

قلت : اسألى بالتليفون فين الثلج ..

ففعلت ... ثم قالت

= بيقولوا لى فيه مكنة ثلج فى الدور السبعتاشر ..

- خدى جردل الثلج اللى فى أودتك وروحى امليه ..

= رجلى على رجلك ..

فنهضت .. وذهبنا إلى المصعد .. وإذا شاب وفتاة يبدو أنهما حديثا الزواج .. واقفان ينتظران وبيد الفتاة دلو الثلج مثل شويكار ..

فقالت : الفتاة ضاحكة :

- هل أنتم فقراء مثلنا ..

قلنا أجل

قالت : هل تعلموا أنه فى كل هذا الفندق لا توجد سوى آله واحدة لصنع الثلج .. طبعًا بخلاف الثلج الذى تطلبه من خدمة الغرف .. والذى يأتيك بعد نصف ساعة .. وهذه الآلة موضوعة فى الطابق المخصص للملوك والرؤساء ...

فقالت شويكار باستنكار هل يوجد هنا طابق مخصص للملوك ..

فأجابت : نعم .. وهم يتخيلون أن الملك حين يحتاج قطعتى ثلج .. سوف يأخذ دلوا مثلما نفعل ويذهب إلى آلة الثلج ..

وأتى المصعد .. وهبطنا .. ولم أكن واثقا من كلام الفتاة .. ولكن ما أن خرجنا إلى الدور السابع عشر حتى شهقت شويكار من فرط العظمة .

فبالرغم من أن الفندق غاية فى الفخامة .. الا أن الممرات والطرقات فى الدور السابع عشر كانت شيئاً مختلفاً تماما .. فهى مفروشة بسجاد فاخر جداً.. وتتدلى من السقف ثريات من الكريستال البكاراه .. وتوجد أرائك وثيرة فى كل مكان .. على اعتبار أن الملوك تتعب من السير .. فهى تجلس كل خطوتين حتى أبواب الغرف فهى من خشب الجوز المطعم بالنحاس الأصفر البراق .

وبينما نحن سائرون فى الطرقة .. قالت : الفتاة لشويكار :

- من أين أتيت بهذا الطين الذى فى قدميك ..

فأجابت اسألى زوجى الجبان .. الذى رفض أن يحملنى فى الشارع ..

ورنت كلمة زوجى فى أذنى .. وبالرغم من أن شويكار كمبرر لوجودنا معا . إلا أنى منيت النفس بأن يكون لها مغزى عندها .. كما أن رغبتها قالتها فى احتسا. الويسكى وقد قاربت الساعة الحادية عشرة مساء .. ربما يكمل نفس المغزى . وربما يكون لديها ما تصرح به إلى فى هذه الليلة ..

ولكن ما أن عدنا إلى غرفنا حتى قالت :

- رجعت فى كلامى .. حاخذ واحد كونياك من غير ثلج .. وحادخل أنام .. وأنت خد الثلج استحمى بيه .. ما هو بارد زيك ..

وتبعت ذلك بأن دخلت غرفتها .. وتركتنى فى الصالون ووقفت حائراً أفكر... ما حدث .. هل بدأت تشعر نحوى بعاطفة ما .. أم أننى أمنى النفس..

وفى اليوم التالى حدث شىء آخر .. إذ بينما كنا نتناول طعام الغداء فى أحد المطاعم .. إذا أمرأة تجلس إلى مائدة قريبة منا .. تشبه "باربارە سترايساند " الممثلة .. ويبدو أنى أطلت النظر إليها .. لأن شويكار

قالت : مالك ؟؟ عاجباك أوى ؟؟ دى مناخيرها يدقوا بيها كفتة .

- أصلى بشبه عليها

= تشبه لما تكون لوحدك .. لكن لما تكون معايا .. ما تبصش لحد خالص .. أنا مش بغير عليك .. لكن ده عشان كرامتى ..

ولما صعدنا إلى غرفنا قالت بشىء من التوتر ..

- تعالى نقعد .. وكلمنى عن الشغل .. أنا مش فاضية لك .

* * *

الفصل السادس والعشرون

جلسنا فى الصالون وقلت لها :

- دلوقت حاكلمك عن اللى حانعمله .. ولكن الكلام اللى حاقوله لك ده سر مغلق .. فهل ياترى أقدر أعتمد عليكى أنك ما يطلعش منك السر ده لأى حد أبدا ..
- يا شريف .. جرب تقول الكلام اللى أنت قلته ده لأى حد .. كبير أو صغير .. كتوم أو غلباوى .. حايكون الرد عليك فى جميع الأحوال كلمة واحد " طبعا " بقى فيه حد تقول له تقدر تكتم السر حايقول لك لأ ؟

ففكرت قليلا وشعرت بالخجل من نفسى ..

وقلت : لك حق ..

قالت : أنا بقى اللى حاسألك .. الشغل ده حايجيب فلوس كتير ؟

- أوى
= فى مدة طويلة ؟؟
- لا ..
= يبقى الكلام بالشكل ده .. أنا يا شوشو حاكسبك فلوس كتير أوى .. والشروط الوحيده لكده .. أنك تتكتمى ..والا حاشغلك مرة وبعدين أجيب غيرك .. قوم أرد عليك أقول لك .. خدامتك يا سعادة البيه عمشة وخرسة وطرشة ..
- أشكرك على النصيحة .. طيب نخش فى الموضوع .. أنت حاتسرقى فلوس من المافيا ..
= نعم ؟؟
- حاتسرقى قرشين من عصابات المافيا ..
= طب وأنت ..
- أنا مش حاسرق حاجة خالص .. وماليش دور نهائى فى اللى حايحصل ..

يانهارك أسود .. هوه أنا رخيصة عندك للدرجة دى ؟؟

جايينى من آخر بلاد المسلمين .. علشان تخلينى أسرق فلوس من حرامية وأنت مالكش دور نهائى ؟؟

لا مش قصدى ..

- أمال قصدك إيه .. قصدك تحطنى فى مغامرة .. أخطف لك قرشين أديهم لك .. وهمه يحطونى فى مفرمة لحمة ؟؟

فصمتت .. وقد وجدت أنى أسأت التعبير كما هو الحال دائما .. ولما وجدتنى صامتا .. ظنت أنها أصابت كبد الحقيقة .. فقالت غاضبة

- ماكنتش أعرف أن قلبك قاسى بالشكل ده .. وأنا كنت ..

فقاطعتها ..

= يا شويكار .. كل الحكاية أن أنا حمار .. ما بأعرفش أتكلم .. دأنت أغلى حاجة .. وأنا أرخص حاجة .. أنا لو مت ماحدش حايحس بى .. لكن أنت لو مت البلابل وملكات النحل حايعملوا إيه ؟

فصمتَتْ هنية .. ثم ضجَّت بالضحك .. وقالت :

- بلابل إيه يا شوشو دى اللى بتتكلم عنها ..

فقلت متسرّعا : لا ده فخرى اللى بيقول

- فخرى مين

= واحد صاحبى

- فخرى بيقول إيه ؟؟

= لا .. مافيش

- مافيش ده إيه .. وهوه يعرفنى منين ..

فوجدت أنى كلما حاولت الخروج من مأزق .. أوقعت نفسى فى مأزق آخر. وأخذت أصابعها .. ولثمت ظهر يدها قائلا :

- أبوس إيدك أنا عاوز أتكلم فى الشغل دلوقت .. وبعدين حاقول لك كل حاجة ..

= حاتحكى لى حكاية البلابل ؟؟

- أيوه

= وصحيح أنا غالية عليك ؟؟

فقلت بتلعثم : وبعدين بقى ؟؟ خلينا فى شغلنا ..

فابتسمت وقالت : طيب .. كلمنى عن الشغل .. لكن ما أوعدكش أنى حاوافق..

- طبعا .. ده اللى كنت حاقوله لك .. أنا حاشرح لك .. وأنت عندك مطلق الحرية إنك توافقى أو ترفضى ..
- طيب..
- دلوقت أحنا حانروح بلد قريبة من هنا اسمها " مدينة أطلانطا " .. ودى مدينة قمار ... زى " لاس فيجاس " .. إنما حاننام كل واحد لوحده ومش حاننزل فى لوكانده واحده .. وحاتنزلى باسم مدام شريف وجدى .. يعنى ما لكيش اسم خالص .. ومافيش معاكى جواز سفر .. لأنك مش محتاجاه لأن دى تنقلات داخلية فى الولايات المتحدة ..

وبدأت أشرح لها الخطة .. التى تتلخص فى أننا نجلس على مائدة رونيت واحدة .. دون أن يعرف أحدنا الآخر .. وعليها أن تراقب الرقم الذى سوف أراهن عليه ... فتراهن على رقم آخر بفاصل اثنين .. مع نثر مبالغ أخرى على أرقام غير رابحة .. حتى لا يحاول أحدا أن يحذو حذوها .. وهى الخطة القديمة التى اتفقت مع جين عليها فى لبنان ولكننا لم ننفذها .. وطبيعى أنها لن تربح على طول الخط .. ولكنها ستربح فى يوم .. وتخسر فى الآخر .. أما فى النهاية فسوف تخرج بمبالغ طائلة .. كما أنه ليس هناك أى نوع من المغامرة.. لأن الخطة لا تخرج عن أنها آنسة ثرية .. ذهبت إلى الكازينو .. وكان الحظ حليفها .

وبعد أن أمطرتنى بوابل من الأسئلة قالت فى النهاية :

- فهمت خلاص .. ولعبة مش صعبة .. ولا خطر .. بس لما أحب أشوفك لوحدك .. أو أكلمك .. أعمل إيه ؟؟

قلت : مش حاتشوفينى لوحدى خالص .. ولكن ممكن تكلمينى بالتليفون.. ولازم يكون من تليفون عمومى .. علشان حايراقبوا تليفون أودتك .. لأنهم بيعملوا كده مع اللى بيلعبوا بمبالغ كبيرة.

قالت : وتليفون أودتك

- أنا حايراقبونى على إيه يا حسرة .. أنا واحد غلبان بيلعب بمبالغ صغيرة ..
= وحانقعد كام يوم ..
- سبعة ..
= وحاقعد سبع تيام .. ماكلمش حد ..
- خللى بالك .. واحده لوحدها .. مش حاتتساب كده .. حاتلاقى شبان حايحاولوا يتعرفوا عليكى .. مالكيش دعوى بحد خالص.. ردى عليهم بأدب .. لكن ابعديهم عنك ..
المفروض أنك أميرة من دولة عربية وجاية تتسلى يومين ..

قالت : كويس .. وليه ما تلعبش أنت مادام عارف كل حاجة ..

قلت : أنا ظهرت مرة قبل كده فى " لاس فيجاس " .. وأصحاب الكازينوهات هناك .. وهنا همه همه ..

- طب ما برضه حايشوفوك ..
= ما بيشوفوش إلا اللى بيلعب بمبالغ كبيرة ..
- طب والفلوس حانعمل فيها إيه ؟
= أنت الربع .. وأنا التلاث أربع ..
- النص .. بالنص ..
= أنت من غيرى ماتسويش نكلة ..
- وأنت من غيرى ماتسواش نكلة ..

فقلت لنفسى : هوه إيه الحكاية .. همه كلهم عاوزين النص ..

قالت : وأنت الفلوس اللى معاك جايبها من السكة دى ..؟

- آه ..
= أتاريك عمال ترمى فلوس يمين وشمال ولاهامك يخرب بيتك .. دانت بتشتغل حرامى .. وأنا اللى كنت فاكراك راجل أعمال ..
- طب ما أنا راجل أعمال ....
= أمال .. بتعمل أعمال .. وتضرب ودع .. وتشوف البخت ..
- طب ما أنت كمان حاتبقى حرامية ..

= أنا مش حرامية .. إنت اللى حرامى .. يا سارق قلبى من فجر غرامى ..

- إيه ده ..

= أغنية يابنى .. هوه أنت حتى ما بتسمعش أغانى ..

ذهبنا إلى " مدينة أطلانتا " فإذا هى مثل " لاس فيجاس " ولكن أصغر منها.. إلا أنها تمتاز عن " لاس فيجاس " بأنها تقع على شاطئ المحيط .. وبها بلاجات .. ومناظر خلابة .. والسير على الكورنيش ليلا وهو مضاء يعتبر من أمتع النزهات.

ونزلت هى بجناح فى فندق فخم .. ونزلت أنا بغرفة فى فندق أقل فخامة .

وبمجرد وصولى غرفتى .. طلبتها بالتليفونات وأعطيتها رقم تليفونى قبل أن يضعوا تليفونها تحت المراقبة .

* * *

وبدأنا اللعب .. وسار كل شيء على ما يرام .. وكانت تبقى معظم الوقت فى غرفتها .. وتتريض قليلا على شاطىء البحر .. وربما تذهب إلى كافتريا.. وفى المساء تذهب إلى الكازينو بنفس الفندق .. ثم تعود لتنام ..

وكانت تتصل بى من وقت لآخر فى الصباح لتخبرنى عن المبالغ التى ربحناها .. وتسألنى عما تفعله فى اليوم التالى .. ويوما كلمتنى قائلة

- حاموت يا شريف .. حاموت على حضن .. يظهر أنى أخذت على كده فى نيويورك ..

ومرة أخرى قالت

- انهاردة واحد عاكسنى ..

= شكله أيه ..

- عامل زى اللية فى الشوربة ..

= أنت بتجيبى الكلام ده منين ؟؟

فصمتت فترة ثم قالت :

- يا شريف أنت واحشنى .. واحشنى أوى مش عارفة ليه .. أما ما أثار انتباهى حقا فهو عندما طلبتنى بالتليفون لتقول دون - مقدمات ..

= مين البنت اللى كانت معاك فى النادى السنة اللى فاتت ..

- واحده صاحبتى ..
= وراحت فى أنهى داهية
- ماتت ...

فقالت : أحسن ...

وانتهت المكالمة ..

وكانت هذه الكلمات تنزل على كالصاعقة .. ولم أكن أدر إن كانت نابعة من إحساس حقيقى .. أو بسبب شعورها بالوحدة ..

وفى اليوم السابع غادرت المدينة وحدها متجهة إلى ميامى .. ومعها شيك مصرفى .. بمبلغ يقارب المبلغ الذى أخذناه من لاس فيجاس جين وأنا ..

ولحقت بها فى طائرة أخرى .. وما خرجت من المطار حتى وجدت أن الجو يشبه جو القاهرة .. وذهبت إلى فندق هايات .. حيث كانت تنتظرنى ببهو الفندق ..

وما رأتنى حتى أتت إلى عدوا .. واحتضتنى وقبلتنى قبلة غرامية غير آبهة للمشاهدين اللذين وقفوا يصفقوا لنا ..

وأخذتنى من يدى قائلة :

- تعالى أما أفرجك على الأوده بتاعتنا ..
= وذهبنا فإذا هى غرفة .. وليست جناحا فقلت :
- أمال فين الأوده التانية
= مافيش تانية

قلت : لكن دى أوده صغيرة ..

قالت : ماهى برضه تكفينا ..

ثم أقعدتنى على الفراش وجلست إلى جوارى قائلة :

- أنا حبيتك ياشريف مع أن شكلك عامل زى المقشة

* * *

الفصل السابع والعشرون

أمضينا شهرا فى ميامى يعتبر من أسعد أيام حياتى .. وميامى هذه مدينة عجيبة حقا .. فلايكاد يوجد بها من يتكلم الإنجليزية ..

وقد سألتنى شويكار

- هية البلد دى تابعة لأمريكا

= آه

- مايخللوا عندهم دم .. ويسيبوها للناس إللى فيها ..

وكنا عندما ندخل محلاً لشراء شىء ما .. تكلمنى البائعة بالأسبانية فأرد بالانجليزيه .. فتغير اللغة .. وتتكلم البرتغالية .. فأرد بالإنجليزية .. ومن ثم تقول كلاما .. وتشوح بيدها كأنما تقول :

- ماتبطلوا حركات .. عامل نفسك خواجه

ويوما ذهبنا إلى المستنقعات فى رحلة برمائية .. وركبنا زورقا يتحرك بمحرك طائرة .. ويسير بسرعة فائقة وسط الهيش والبوص .. وفى المياه المكشوفة .. وقد رأينا تماسيحا .. ولكننا لم نقترب منها ..

وأمريكا حريصة على الحفاظ على البيئة وعدم الإخلال بتوازن الطبيعة .. فهى تترك الأحراش والجبال والمستنقعات والصحارى والغابات كما هى ..

وبالرغم من سعادتنا .. إلا أننا كنا نشعر بالغربة ونتوق لأرض الوطن .. ونتصفح جريدة الأهرام كلما عثرنا عليها ..

ويوما سألتها يا ترى لو قلت : لك تتجوزينى تقولى لى إيه ؟؟

قالت : أقول لك استنى شوية .. ما أقدرش أرد عليك فى أمريكا ..
أنت هنا محور حياتى .. وماليش حاجة فى الدنيا غيرك ..
استنى لما نرجع مصر ..

ويوما ذهبنا إلى عالم البحار .. وهو عباره عن حديقة كبيرة بها أحواض سباحة بالغة حد الاتساع والعمق مخصصة للحيتان والدرافيل المدربة .. وجلسنا فى المدرجات مع باقى المشاهدين .. وكان يجلس إلى جوار شويكار فتاة ترتدى فستانا أبيض وتنتعل حذاءً مطاطيا خفيفا .

وبدأ العرض فإذا فتاتين بملابس البحر تتناوبان الركوب فوق ظهور الحيتان .. فيسبح الحوت بسرعة والفتاة واقفة على ظهره بغاية الاتزان كما لو كانت واقفة على الأرض .. ثم يهدئ الحوت من سرعته .. ويوصل الفتاة إلى شمندوه .. فتقفز من فوقه إلى الشمندوه .

وتكرر هذا العرض من الفتاتين بغاية السلاسة إلى أن وقفت أحداهما .. وأمسكت بميكروفون وقالت : إن ما نراه الآن لا يتطلب أى نوع من المهارة .. لأن الحيتان مدربة .. ويمكن لأى من المشاهدين أن يتقدم لركوب الحوت .. فلم يحرك أحد ساكنا ..

ولكن بعد هنيهة إذا بالفتاة الجالسة إلى جوار شويكار تقول لها

- ما رأيك ..

= ما رأيي فى ماذا ..

- هل تأتى معى لنركب الحوت ..

فاتسعت حدقتا شويكار وقالت :

- أنا لا يمكننى أن أركب حماراً فما بالك بالحوت ..

فابتسمت الأمريكية قائلة على رسلك ..

ووقفت وقالت بصوت عال أنا أريد أن أركب الحوت .. ولكن لا توجد معى ملابس الاستحمام ..

فردت الفتاة الأخرى يمكنك أن تمتطى ظهره بملابسك ..

فلن تصيبك قطرة ماء واحدة ..

فنزلت الفتاة وسط إعجاب الجمهور .. ووقفت فوق ظهر الحوت الساكن بمساعدة فتاة الاستعراض ..

وبدأ الحوت السباحة ببطء .. ورويدا رويداً بدأ يزيد من سرعته .. والفتاة واقفة فوقه بغاية اليسر .. وفجأة إذا به يدور دورة كاملة حول محوره لتسقط الفتاة فى الماء .. فشهق الجمهور .. وصرخ الأطفال .. ولكن لم يلبث الحوت أن أتى من تحتها ورفعها على ظهره جالسة .. وما هى إلا لحظة حتى وقفت من جديد بملابسها وشعرها المبتلين .. ثم وقفت على قدم واحدة ورفعت الأخرى فى الهواء .. ثم أخذت تتقافز على ظهره وهو يسبح بسرهة فائقة .. فضج الجمهور بالضحك من غفلته .. إذ وضح لنا آنذاك أنها مشتركة فى العرض .. وأنها أكثر

الفتيات تدرباً . لأنه ما أن أوصلها إلى الشمندورة .. حتى أخذت تعطيه إشارات .. فيغطس فى الماء .. ثم يقفز فى الهواء بكامل جسمه الذى يزن ثلاثة أطنان .. ثم أخذ يرقص على أنغام الموسيقى ويتلوّى .. ويتقصع .. ثم يقفز من جديد ..

وعقب كل حركة يعملها يذهب إليها فتكافئه بأن تضع سمكة فى فمه ليأكلها.

وقد سجلت كل ذلك بآلة التصوير التى كانت معى .. والواقع أنى أخذت صوراً لشويكار فى كل مكان ذهبنا إليه فى ميامى .. حتى شاطئ المحيط .. وهو شاطئ عجيب حقا .. فيه " بلاج " واحد طوله عشرة كيلو مترات .

وكنت أود أن أضمن كتابى هذا هذه الصور ؛ لأن لغتى الركيكة قاصرة عن وصف الطبيعة الخلابة التى رأيناها سويا .

* * *

عندما خرجنا من حديقة عالم البحار قالت :

- مش عاوزة أروح اللوكاندة .. وديني حتة نشرب فيها شاى..

فذهبنا إلى مقهى مظلم .. مضاء بالشموع .. ولما سقطت أضواء الشموع على وجهها ازدادت جمالا .. وخيل إلى أن وجهها أصبح مشعا .. وددت لو ألثمها .

* * *

فقلت : ادينى بوسة يا شويكار ..

فقالت: ياريت

فقلت : ياريت ليه

قالت : أصل ما معاييش ..

قلت : معاكيش يعنى إيه

قالت : أصل كان فاضل معايا واحدة .. ولكن وأنا باعدى الشارع وقعت منى .. داست عليها عربية .. طرقعت .. مش فيه بوسة بتطرقع ..

قلت : أيوه ..

قالت : أهيه دى ..

* * *

وصحوت يوماً من النوم .. فلم أجدها .. وبعد فترة أتت وإذا هى متهللة الوجه .. وبيدها الأهرام .. وقالت :

- عندى لك حتة خبر ..

فنظرت إليها مستفهما ..

فقالت: الحاج محمد أخذ فلوس الغلابة وطفش بره مصر ..

وقررنا العودة إلى القاهرة .. ومن ثم كلمت مصيلحى بالتليفون لأخبره بموعد وصولى .. وكانت فرحته غامرة .. وكذا كلمت شويكار والدتها ..

وفى الطائرة سألتها :

- حاترجعى شغلك تانى

فقالت: شغل مين يابنى .. أنا حالبس جلابية بيضة وأفتح شركة توظيف أموال ..

ثم أضافت عاوزاك تدينى مفتاح شقتك العرّة دى .. علشان أوضبها لك .. على حسابك ..

فقلت : ده معناه أنك عاوزه تتجوزينى ..

قالت : حد جاب سيرة الجواز ..

* * *

ما أن وصلنا القاهرة حتى ذهب كل منا إلى منزله .. وما دخلت شقتى المتواضعة حتى خلت أن الحياة قد توقفت فجأة .. فقد جلس مصيلحى معى نحوا من ربع ساعة يثرثر .. ثم انصرف .. فإذا السكون يجثم على صدرى كهم الموت .

فقد اعتدت أن تكون شويكار إلى جانبى ليل نهار .. فما غابت عنّى حتى أصبحت حياتى خاوية خواءً عنيفاً .. مثلما حدث عندما رحلت جين .

ولكن مال الكآبة تهبط على وأنا سأراها باكر حتما .ولكنى لم أرها .. لا باكر .. ولا بعد باكر .. ولم تحاول أن تتصل بى حتى لتقول إنها " مش فاضية ".

ولم أجرؤ على أن أكلمها .. فأنا لا أعرف كيف تفكر الآن بعد أن عادت إلى مصر ..

ولا أعرف سوى شيء واحد وهو أن شويكار حين تريد شيئا تفعله ..

ومن ثم انطويت على نفسى وجلست فى عقر دارى أنتظر ..

وفى اليوم الرابع لم أطق البقاء .. فخرجت أهيم علـى وجهـى .. وقـادتنى قدمـا إلى منزل الأســتاذ مندور .. وأنا أمنى النفـس بـأن أجلـس إليـه سـاعة "أناكفـه " فيها وأستمع إلى شتائمه التى تدخل البهجة على نفسى ..

ولكن كانت مفاجأة رهيبة أقعدتنى على الرصيف حين علمت أنه فارق الحياة ..

ولم أتمالك من أن أذرف دمعةً سخينةً على روحه ..

وطالت جلستى على الرصيف .. والناس تسرق النظر إلى ..

ولكن أحزانى كانت أعمق من أن أعير الخلق اهتماما ..

فها صديقى وأستاذى قد رحل .. وجين رحلت من قبله .. وشويكار تركتنى فى ظلام دامس ووحدة قاتلة ..

ولم أدر أى الأحزان كـان الأقـوى .. هـل هـو رحيـل مـن رحلـوا .. أو اهمـال شــويكار لى وفجأة إذا خاطر غريب يصدمنى .. إن اللذيـن عرفـا الســر .. فارقـا الحياة .. وشويكار اختفت منذ أربعة أيام ..

فهل أصابها مكروه هى الأخرى ؟؟

ومن ثم قفزت مـن علـى الأرض .. وركضـت نحـو أقـرب تليفـون .. وطلبـت منزلهـا .. وظـل الجـرس يـدق مـدة طويلـة دون أن يجيبنـى أحـد .. فـأعدت الكـرة فلربما طلبت رقماً خطئاً .. ولكن دون فائدة .

ومن ثم طرت إلى منزلها .. وضغطت جرس الباب .. وما من مجيـب .. ولـم يكن بالمنزل بواب لأسأله عنهم ..

ومن ثم استصوبت أن أعود إلى منزلى فلربما تكون قد أتت إلى ..

وما دخلت شقتى حتى سألت مصيلحى عماً إذا كـان قـد طلبنـى أو حضـر إلـى أحد.. فأجاب بأن فخرى فقط هو الذى طلبنى بالتليفون .. فلم أعره اهتماما ..

وأخذت آلة التليفون الى غرفتى .. وكانت الساعة تناهز الثانية عشـرة ظهـراً . وبدأت أحاول الاتصال بها دون جدوى .

ولما مرت ساعات ثلاث دون أن أعثر لها على أثر .. طلبت فخرى عّله يكـون قد رآها فى النادى ..

وما سمع صوتى حتى قال : كعادته

- أنت كنت فين يابنى ..
= رد عليّ الأول .. ماشفتش شويكار
- أيوه فى الحلم ..
= يا فخرى أنا مش بهزر .. مشفتهاش ..
- حاشوفها فين يابنى ..
= أصل أنا بقالى أربع تيام ماشفتهاش .. وخايف ليكون جرالها حاجة ..
- دانت بقى اللى باين عليك بتحلم .. هيه شويكار كانت معاك .. عشان تغيب عنك أربع تيام ..
= أيوه ..
- هوه أنت كنت فين
= فى أمريكا
- فى أمريكا ؟؟ دانا أفتكرتك هربت مع بتاعة اللمون ..
= لمون إيه يافخرى ..
- أصل فيه بتاعة لمون كانت عند جامع الفتح .. واختفت بقال :ها شهر .. قلت : لازم تكون خطفتها ورحت اتجوزتها فى شبين الكوم ..

فأقفلت المواصلة فى وجهه .. وبدأت أحاول الاتصال بشويكار من جديد .. وفى الساعة الخامسة ردت على .. فتنفست الصعداء ..
وقلت : إزيك يا شويكار .. إنت كويسة ؟؟
فردت ببرود أيوه كويسة
- و كنت فين الأيام اللى فاتت دى ..
= أنت اللى كنت فين
- كنت قاعد جنب التليفون مستنى تكلمينى ..
= وأنت مابتتكلمش ليه .. إيدك مكسورة ؟؟
- أنا فكرت أنى أسيبك على راحتك تتكلمى وقت ما تحبى .. والنبى ماتبقاش تفكر تانى .. لحسن كل ماتفكر حاتجيبنا ورا ..
- طيب ماتزعليش .. أنت كنت فين انهارده ..
= كنت مع ماما فى البنك .. فتحت حساب بفلوسى وحطيت فلوسك فى

حسابك ..

- طيب ممكن آجي أزوركم إنهارده ..

= ماتجيش .. أنا اللى حاجى .. حافوت عليك بالليل ..

- بالليل الساعة كام ..

= وقت ما ييجى مزاجى ..

* * *

حضرت فى المساء .. ووقف كل منا ينظر إلى الآخر دون أن يتحرك .. كأنما نستعذب ألم الفراق ..

وفجأة عانقتنى وهى تقول :

- أنت وحشتنى ..

ولما وجدتنى صامتا قالت :

- وأنا ما وحشتكش ..

= وحشتينى دا إيه .. أنا كنت بموت .. أنا مابصحاش إلا لما أشوفك

قالت: طب بطل غلبة وتعالى عشينى فى مطعم .. بس أعمل حسابك حاخد منك مفتاح الشقة إنهارده .. عشان من الأسبوع الجاى حابتدى أوضبها ..

- وأنت حاتوضبيها إزاى ..

= حاضربها بوية الأول ..

- وأنا جواها ؟؟

= لا طبعا .. أنت حاتسكن بره ..

فقلت: فَرحاً عندكم ..

قالت: لأ .. تشوف لك لوكانده تقعد فيها قيمة شهر كده لحد ما أخلص..

- يعنى أنت حاتكومى العفش فى أوده .. وتبيضى باقى الشقة ..

= أكوم إيه .. العفش ده تلاث أربعة حايترمى .. ويمكن أرميه كله.

- طب بس خللى بالك فيه حاجات فى العفش ليها ذكريات عندى..

= ماتشغلش بالك بالحاجات دى .. والذكريات اللى عندك أبقى شوف لك صفيحة زبالة وارميها فيها .. أو فى المقلب العمومى يكون

أحسن .. لأن هناك بينقضوا الزبالة .. ويصنفوها .. فيمكن الزكريات بتاعتك يعملوها طيارات ورق ..

* * *

تركت منزلى .. وسكنت بفندق بمصر الجديدة .. وبدأت شويكار مهمتها .. فى إصلاح مسكنى .. وكانت تأتى إلى بالفندق .. أو تكلمنى بالتليفون .. لتثرثر وتخبرنى عما تفعله .. ويوما قالت :

- عارف .. كل الناس بتعمل أود النوم بمبى أو بيج أو فستقى.. أنا بقى حاعملها أبيض بستاير تفتاه أبيض منقوش منه فيه ..

قلت: اللون ده بيريحك ؟؟

- أيوه

= يعنى تستريحى لما تنامى فى أوده كده ..

- قصدك ايه

= قصدى أنك ياترى على كده قررت أنك تتجوزينى ..

- هوه أنت يابنى عليك عفريت اسمه الجواز ..

* * *

ويوما كنت أجلس بالنادى مع فخرى ..

فقال :

- احكى لى بقى بالصراحة كده حكايتك مع شويكار ..

فنظرت إليه بتبلد .. فتابع ..

- يعنى من يوم ماضربت لها تليفون فى شركتها .. وقلت : كلام خايب .. وبعدين قلت : لك تروح لها ثانى يوم ..

فقلت: يا نهارك أسود .. عاوزنى أحكى لك من نهاريها لحد انهارده .. دى حكاية عاوزة ولاست أشهر عشان تتحكى .. والخلاصة أننا دلوقت أصدقاء

- أصدقاء يعنى إيه

ثم قطع كلامه فجأة وهو ينظر خلفى .. وهمس

- بس .. بس .. لحسن دى جاية ناحيتنا ..

وما كدت أستدير حتى كانت قد بلغتنا .. ووقفت واضعه يديها فى خاصرتها قائلة :

- هيه الدنيا بقت سايبة والا ايه .. أنت إزاى تخرج من غير ما تقولى أنت رايح فين ..

وكان فخرى قد نهض فعرفتهما ببعض ..

فقال : أشرقت الأنوار ..

فالتفتت إلى قائلة : يعنى إيه دى ..

قلت : يعنى نورتينا ..

فقالت : وهى تجلس

- مرسى ..

وبدأت تتكلم دون مقدمات عن عمال البياض والسباكة .. وأقمشة التنجيد .. والنجف .. ومحلات السجاد والموبليات .. ثم نهرتنى مرة أخرى .

- أنت إزاى تنزل .. وأنا كنت عاوزاك معايا عند بتاع القيشانى..

كل هذا وفخرى لازال واقفا .. فالتفتت إليه ..

وقالت: اتفضل يا أستاذ فوزى

فقال : فخرى يا فندم ..

فصمتت هنيهة .. كأنما تحاول أن تتذكر شيئا ثم التفتت إليه فجأة ..

وقالت متسائلة :

- أنت بتاع البلابل ؟؟

فقال : بلابل ؟

قالت : أيوه البلابل .. وملكات النحل ..

فإذا وجهه يزرق ..

ويقول هوه اللى قال : لك الكلام ده ؟؟ وقال : إيه كمان ..

فقالت: ضاحكة قال : لى كل حاجة ..

فقلت له : أنا ماقلتش ..

قاطعنى اسكت أنت ..

ثم وجه كلامه إليها ..

وقال : قال : لك عنيّ .. وما قالكيش عن نفسه ..

قلت : اسكت يافخرى

قال : اسكت أنت ..

قالت : يقول لى إيه عن نفسه ..

قال : ماقالكيش كان بيجرا له إيه لما يشوفك ؟؟

قالت : امتى الكلام ده ..

قال : من زمان .. من زمان قوى .. قبلْ ما حضرتك تتعرفى عليه ..

قالت : الله .. هوه أنتوا بقى كنتم مراقبيننى ..

قال : مراقبينك إيه ؟ .. هو أحنا كان ورانا حاجة غيرك ..

قلت : الله يخرب بيتك ..

قالت : كمِّل يا فخرى

قال : ماقالكيش إنه كان بيبقى مهكع وهبطان ومرضان .. وهمدان وغلبان وسايب لما يشوف حضرتك ..

قالت : أنا ؟؟

قال : مقالكيش إنه كان بيبقى زى فنجان شاى على ترابيزة مخلوعة فى عربية قطر ماشى .. مافيهوش صامولة واحة مربوطة ..

قلت : إيه الكلام الفارغ ده ..

قالت : قول يا فخرى .. دا أنت حاتبقى أعز صديق عندى ..

قال : والنبى ..

قلت : بتسحبك .. الله يخرب بيتك .. وفى الآخر حاتوقعك على جدور رقبتك ..

قال : وماله .. ما تسحبنى .. وأنا رقبتى مش لازمانى أعمل لها عليها شوربة

قالت : كمل يا فوفو ..

قال : شايف فوفو دى ماحدش عرف يقولها لى قبل كده .. قال : لحضرتك إنه كان بيكلم الكراسى اللى كنت بتقعدى عليها ..

قالت : إيه .. إيه .. قول دى كمان مرة ..

قال : أقول إيه .. ماحضرتك سمعتى .. بعد ما كنت تسيبى حمام السباحة كان يروح يقعد جنب الكراسى اللى كنت قاعده عليه .. ويقعد يسأله عنك وعن صحتك .. ويكلمه كده ييجى نص ساعة .. وطبعا الكرسى مش معبره ..

فأغرقت فى الضحك ..

وقالت: هوه الكرسى حايتكلم ..

قال : آديكى قلتيها حضرتك .. واحد مخه مهروش .. طب أنا قلت البلابل بتيجى تغنى وتعيط الصبح على شباك أودتك .. لكن مارحتش أكلم كراسى ..

قالت : الله .. هوه أنتوا ماكانشّ وراكوا حاجة غيرى ..

قال : يافندم مش إحنا بس .. النادى كله ما وراهوش حاجة غير جنابك ..

فضحكت مرة أخرى ..

وقالت : أمال ماكنتش بتقول لى الكلام الحلو ده ليه .. وإحنا فى أمريكا .

قال : يعنى حضرتك ما زعلتيش أننا كنا بنتكلم عنك ..

قالت : وفيه حد يزعل .. لما الناس تفكر فيه بالظُرف ده ؟؟

قال : وصحيح حضرتك كنت واخداه معاكى أمريكا ..

قالت : أيوه .. أحنا قعدنا مع بعض هناك ييجى شهر ونص ..

قال : وأنا اللى افتكرته هرب مع بتاعة اللمون ..

قالت : لمون إيه يا فخرى ..

قال : لا ولا حاجة ..

قالت : أنا كنت جاية آخدك تعمل معايا شوية مشاوير .. ولكن حاسيبك نقعد مع صاحبك .. على شرط تجيبوا فى سيرتى .. وباى باى .. حافوت عليك بالليل فى اللوكاندة ..

ونهضت .. وسارت مبتعدة .. ولكنها لم تلبث أن توقفت ..

وعادت قائلة :

- يوه .. كنت حانسى .. العمال لقوا الساعة دى .. وهمه بيشتغلوا ..

وأخرجت يدها من حقيبتها فإذا بها " الساعة "

فنظرت إليها دون أن أمد يدى كما لو كنت أنظر إلى شبح الموت فوقفت تتأملنى قليلاً ثم قالت :

- مال وشك اصفر كده ..

ولما لم أحرك ساكنا وضعت الساعة على المنضدة واستدارت لتنصرف

فسألتها: همه لقوا الساعة دى فين ؟؟

فقالت : ماقالوليش ..

... تمت ...



أنا وزوجتى والبُعد الرابع



استغرقت كتابة هذه القصة أكثر من عشر سنوات ، وقد عرض الكاتب فيها حقائق علميّة هى أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع بطريقة تجعل القارئ يتقبّل الحوادث المرعبة والمتلاحقة .. ثم يثور ضدّ ما يقرأ .. ولا يجب أن نَنسَى أنّ الكاتب رسّام محترِف يُدخل فى غالبيّة لوحاته عناصر من الخيال العلمى والسحر وما وراء الموت ..

ولا شكّ أن المكتبة العربيّة تفتقر كثيرًا إلى هذا النوع من قصص الخيال العلمى .

يوسف عوف

دار الأمين طبع ★ نشر ★ توزيع **DAR AL AMEEN**

٨ شارع أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة ت : ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦